عبد الحكيم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء العاشر ـ السنة الخامسة والثلاثون ـ ذو الحجة سنة ١٣٨٣ هـ ـ مايو ١٩٦٤ م

وزير الدين والخير

بقلم : أحمد حسن الزيات

شاء العليم الخبير صاحب الدين وواهب الخير أن يتولى أمور الأوقاف وشئون الأزهر في مرحلة الانطلاق الثوري العالم الأديب أحمد عبده الشرباصي نائب رئيس الوزراء فكانت هذه الولاية توفيقا من فضل الله ، وتحقيقا لأمل المسلمين ، وتصديقاً للقول المأثور : لا يزال الناس بخير ما ولوا خيرهم أمرهم . والمهندس الشرباصي بإجماع الرأي متميز بالدين والعلم والخلق والكفاية ، فليس عجيبا أن تعقد عليه الآمال في تعميم الخير في الأوقاف عن طريق العدالة ، وتجديد الدين في الأزهر عن طريق الدراسة .

ولقد لقيته يوما من أيام الصيف الأسبق في مصيف بلطيم ، وكنت قد عرفته من قبل بالسماع ، والسماع بسراوة خلقه وسمو أدبه مستفيض ، فلا يجري ذكره على لسان مثقف إلا روى عن مجالسه ونوه بمواهبه وحدث عن أياديه .

راعني وأنا أحدثه سعة اطلاعه على الأدب وطول باعه في البلاغة ، فقلت له : إن ما أصبته من علوم الهندسة ، إنما جاءك عن طريق المدرسة ، فعن أي طريق جاءك هذا الذوق الصافي لروائع الأدب ، وهذا العلم الوافي ببدائع الفن ؟ فقال في لهجة المتواضع

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الكبير : جاءني من نشأتي الأولى بين شباب الأزهر أيام الطلب ، فكنت آخذ فيما يأخذون من اللغة والأدب ، وأحمل نفسي على مجاراتهم في الاطلاع والبحث ، حتى تحرك في فطرتي النزوع إلى فقه الدين وعلم العربية .

وهذه النشأة وإن كانت كنشأة حافظ إبراهيم بين طلاب الجامع الأحمدي لا تكفي وحدها لتجعل من المهندس الشرباصي أديبا ولا من الضابط حافظ إبراهيم شاعرا ؛ وإنما كانت في الرجلين تنبيها لملكة غافية ، وتوجيها لاستعداد موهوب ، وقد استمر أثر هذه النشأة في حياة المهندس العاملة حتى وثق الصلة الفكرية بينه وبين الفقيه الأديب الأستاذ الباقوري ، فكان لهما في كل ليلة ندوة أدبية يندو إليها صفوة المفكرين والباحثين من رجال الأزهر وغيرهم ، فيتذاكرون فيها دقائق المسائل ورقائق الأحاديث وطرائف النوادر ، ثم ينصرفون عنها وفي أذهانهم أقباس من الهدى والنور تشع في كل مجلس ، وتشيع في كل محفل .

هذا الأدب الذي استفاده الشرباصي من مناشئ فطرته ، ومن طبائع نشأته ، قد استحال في حياته العاملة أدبا في نفسه يتخلقه ويعمل به ، وأدبا على لسانه يتذوقه ويتصرف فيه ، وأدبا على سمعه يعيه وينضح عليه فكان بهذا الأدب النفسي واللغوي والفني عظيما تتجلى عظمته أكثر ما تتجلى في دماثته ، فأنت تتقلب منه في مثل أعطاف النسيم ليونا ورقة ، وفي مروءته ، فهو يشع الفضل إشعاعا هادئا فلا من ولا زهو ولا تكلف ، وفي تواضعه ، فأنت تحدثه حديث الصديق للصديق أو الند للند فلا تشعر أهو الوزير أم أنت .

* * *

إن للأزهر بفضل هذه الشمائل في نائب رئيس الوزراء نواشئ من الأمل لن تكذب ، وبوادر من الظن لن تخلف ، وإن للأزهر في مرحلة الانطلاق الثوري غاية لن يعوقه عنها تخلف من ماض ولا تعسف من حاضر ؛ فإن الثورة العامة لا تبلغ مداها البعيد إلا في هداية العقيدة ورقابة الضمير ، ومن أجل ذلك رأت قيادتها تطوير منهجه وتصحيح مفهومه فسنت له القانون الجديد . والقانون ميت ما لم يحيه التنفيذ ، والتنفيذ باطل ما لم تحققه العدالة ، والعدالة التي يأمر بها الله ويرجوها المسلمون أن يبقى للأزهر كيانه وسلطانه ، ولن يبقى له هذا الكيان وذلك السلطان إلا إذا قام بفيانه الجديد على أركانه لا على أنقاضه . والأركان التي بنى عليها الأزهر العتيق هي تبليغ الرسالة العظمى ، وحماية اللغة الفصحى ، وتصحيح العقيدة العليا ، وتوجيه الأمة الكبرى ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فإذا توسع فى ضروب العلم وأحاط بفنون المعرفة، فذلك ليتسع أفقه فى فهم الرسالة، ويبعد مداه فى نشر الدعوة. وتلك الأركان هى التى رسخت أصولها فى نفوس المسلمين تحت كل أفق فليس من الخير أن تنقض ولا أن تزعزع، والأزهر بهذا المعنى زعامة روحية كسبها لمصر علماؤه الأخيار وأبناؤه الأبرار فى مدى عشرة قرون.

* * *

إن الجمع بين شئون الأزهر وأمور الأوقاف فى يد واحدة تصرفها على خطة مرسومة لغاية معلومة حسنة من حسنات الثورة. وهى سياسة يقتضيها منطق الأشياء ويؤيدها حكم الواقع، فإن الأزهر يفقه فى الدين ويدعو إلى الخير بالدرس والنظر والاجتهاد والتعليم والتأليف والحجة، وجهاز الأوقاف ينفذ ويطبق بالإمامة والخطابة والوعظ والإحسان والإيمان والعمل. فالتلاؤم فيهما واقع، والتلازم بينهما قائم. فى تولهما يد مصرفة ورأى نضيج ونية صادقة وعزيمة نافذة انطلقا معاً فى الآفاق التى كشفها التحويل الثورى انطلاق النور الهادى من بؤرة الشمس، أو الروح السارى من كلمة الله، فيتهيأ الإصلاح بالروح والمادة، ويتحقق الكمال بالدين والدنيا، وتكتمل الوسائل للنهوض والعمل.

وفى رأى المراقبين من رجال الأوقاف والأزهر أن الله قد حمل الشرباصى هذه الأمانة فى هذه المرحلة، ليوفق بين قديم الجامع وجديد الجامعة، وينسق الأمر بين كراسى الدرس ومنابر الدعوة، وينظم الإحسان بين واقفيه ومستحقيه، ويمهد السبيل للتعاون المثمر بين مجمع البحوث الإسلامية فى الأزهر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى الأوقاف ليجمعا القلوب والشعوب على كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة عن طريق التعارف والتآلف والتشاور، ذلك لأن سلطان الدين أكمل وأشمل من سلطان السياسة وقوة الحكم، فإن هذين لا يتجاوزان بقعة من الأرض ولا أمة من الناس. ولكن ذاك ينبسط على كل مكان فيه لله ذكر، ويهيمن على كل إنسان له فى الإسلام فكر. وعلماء الدين هم الطوائف التى نفرت من كل فرقة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم. فإذا تفقهوا ولم ينذروا أنكروا ما خلقوا له، وعصوا ما أمروا به. وليس الإنذار أن يلهجوا بذكر الحساب والعذاب، وإنما الإنذار أن ينبهوا المخطىء، ويوجهوا الحائر، ويرشدوا الغوى، وينصبوا فى مجاهل الأرض أعلام الطريق.

ولو كان علماء الإسلام يعملون لكان لهم مثل ما للمبشرين والمستعمرين والمستشرقين من

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المؤتمرات التى تعقد العـــام بعـد العام ، فى الدولة بعد الدولة !

ولقد كان من سنة التحويل التى استنتها الثورة أن قضت على هذا الجمود بإنشاء مجمع البحـوث ومؤتمره ، ودعم المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وجهازه ، ليكون منهما للإسلام مؤتمران يجمعان زعماء الرأى فى أهله، ليجددوا ما درس منه ، ويوضحوا ما التبس فيه ويتفقوا على ما يجرى العمل عليه، وينفوا عنه ما غشيه من أباطيل القرون وأضاليل النحل، ويجلوه للناس كما كان صالحا للحياة ، حافزا على العمل، كافلا للفوز ، ضامنا للوحدة .

ذلك بعض ما يرجوه كل عربى ويأمله كل مسلم من وزير الدين والخير ورجل الإصلاح والعمل ، وما ذلك على العامل الصادق بعزيز .

أحمد حسن الزيات

السد العـــــالى

احتفل فى يوم الجمعة الموافق ١٥ مايو سنة ١٩٦٤ بتحويل النيل عن مجراه الأصلى إلى قناة التحويل احتفالا تاريخيا لم تشهد له البلاد مثيلا حضره مع الرئيس جمال عبد الناصر القادة العرب ورئيس حكومة الاتحاد السوفيتى وممثلون من جميع أنحاء العالم .

وبذلك تكون قد تمت مرحلة هامة من مراحل تنفيذ هذا المشروع العظيم يمكن عندها حجز مياه إضافية أمام السد الجديد يستفاد منها فى تحويل رى الحياض إلى رى دائم الأمر الذى يؤدى إلى التوسع الزراعى وهذه أولى ثمرات المشروع .

ومن المزايا الكبرى التى حققها مشروع السد العالى الكسب العالمى العظيم لشعب الجمهورية العـــربية المتحدة ، إذ تغلب بإرادته وإصراره على أعتى الدول الاستعمارية التى وقفت فى وجه المشروع وكان الدرس المستفاد من وراء هذا أن بإمكان الدول الصغيرة التى حباها الله بالقيادة المخلصة والشعب المؤمن أن تحقق النصر الكامل على أقوى الدول ذات العتاد والسلاح والقوى البشرية الكبيرة ، وفى هذا يقول السيد الرئيس فى إحدى خطبه : « إن السد العالى لن يبنى بالصخور ولكن بإرادة مصر وتصميم شعبها » .

ولعله من المناسب أن نشيد بالمعونة الصادقة التى قدمتها حكومة الاتحـــاد السوفيتى للمساهمة فى إقامة المشروع الذى سيوفر بعد تمامه زيادة على ما ذكر طاقة كهربية هائلة تبلغ ١٠ مليار كيلوات ساعة سنويا كما سينتزع ما يقرب من مليونى فدان من أراضى الصحراء ويحولها إلى مزارع خضراء .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

التطورات التشريعية للطلاق

للأستاذ محمد محمد المدني

— ١ —

الطلاق فى اللغة :

هو فك القيد عن المقيد حسا أو معنى .

يقال : أطلقت البعير من قيده ، أى حللته عنه ، وأطلقت الأسير من إساره ، أى خليت سبيله ، والطليق أيضا : العبد الذى نال حريته فخرج بها من قيود الرق .

ويستعمل الطلاق أيضا فى معنى الترك والمفارقة ، فيقال : طلق البلاد ، أى فارقها ، وطلق القوم ، أى تركهم .

واستعماله فى إنهاء عقد الزوجية ملاحظ فيه كل من هذين المعنيين .

فالرجل يطلق زوجته ، أى يحلها من قيد الزواج ويفارقها ويتركها ، فهى طالق .

وقد سئل بعض العرب فقيل له : أطلقت امرأتك ؟ فقال : نعم والأرض من وراثها !

ويقال : رجل مطلاق ، أى كثير التطليق للنساء ، ومنه حديث على كرم الله وجهه : « إن الحسن مطلاق فلا تزوجوه » .

الطلاق فى اصطلاح الفقهاء :

والطلاق فى اصطلاح الفقهاء ينظر إلى هذا المعنى اللغوى مع إضافة بعض القيود : فهو « رفع القيد الثابت بالنكاح فى الحال أو المآل بلفظ مخصوص » .

فرفع هذا القيد فى الحال يكون بالطلاق البائن ، ورفعه فى المآل يكون بالطلاق الرجعى .

والمراد باللفظ المخصوص هو ما كان :

صريحا فى إفادة معنى الطلاق وحل العصمة مثل طلقتك ، أو أنت مطلقة أو أنت الطلاق .

أو كناية ، وهو ما يحتمل الطلاق وغيره ويترجح فيه معنى الطلاق بالقرائن ، أو بالنية كأن يقول لها : « أنت خلية » أو « برية » أو « مطلقة » بسكون الطاء من الإطلاق ، أو « حرام » .

والفرق بين « مطلقة » بتشديد اللام وفتح الطاء ، و « مطلقة » — بسكون الطاء : أن الأول من « طلق » وقد غلب استعماله فى حل العصمة ، فصار حقيقة عرفية ، أما الثانى فمن « أطلق » ويغلب استعماله فى الإطلاق من القيود الحسية ، فلا ينصرف إلى حل العصمة إلا بمرجح لذلك .

الطلاق فيما قبل الإسلام :

مبدأ الطلاق معروف ومسلم به إجمالا فى الأمم والشعوب قبل الإسلام .

فقد كان جائزا عند قدماء اليونان ، وكان للرجل أن يطلق المرأة ، وليس لها أن تطلب التطليق .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ودلت بعض العقود التي عثر عليها عند الجرمان على أن الطلاق كان جائزا عندهم إذا اتفق عليه الزوجان .

وأجاز قدماء الرومان الطلاق للزوج والزوجة كليهما ، ثم أدركته بعض التطورات التشريعية عندهم ، فألغى حق الزوجة فيه وقصر على الزوج ثم أعيد هذا الحق مرة أخرى للزوجة ، ثم جعل بالاتفاق بين الزوجين .

« والشريعة اليهودية تجيز الطلاق ، ولا تمنع الرجل من طلاق زوجته ولو بغير سبب سوى رغبته في التزوج بأجمل منها ، إلا أنه لا يليق برجل من أهل الخير والمعروف أن يقدم على الفراق بدون سبب يستوجب الطلاق ، والأسباب التي يحل معها الطلاق هي الزنا والعقم وعيوب الخلقة أو الخلق .

بل أوجبوا على من لم يرزق من زوجته بذرية بعد معاشرتها عشر سنوات أن يفارقها ويتزوج بغيرها .

وإذا طلقت الزوجة ، ثم اقترنت بزوج آخر ، ثم طلقت منه أو مات عنها ، فلا يجوز للأول أن يتزوجها مرة ثانية ، وقد ورد في سفر التثنية (إصحاح ٢٤ - ١ عدد ١ - إذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها ، فإن لم تجد نعمة في عينيه ، لأنه وجد فيها عيب شيء ، كتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته عدد ٢ فإن أبغضها الرجل الأخير كتب لها كتاب الطلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته أو إذا مات الرجل الأخير الذي اتخذها له زوجة لا يقدر زوجها الأول الذي طلقها أن يعود ليأخذها لتصير له زوجة بعد أن تنجست » .

٥ - أما الشريعة المسيحية فلا تجيز الطلاق إلا لعلة الزنا ، ومن نصوص إنجيل متى (الإصحاح الخامس) . عدد ٣١ : « وقيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق ، وأما أنا أقول لكم ، إن من طلق امرأته لا لعلة الزنا يجعلها تزني ، ومن تزوج مطلقة فإنه يزني » .

ويعللون هذا الحكم في الشريعة المسيحية بأن الزواج سر مقدس من الأسرار الإلهية التي تتم مرتبطة بالطقوس الدينية تعبيرا عن إرادة الله ، فإذا كان انحلال الزوجية بإرادة أحد الزوجين أو باتفاقهما فقد غلبنا إرادتهما على الإرادة الإلهية .

ولقد ظهر الكثير من المشتغلين بشئون الأسرة أن هذا الحكم شديد ينبغي إعادة النظر فيه تيسيرا على الناس ، وبذلك بعض المحاولات للتوصل إلى نوع من هذا التيسير كأن يكون الاتفاق والتراضي بين الزوجين سببا من أسباب التطليق يعرض على سلطة فتجيزه أو لا تجيزه ، ولكن هذا لم يستقر عليه الأمر بعد ، لأنه يصادم بقواعد الشريعة المسيحية .

وهناك عادات وتقاليد وتشريعات وضعية غير هذا كله في مختلف الشعوب قديما وحديثا تتفاوت قربا وبعدا في شأن الطلاق بالنسبة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لما ذكرنا ، وليس من منهجنا فى هذا البحث أن نطيل ذكرها وبيان ما فيها من تفاصيل .

بيد أنه لابد من ذكر خلاصة لما كان عليه أمر الطلاق عند العرب فى الجاهلية لشدة ارتباط ذلك بما ورد نقدا له أو نهيا عنه فى مصدرى الشريعة الأساسيين وهما القرآن والسنة .

فقد كان الطلاق معروفا مسلما به عند العرب فى الجاهلية ، وكانت لهم فيه عادات وانحرافات.

منها : أن الطلاق لم يكن له حد ولا عدد معين فالرجل يطلق امرأته كما يشاء ، وفى أى وقت يشاء ، ولو تكرر ذلك عشرات المرات

فإن كان الطلاق لمغاضبة عارضة عاد الزوج بعد أن يسكن غضبه وتهدأ نفسه - فراجع زوجته قبل انقضاء عدتها واستقر معها ، وإن كان لمضارة المرأة ومكايدتها ، طلقها ثم أعادها قبل انقضاء عدتها ثم طلقها ثم أعادها ... وهكذا.

وكان النساء يلاقين من ذلك حرجا كبيرا فلا تعد المرأة نفسها مطلقة ولا متزوجة ولا تشعر بأن حياتها سعيدة أو شقية ، إنما هى فى يد الزوج يتحكم فيها كما يشاء دون أن يكون لها أى حق فى الاعتراض عليه ومحاولة وقفه عن طغيانه .

ومما يدل على ذلك ما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس قال : « كان الرجل يطلق امرأته ثم يراجعها قبل انقضاء عدتها ثم يطلقها ، ثم يفعل ذلك يضارها ويمضلها أى يمنعها بذلك من أن تتزوج من غيره إذا تم طلاقها منه .

وقد استمر هذا يحدث حتى أبطله الإسلام.

روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : « كان الرجل يطلق امرأته ما شاء أن يطلق وهى امرأته إذا راجعها وهى فى العدة ، وإن طلقها مائة أو أكثر ، حتى قال رجل لامرأته : والله لا أطلقك فتبينين منى ، ولا آويك أبدا قالت وكيف ذلك ؟ قال : أطلقك فكلما همت عدتك أن تنقضى راجعتك ، فذهبت المرأة فدخلت على عائشة رضى الله عنها فأخبرتها بذلك ، فسكتت حتى جاء النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فلم يقل شيئاً حتى نزل قوله تعالى : « الطلاق مرتان : فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ، ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله ، فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ، تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون . فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره »

وفى رواية مما روى به ذلك عنها : « قالت عائشة : فاستأنف الناس الطلاق مستقبلا : من كان طلق ، ومن لم يكن طلق ، أى ساروا فى مستقبل أمرهم على ما شرعه الله تعالى من ذلك ، سواء منهم من كان قد سبق له الطلاق على غير هذا الحد ، ومن لم يكن طلق .

ومن انحرافات الجاهلية فى شأن الطلاق أيضا ، أن الرجل كان يطلق زوجته ثم يدعى أنه إنما طلقها لعبا ولهوا ولم يرد الطلاق -

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ويدل على ذلك ما ورد فى أسباب النزول ، مما أخرجه ابن أبى عمر فى سنده ، عن أبى الدرداء قال : « كان الرجل يطلق ، ثم يقول « لعبت » ويعتق ثم يقول « لعبت » ، فأنزل الله تعالى قوله : « ولا تتخذوا آيات الله هزوا » .

ولقد أنف بعض النساء فى الجاهلية تحكم الأزواج فى زوجاتهن بأسلوب العضل والمضارة الذى ذكرناه ، فكن يشترطن على أزواجهن أن يكون أمرهن بأيديهن ، إن شئن أقمن وإن شئن تركن معاشرتهم وأوقعن الطلاق ، وذلك لقدرهن وشرفهن واعتزازهن بما لهن من كرامة ، ومن هؤلاء سلمى بنت عمرو ابن زيد الخزرجية ، وفاطمة بنت الخرشب الأنمارية وعاتكة بنت مرة ، وغيرهن .

وكان لهؤلاء النساء وأمثالهن ممن جعلن أمرهن بأيديهن عادة طريفة إذا أردن تطليق أزواجهن ، وتلك هى تحويل باب الخباء ، فإن كان بابه قبل المشرق ، حولته المرأة قبل المغرب ، وإن كان بابه إلى جهة اليمن ، حولته إلى الشام ، فإذا عاد الرجل إلى الخباء فرأى ذلك ، علم أنها قد طلقته ، فرجع من فوره ولم يدخل .

وكان الجاهليون يعرفون أنواعا من الطلاق وهى :

١ — الطلاق المعروف ، ويكون بلفظ « أنت طالق » أو « حبلك على غاربك » أو « اذهبى حيث شئت » أو « أنت مخلى كهذا البعير » .

٢ — الإيلاء وهو الحلف على ترك قربان المرأة مدة ، وغالبها عندهم سنة أو سنتان .

٣ — الظهار ، وهو تشبيه الرجل زوجته بمحرمة عليه ، حرمة تأبيد ، كأن يقول لها : « أنت على كأمى » أو « كظهر أمى » — ولما كثر التعبير الثانى فى هذا النوع سمى « ظهارا » .

٤ — الخلع وهو الطلاق فى نظير مال تبذله المرأة لزوجها ، أو فى نظير إعادة ما دفعه لها من مهر ، وقد رووا أن عامر بن الظرب زوج ابنته من ابن أخيه ، فلما دخل عليها نفرت منه ، فشكا إلى أبيها ، فقال له : لا أجمع عليك فراق أهلك ومالك ، وقد خلعتها منك بما أعطيتها .

* * *

ويتبين مما ذكرنا أن العالم قبل الإسلام كان يتنازعه مبدءان :

أحدهما : عدم الاعتراف بمشروعية الطلاق إلا فى حالة واحدة ، هى حالة الزنا من أحد الزوجين .

الثانى : الاعتراف بمشروعية الطلاق ، على تفاوت فى تقرير هذه المشروعية ، بالنسبة لصاحب الحق فيه ، وللظروف التى يستعمل فيها هذا الحق ، والأسلوب الذى يكون به ، وأن هذا التفاوت قد وصل فى بعض المجتمعات إلى حد التعسف من قبل الزوج ، رغبة فى اضطهاد المرأة ، وإهدار كرامتها الإنسانية وحقوقها الزوجية ، بل إلى حد التلهى بالطلاق واتخاذه هزوا ولعبا

فماذا كان موقف الإسلام ؟ (يتبع)

محمد محمد المدنى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الموطأ للإمام مالك

للأستاذ الفاضل بن عاشور

تمهيد :

لئن كان القرآن الكريم ، نبع نهر الثقافة الإسلامية ، فإن تحت القرآن كنبا فصلت حكمته ، وأشاعت هديه ، ثبتت ما أحكم فيه ، وفصلت ما تشابه منه .

وإن الثقافة الإسلامية لم يبلغنا سيلها سلسالا عذبا فراتا ، إلا بعد ما امتزجت ولائد تلك الكتب ، بأمهات الحكمة القرآنية فربتها وانقلبت بها كوثرا ، وإن لم تكن بذرتها ثمدا .

فهلم بنا نقف على تلك الكتب ، وقفات ترينا تكونها ، وتصرفها ، وصور ما ضمنت من معان تخريجية ، وتوجيهات تربوية ، هي التي تكاملت الثقافة الإسلامية بها بحيث لا ينفرد واحد منها بتكوين تلك الثقافة ولا تتقوم تلك الثقافة بالخلو عن واحد منها .

فإن الثقافة ليست المعرفة ، ولكنها كيفية نفسية تنطبع عليها المدارك والمعارف بحيث يكون إدراك كل ذي ثقافة لحقيقة من حقائق الوجود ، أو مطلب من مطالب المعرفة ، مختلفا في كيفيته ، عن إدراك ذي ثقافة أخرى ، فتختلف الثقافات ، ولا تختلف المعلومات ، ولذلك قيل : إن العلم لا وطن له ولا قومية ، أما الثقافة فهي بنت القوميات وربيبة الأوطان .

فالكتب التي نعتبرها ، روافد الثقافة الإسلامية ، لم يثبت لها هذا الاعتبار بجمعها معلومات عن الإسلام ، أو تقريرها أحكامه وآدابه ، ولكنها كتب ضمنت من الصور وجمعت من المثل ، وفصلت من الدقائق وقربت من الأذواق ، ما يتكون من مجموعه أو نفسي ، يحصل من الاتصال بذلك الكتاب تتربى به النفس على صورة من الإدراك ، تتكامل أجزاؤها من بين ذلك الكتاب وأمثاله حتى تحصل فيها الكيفية التي يختلف بها إدراك المسلم للمعاني والحقائق ، عن إدراك غيره فتلك هي الثقافة الإسلامية ، وتلك روافدها .

الموطأ لعموم مالك :

حقا ، إنه ليس لنا ، معاشر المسلمين ، فيما للأمم من كتب ، إلا كتاب واحد وهو القرآن وإن الحرص على أن يبقى ذلك الكتاب لا ريب فيه ، ساميا عن أن يدنو غيره من منزلته ، لم يزل شأن الملة الإسلامية ، أخلافا عن أسلاف .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ثم إن من يذكر ما وقع فيه أهل الأديان المتقدمة من زيغ وباطل وضلال ، حين كتبوا الكتب المتضمنة غير الوحى الإلهى فتعبدوا بكلمتها واتخذوها صحف الملة ، ومرجع الدين ، وقدسوها وعكفوا عليها وألزموا الناس باتباعها ، ومن نفذت إلى روحه قوارع القرآن العظيم فى نعيه على هؤلاء فعلهم ، فاقشعر جلده من خشية الله أن يصيبه بما أصابهم ليشتد حذره من ذلك ، ويقوى حرصه على أن يباعد ما بينه وبين الشبه بهؤلاء الذين ورد فيهم مثل قوله تعالى : « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ، ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل لهم مما كتبت أيديهم ، وويل لهم مما يكسبون » .

كذلك مضى السلف الصالح لهذه الأمة الإسلامية ، على أن يحموا عقيدتهم من أن تتعلق بأثارة من علم مكتوب تنزل من عقيدتهم منزلة الشىء المخالط لكتاب الله تعالى ، أو المعقب له مثل ما وقع فى مخالط التوراة والإنجيل وعقب عليهما . من التلمود والمشنا بالنسبة إلى العهد القديم ، أو أعمال الرسل والرسائل بالنسبة إلى العهد الجديد .

ولما كتبت المصاحف ، كان الحرص قويا على أخذ الحيطة من أن يوضع مع كلام الله غيره ، مجموعا إليه بين دفتى مصحف واحد .

ومن ذلك ما يؤثر عن أمير المؤمنين عثمان ابن عفان رضى الله عنه ، من أنه لم يرتض من سيدنا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، فعله فى كتب القنوت والتشهد وغير ذلك فى مصحفه محاشاة للمصحف الكريم عن أن يشمل شيئا غير القرآن ، فإن عثمان وإن كان يعلم أن عبد الله بن مسعود لا يغلط فيعتبر من القرآن ما ليس منه ، وأن عبد الله لا يختلف مع عثمان فى ذلك فإن فيمن سيأتى به الزمان من الأخلاف ، من قد يغلط فى ذلك أو يبتدع فيه ، فيئول به غلطه أو ابتداعه إلى أن يختلط كلام الناس بكلام الله ، اختلاطا يلزم الأمة من أمر ذلك ما لا يلزمها فى دين الله ، كما وقع من الذين مضوا قبلنا ممن جعلهم الله عظة لنا .

وكذلك كلما جاءت الرغبة فى أن تجمع أقوال النبى صلى الله عليه وسلم وأعماله ، تحسن لرجال من القائمين بخلافته فى أمته من بعده ، كتابة ذلك ، قامت الخشية من الفتنة ، والحرج من البدعة ، ما نعا من إنجاز تلك الرغبة ، لاسيما إذا كانت الكتابة من الصحابة الذين جاء بتزكيتهم القرآن وأجمعت الأمة على أنهم قدوتها ، وأن أحدا من سواهم لا يبلغ مقامهم فى الدين ولا يدانيه .

فكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، كلما خطر له خاطر كتابة الأحاديث

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والسنن النبوية ، استشار واستخار ، ثم أحجم عن ذلك شاكا ، وأعرض عنه قاطعا يقول . « ذكرت قوما من قبلكم كتبوا مع كتاب الله كتبا ، فاكبوا عليها ، وتركوا كتاب الله ، وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيء » .

ولقد كان في هذه الصرفة الإلهية ، قانون فاصل ناهيك به من فاصل ، بين القرآن العظيم الذي هو نبع نهر الثقافة الإسلامية ، وبين ما أتى بعده من روافد انصبت إلى ذلك النهر هو فاصل قرن كامل ، ينتظم ثلاثة أجيال من الأمة ، الصحابة والذين يلونهم ، والذين يلونهم لم يكن فيه للدين من كتاب غير القرآن ، وكان مع ذلك انتشار الدين مطردا ، ودولته متسعة وفقهاؤه مجتهدين في إقامة شريعته . وطريقة رسولهم الأعظم صلى الله عليه وسلم ، في تقرير أحكام الدين والاجتهاد فيه ، موقرة في نفوسهم لا يرجعون فيها إلى سفر ، ولا يفتشون لأجلها صحيفة .

وكانت أقوال الرسول وأعماله وتقريراته ، تصل إلى المجتهدين بطريق الرواية الفردية معرضة إلى ما تتعرض إليه الروايات والأخبار من تحر في النقد ، وحاجة إلى الأخذ والترك ، والتعديل والتجريح حتى حصل من تتابع ذلك ، جيلا فجيلا ، شعور بأن ليس للفقه في الدين مرجع ضروري بعينه ، إلا ما تطابقت عليه الروايات تطابقا أحله بمحل المنقول بالتواتر ، أو ما تواردت عليه أقوال المجتهدين تواردا تدرج به في سلم مراتب الإجماع ، بحيث أصبحت العلوم المستند إليها في تقرير الأحكام الفقهية وليست جزئيات قطعية الأعيان في ذاتها يرجع إليها كما يرجع إلى نصوص القوانين ، ولكنها خلاصات كلية نشأت من استقراء موارد التصرفات النبوية في تطبيق أحكام الدين ، من باب الفقه ، وما الفقه إلا استنباط من مدارك الشريعة أو أصولها التي هي الدلائل الإجمالية المستمدة من كلام الوحي . والسنة في ذلك مثل القرآن لأنها أيضا وحي يوحى . ولكن ليست السنة مادة تلقينية للفقيه يجد فيها الأحكام مفصلة تفصيلا جزئيا ، ولكنها مادة تخريجية يستنبط منها الفقه الأحكام التي يكون هو واضعها في مجالها بصورة جزئية فمدارسة السنة ، إذن ، أمر ضروري لا يقسم للفقيه عمل بدونه ولكن السنة لا تقرر بذاتها الحكم الشرعي تقريرا مباشرا جزئيا . حتى ينضم إليها عمل الفقيه ، الذي هو النظر والفهم ، وتحقيق الصور بمتفقاتها ومفترقاتها ، ونقد طرق الرواية وتأويل المختلف منها بالجمع أو بالترجيح ، فمدارسة الفقيه لجزئيات السنة تكون فيه أثرا هو أقرب إلى الآثار التوجيهية التربوية ، بحيث لا يمكن أن يعتمد تلك الجزئيات جميعها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولكنه يتصرف بالملكة الحاصلة من جميعها فالصرفة الإلهية التي تأخر بأثرها تدوين السنة إلى منتصف القرن الثاني هي التي هيئت الأمة لإدراك مقام السنة من التشريع حتى لا يخيل إليها أن هناك كتابا لازما لتقرير أحكام الدين لزوم القرآن أو قريبا منه حين تدرك أن السنة لم تدون بالكتابة إلا بعد مضي الفقه أشواطا مستندا إليها متصرفا فيها وبعد أن استوى الناس بانقراض الصحابة فلم يبق فيهم إلا راد ومردود عليه فبذلك تكونت داعية تدوين السنة ناشئة من الفقه، بعد أن أمن الفقهاء من أن يكون في كتابة السنة في منتصف القرن الثاني ما كان يخشى من ذلك في أوائل القرن الأول، فلما قام الفقه، واستقرت المذاهب، وتأصلت حركة الاجتهاد جاء تصنيف السنة تحريرا لعمل الفقهاء وشد للأثر بالنظر، وتقريبا للناس من إدراك مقام الاجتهاد، ومخالطة عمل المجتهدين، إذ يريهم ما أخذوا به من السنن، وكيف تصرفوا في فهمه التصرف الذي أنتج لهم ما قرروا من الأحكام. ولذلك لم يزل الناس يجدون في كتب السنة الأولى مجاذب ناحيتين: يتركهم متساءلين عن أيتهما تغلب، ويمثل ذلك نظروا إلى أول هذه الأوضاع السنية وأقدمها وهو الموطأ فلم يزالوا يتساءلون هل الموطأ كتاب فقه أو هو كتاب حديث.

«ليس العلم بكثرة الرواية وإنما هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء». بهذه الكلمة خط الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه منهجه في العلم، وعليها بنى صنيعه في كتابه الذي ابتدأنا به، في روافد الثقافة الإسلامية، كتاب الموطأ: فقد جعل هذا الكتاب قليلا من كثير، هو القليل الذي أثبته، وحدث به وأشاعه في الناس من الكثير الذي رواه وحفظه وكتبه، ثم تركه فلم يحدث به ولم يعتمده، وحال بينه وبين الناس وبذلك كان مالك لهذه الأمة إماما هاديا أراها كيف تخدم الفقه بالعلم وتجمع بين الأثر والنظر، وتقيم معيار النقد للأخبار المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى لا يختلط عليها من أمر دينها، ما ينافي عصمته، ويخل بأحكامه.

فلقد شاع الاهتمام بآثار النبي صلى الله عليه وسلم، قولا وفعلا وإقرارا شيوعا ملأ القرن الأول اهتماما بالأثر، وانصرافا إلى السنة وشاع الاهتمام بآثار الصحابة وأقوالهم وهديهم شيوعا وسع نطاق الأثر، وضخم ثروة السنة في ذلك القرن وكان من طبع هذا الشيوع بما قارنه من قصد إلى ترك التدوين وانصراف عن كتابة الحديث بل وتحذير منها لما شرحناه من أسباب ذلك، أن النقل الذكري للآثار السنية قد تعرض إلى شيء كبير من

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الاختلاط أحوج إلى تمحيص دقيق و نقد عميق ، و لقد اهتم العلماء ببيان مداخل الاشتباه وعوامل الضعف وأسباب الوضع بما أغنى ويغنى وقارن كثرة تلك العوامل من موجبات الاختلاط حب بليغ فى نفوس الأمة الإسلاميه لنبيها الأكرم وشغف بأخباره وآثاره على نحو ما قال سلطان العاشقين :

أسعد أخى وغنى بحديثه
وانثر على سمعى حلاه وشنف
لأرى بعين السمع شاهد حسنه
معنى فأتحفنى بذاك وشرف

وفى هذه العاطفة الكريمة ما يغطى على كثير من مداخل الخطأ فى الحديث منه . ويمهد سبلا لرواج أحاديث لم يتقنها ومواقع النقد حسن الظن ، وزيفها سوء القصد .

على أن فى المعارف المستخلصة من تأويل مختلف الحديث المختزنة فى قلوب أهل الفقه والرأى بما قذف الله فيها من أنوار ما هو كفيل بتخليص الزيف من الصحيح وتمييز الحق من الباطل وأنها حقا لطريقة مثلى ، ومنزع غريب تلك التى يتمكن بها فكر المستنير من تتبع جزئيات نظرية ظنية حتى يستخرج من استقرائها معارف يقينية ضرورية ثم يستمد من تلك المعارف التى صارت عنده ضرورية مقاييس نقدية سليمة ينعطف بها على نفس تلك الجزئيات التى استقرأها أولا فيتمكن من تقويم بعضها ، وتعديل بعض وإلغاء بعض آخر مستعصما فى ذلك التقدير النقدى ، بما استنار فى خلده من معرفة يقينية حاصلة من مجموع تلك الآثار ، وليست ماثلة فى جميعها .

ذلك هو المنوال الذى نسج مالك ابن أنس عليه موطأه ، وذلك هو المنهج الذى وصفه وقربه الناس فوثقوا به ، وأقبلوا عليه ، وقوموا به علما إسلاميا جليلا : هو علم الحديث الذى ليس هو كما يظن الواهمون رواية المتون والاسانيد ولكنه البصر فى نقدها ، وطول الباع فى تناول الثابت منها وطرح الزيف المخالط لها ، وقديما قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : « بحسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع » . ومن هنا سلك المنوهون بكتاب الموطأ والمعرفون للناس بعظيم شأنه فى الدين مسلك المقارنة بين ما روى مالك وما خرج فيه وانتهجوا نهج التدليل على مكانته ببيان ما حذف منه بعد ما أثبت ، وما نقص بعد ما وفى فقد نقل القاضى أبو بكر بن العربى فى كتاب عارضة الأحوذى شرح صحيح الترمذى : أن مالكا روى مائة ألف حديث جمع منها فى الموطأ عشرة آلاف ثم لم يزل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يعرضها على الكتاب والسنة ويقارنها بالآثار والأخبار حتى رجعت إلى خمسمائة . ونقل القاضي عياض في المدارك أن مالكا وضع الموطأ وفيه أربعة آلاف حديث أو أكثر ومات وهي ألف حديث ونيف يخلصها عاما بعد عام بقدر ما يرى أنه أصلح للمسلمين وأمثل في الدين .

وكان هذا العمل التمحيصي النقدي الذي أتاه مالك في الموطأ مبنيا على أن بيئة الفقه في المدينة قد حوت من مختلف الآثار ورسوخ السنن المتصلة ما يمكن القائم على فقه مجتهديها أن يجعل من مجموع المروي عنهم سندا لتصرفه في الأحاديث بالنقد والتمحيص وذلك مرجع مذهبه في الاحتجاج بعمل أهل المدينة احتجاجا يسمو منزلة على منزلة أخبار الآحاد لأنه ليس شيئا مأثورا عن واحد، وإنما هو معرفة مستنبطة من مجموع أشياء مأثورة عن كثيرين ففي الموطأ أثر نبوي ، وفيه مدارك اجتهادية متلاقية بين الفقهاء من الصحابة فمن بعدهم ، وفيه سنن عملية مأثورة منقولة بطريق الاستفاضة عند أهل المدينة وفيه اجتهادات شخصية لمالك . فالآثار النبوية بعضها منقول بطريق الإسناد ، وهي ستمائة حديث موصولة سلسلتها من مالك إلى النبي صلى الله عليه وسلم بذكر أسماء الرواة واحدا عن واحد ذكر تعيين وهي التي اعتمدها جميع المحدثين ، وزكوا أسانيدها وخرجوها عن مالك في كتبهم ، ورويت عنه في صحيحي البخاري ومسلم .

ومنها أحاديث لم تتصل أسانيدها إما لعدم التصريح بسماعها من النبي صلى الله عليه وسلم، وهي الموقوفة . أو لعدم تعيين الصحابي الذي سمعها منه ، وهي المرسلة وهذه الأحاديث الموقوفة والمرسلة التي في الموطأ ، وإن لم يروها رجال الصحيح ، بعد مالك عنه ، لأنهم يختلفون معه في الاستدلال بالمرسل والموقوف ، إلا أنهم رووها من طرق أخرى ليس فيها وقف ولا إرسال فثبتت من تلك الطرق عن غير مالك موافقة لما خرجها به مالك مرسلة أو موقوفة ، فكان ذلك آية توثيق ، وحجة تزكية زائدة لحديث مالك عند أهل الصحيح ، بحيث أن كل ما ورد في الموطأ ، مرسلا او موقوفا . قد ثبت مسندا عند أهل الصحيح ، إلا أربعة أحاديث معروفة . وأما المدارك الاجتهادية المتفق عليها فهي التي يقول مالك فيها ، الأمر الذي أدركت عليه أهل العلم ببلدنا، ويقول «الأمر المجتمع عليه عندنا» . وأما السنن العملية المأثورة فهي التي يقول فيها : «الأمر عندنا» . وأما اجتهاداته الشخصية فهي التي يقول فيها «في ما نرى والله أعلم» .

وقد حمله جمعه لهذه الفنون من العلم على

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

اختلافها أن يسلك بينها مسلك الترجيح الذى لا يعتمد على سلامة الإسناد ، وفقه الرواة وإتقانهم فحسب ، بل يتعدى ذلك إلى النظر فى المعانى ، والاجتهاد فى الأقيسة والاستحسانات ، حتى ينتهى به ذلك إلى أن يروى الأحاديث مسندة من أوثق السلاسل عنده ، وهى السلسلة المشهورة عند علماء الحديث بسلسلة الذهب « مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر » فيخرج بها حديث « المتبايعان كل واحد منهما بالخيار على صاحبه ما لم يتفرقا » ثم يقول « وليس لهذا عندنا حد معروف ولا أمر معمول به » . فيبقى الحديث المروى بمنزلة التعطيل مع كونه سليم الإسناد عملا بمقتضى المعارض له من سنة عملية مشهورة ، واجتهاد بالرأى . فعلى ذلك بنى الموطأ على الاختيار ، والنقد ، وشد الأثر بالنظر ، ومعارضة الأخبار والأقيسة والآثار والاجتهادات بعضها ببعض . فروى عنه الآثار من وافقه على محاملها ومعانيها ، ومن خالفه فى ذلك . فكان الرواة عنه من المخالفين له فى المعانى والمحامل ، مجردين للأحاديث عما اتصل بها من فقه ، أو مصرحين بالمخالفة فيه ، فهم مقتبسون من الكتاب اقتباسا لا آخذون بجملته ، لأنه فى جملته كتاب فقه لا كتاب حديث ، لم يقصد منه تبيين ما روى ، وإنما قصد منه تحقيق ما اجتهد ، وإسناد ما نظر ، فما مورد الأحاديث فيه إلا مورد الأدلة للفقه ، والمدارك للأحكام .

« للبحث بقية »

الفاضل بن عاشور

محاورة بين الحجاج وأعرابى زاهد

قال الأصمعى : خرج الحجاج ذات يوم فأصحر ، وحضر غداؤه ، فقال : أطلبوا من يتغدى معنا ، فطلبوا فلم يجدوا إلا أعرابيا فى شملة ، فأتوه به . فقال له : هلم : قال له : دعانى من هو أكرم منك فأجبته قال : ومن هو؟ قال : الله تبارك وتعالى دعانى إلى الصوم فأنا صائم . قال : صوم فى مثل هذا اليوم على حر ؟ قال : صمت ليوم هو أحر منه . قال فأفطر اليوم وصم غدا . قال : ويضمن لى الأمير أن أعيش إلى غد ؟ قال : ليس ذلك إلى . قال : فكيف تسألنى عاجلا بآجل ليس إليه سبيل ؟ قال : إنه طعام طيب . قال : والله ما طيبه خبازك ولا طباخك ، ولكن طيبته العافية . قال الحجاج : ما رأيت كاليوم أخرجوه عنى .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نفحات القرآن

مقام النبوّة فوق سَفاهة السّفهاء

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

(ا) ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن .
(ب) قل أذن خير لكم يؤمن بالله ، ويؤمن للمؤمنين ، ورحمة للذين آمنوا منكم .
(ج) والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم .

١ — نرى للقرآن الكريم حملة مستمرة على النفاق والمنافقين .

وإذا شئت أن تتقصى معايب هؤلاء المسخوطين وجدت نفسك أمام ظلمات بعضها فوق بعض .

ووجدت من شنائعهم ما ينزل بهم عن المستوى الإنساني ، بل ما يخرج بهم عن الآدمية المتعقلة .

كانوا لا يكفون عن سفه القول عامة ، ولا عن الغمز في شخصية الرسول ولا أهله ولا أصحابه .

وكيفما استطاعوا فهم هدامون للإسلام قديما .

وعلى منهجهم يسير المنافقون المقلدون .

وطالما تكلمنا وتكلم أسلافنا ومعاصرونا عن المنافقين ، ومخازيهم في الدين ، وفي المجتمع .

وفي الآيات التي مضت شيء من مساوئهم وجهات أن تنتهي مساويهم إلى حد من الإسفاف .

٢ كانوا فيما بينهم يتناولون الرسول بالغمزات والمطاعن ، فقال قائل منهم — يوما لا تتحدثوا بهذا لئلا يبلغ محمدا ما نقوله ، فيفعل بنا ما نكره .

فأجابه من أجاب : إذا عرف محمد : أنكرنا وحلفنا له على النفي ، ومحمد يصدقنا فيما نقول له دائما . لأنه أذن ، يعني يسمع ، ويصدق دون تمييز بين صدق وكذب .

ولفظ الأذن مبالغة منهم في وصف النبي بكثرة ما يسمعه ، حتى كأنه كله أذن للسمع .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والله تعالى يكشف لرسوله عن هذه النجوى الممقوتة ، ويلقنه الجواب الحاسم فى قوله :

(ب) قل : هو ـ الذى تتحدثون عنه فى نجواكم أذن حقا كما تصفونه ولكنه أذن خير لكم ، يسمع من جانب الله ما يبلغكم ليهديكم به ، ويطلعكم بحلمه ، فيصدق ظاهراً ما تدعونه من الإيمان ، ويقبل اعتذاركم حينما تعتذرون عن الجهاد ، ويتيح لكم أن تجلسوا فى مجلسه ، ولا يفضح أمركم ولا يعاملكم بما تستحقون من تنكيل ..

وهذه مرونة الإسلام فى إمهالكم ، وسياسته فى الدعوة إلى الإيمان كما أرادها الله ، حتى تكون منكم توبة وتصديق ، أو يكون لله شأن فيكم .. وذلك كله خير لكم لو تعقلتم !!

والنبى أعز مكاناً مما تسفهون به ؛ فهو يؤمن بالله أصدق الإيمان ، فلا يزيغ كما تزيغون ، ولا يكذب على الله كما تكذبون .

وهو يؤمن ويصدق المؤمنين غيركم ، ويستجيب لهم عن طمأنينة .. لأنهم آخذون بأدب الإسلام .. فلا يتناجون بالسوء ، ولا يتمنتون فى سؤال ، ولا يتحللون من تشريع .

وهذه تزكية للمؤمنين ، وفيها تعريض واضح ببعض نقائص المنافقين ، فوق ما سيقت له الآيات من حديث النجوى .

٣ ـ وفوق ما تقدم من تبرئة النبى ، ووصفه برسوخ الإيمان ، واطمئنانه إلى المؤمنين فهو رحمة من الله بالنسبة للمؤمنين ظاهراً ، حيث يفسح صدره لهم ، ويتغاضى عن أخذهم بما يستحقون .

وهو رحمة ـ كذلك ـ للمؤمنين الصادقين ، حيث كان سبب هدايتهم .

غير أنه رحمة للمؤمنين فى الدنيا والآخرة . ورحمة فى الدنيا فقط للمنافقين .

وإذا كان النفاق والسفه نقيصة منكرة ، فهما مع الرسول أشد نكراً ، ووضاعة .

وما يكون غمزاً فى الرسول من ناحية شخصه أو رسالته ، أو أهله ، أو أصحابه : فهو بالنسبة إلى جانب الله أفبح من كل قبيح ، لأنه تكذيب صراح لكل ما جاء من جانب الله تزكية للرسول فى هذا ..

ولن ينال محمداً شىء من هذا السفه : لأنه فى عصمة الله من شوائب النقص ، وفى رعاية الله أن يعلق به شىء مما يقال على ألسنة السفهاء .

٤ ـ والله ـ تعالى ـ يتولى بجبروته جزاء السافهين على رسوله فيقول :

(ج) « والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم » .

أرأيت : أن الله يتوعد بالعذاب الأليم كل من يؤذى عبده ورسوله محمداً ، وإن كان النبى فى نجوة من علوق الأذى به ؟؟

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إن مقام النبوة لأكرم على الله أن يقربه إنسان بسوء فالويل لمن يحاول الغمز فى هذا المقام، ولو بتلويح من منكر القول وزوره، ولو كان الغمز عن طريق غير مباشر: كأهله، وأصحابه.

٥ — وقد أفاض القرآن فى الثناء على رسول الله، وعلى أهله، وأصحابه: حتى لا يستهين إنسان بتوريط نفسه فى المساس بجانب النبى — صلى الله عليه وسلم — من أى ناحية تتصل به.

وصفه القرآن بمناقب ثلاث: فقال: «عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم. بالمؤمنين رءوف رحيم» فالنبى صلى الله عليه وسلم يشق عليه أن يقع الناس فى مخالفة شريعته الحقة... وهو حريص على تحقيق النفع للمؤمنين... وهو بالمؤمنين شديد الرفق، فلا يكلفهم ما يصعب عليهم ولا يختار لهم إلا الأيسر من الطاعات. وهو رحيم بهم، فلا يواجههم بمكروه، ولا يدع سبيلا لليأس إلى نفوسهم وإنما يهون عليهم، ويجنح إلى التيسير فى دينهم وفى دنياهم. فمن كانت هذه صفاته فلا يليق الغمز فيه، ولا الغض من شأن أهله أو أصحابه فهذا يؤذيه.

٦ — وقد كانت للمؤمنين — قديما — بعض هفوات لا يلحظونها إزاء الرسول، ولكن الله عليهم حكيما: حفاظا على الأدب مع الرسول حتى لا يناله الأذى منهم، ولو عن غير عمد وانظر إلى قوله تعالى: «يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى: إلا أن يؤذن لكم إلى طعام، غير ناظرين إناه. ولكن إذا دعيتم فادخلوا، فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث، إن ذلكم كان يؤذى النبى فيستحى منكم والله لا يستحى من الحق..» إلى أن قال: «وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا، إن ذلكم كان عند الله عظيما».

فهذه آية تزجرهم عن هفوات لم يكونوا يفطنون لها، حتى لا يدخلوا بيت النبى إلا بإذن، فإذا دعاهم إلى الطعام، جاءوا على موعده دون مبادرة عن وقته كثيرا فإن ذلك مدعاة الانتظار.. وهو غير لائق، ومدعاة التطلع إلى ناحية الطعام، وقد يقع النظر على غير ما يراد أن يعرف من شئون البيت وفى الآية أمر بالانصراف بعد الطعام.. دون إطالة فى الحديث. فإن كل ذلك كان يؤذى رسول الله، لما يجر إليه من المحذور. وخاصة فى تلك البيوت الضيقة التى لا تسمح بالمكث لغير أهلها والنبى كان يخجل أن يصارحهم بالانصراف، والله لا يستحى من مصارحة عباده بما هو حق، ويعلمنا ألا نتحرج من قول الحق.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

٧ — وفى الآية نهى للمؤمنين عامة عن التزوج بإحدى زوجاته ، بعد أن يفارقها الرسول : حيا أو ميتا . فيقطع الله ، خواطر من كان يحدث نفسه بذلك من المسلمين قبل معرفة الحكم ، ويصرح الله فى القرآن بأن هذا الإيذاء يعتبر عند الله جرما عظيما .

وهل كان يليق بمسلم أن يستحوذ على من كانت حليلة لسيد الناس ، وخاتم رسله ؟ ؟ أو كان يليق بمن كانت فى حيازة الرسول أن تنزل عن مكانتها من معاشرة النبى إلى معاشرة من دونه منزلة ، وأبعد من مكانته إلى غير حد يحيط به الخيال ؟ ؟

ولقد رفع الله منزلة زوجات الرسول ، حتى اعتبرهن أمهات المؤمنين ، وليس فوق مكانة الأم سموا فى التقدير ، والصيانة ، والمهابة ، وواجب المحبة الخالصة .

كذلك كان من ثناء القرآن على رسول الله وعلى أهله ، النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم ، وكان الصحابة يحبونه أكثر من أنفسهم ، ويذودون عن شخصه بأجسامهم ، وأرواحهم ، بما يخافونه على حياته .

فإنه خير للجميع ، وأولى بالحياة من أى إنسان سواه .

وأما نفس الإنسان فتأمره بالسوء ، وتجنح به إلى الهوى ، وقلما يكون منها اتجاه إلى الخير إلا بمحاولة الأخذ بتشريع محمد عليه السلام . فكيف لا يكون النبى أجدر بحبنا له .

وإن كانت محبة الإنسان لنفسه أمرا فطريا فإن هذه الفطرة بحاجة إلى تهذيب وتثقيف ، حتى يعلم المرء ما له وما عليه فى جنب الله ، ورسوله .

٨ — وكما أشاد القرآن برسول الله ، وأهله : فقد أشاد بصحابته ، وبشر بعضهم بالجنة وهو على قيد الحياة . . وشهد لهم بالاستبسال فى مقاومة المشركين ، واعترف لهم برضوان الله عليهم لصدقهم فى بيعتهم للنبى تحت الشجرة يوم الحديبية ، لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة » .

كما أفاض فى الثناء على جهادهم معه ، ونصرهم له ، وبذلهم الأرواح ، والدماء ، وتضحيتهم بالأموال ، واحتمال فرقتهم للأهل ، والوطن فى تأييد النبى ، وإعلاء كلمة الله . .

وإلى جانب الآيات فى كتاب الله : أوصى النبى - صلى الله عليه وسلم - بأصحابه ، وحضنا على الاقتداء بهم فى تدينهم ، وفى علمهم ؛ لأنهم الأمناء على تراث النبوة . . ولهم فى الفضل والتكريم ما يسمو بهم على الغمز فيهم ، أو التشكيك فى سيرتهم ، وما كان منهم إلا متابعة للكتاب والسنة ، وما اجتهدوا بعد الكتاب والسنة إلا ليهتدوا إلى الحق

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ما استطاعوا وإن يكن لبعضهم مواقف تتسع للنظر والتعليق : فهو اجتهادهم ، ولهم عذرهم.

وليس من صالح المسلمين قديماً ، ولا حديثاً أن نثير حول الصحابة خلافا . ولا أن نقحم أنفسنا فى تلك المقامات التى رفع الله من شأنها وأسبغ عليها رضوانه .

٩ - وإن ناسا من خلق الله تجاوزوا قدرهم ، وتشيعوا لصحابى ، على صحابى ، وخرجوا عن أدب الإسلام ، وتمذهبوا بمذاهب فيها عصبية جامحة ، وفيها إسراف فى الاختلاق ، حتى تجاوزوا توجيهات القرآن والسنة ، وانحرفوا كثيرا عن الصواب .

وحتى رفعوا بعض الصحابة إلى مقام فوق مقام الصحبة ، ونزلوا ببعض الصحابة إلى المقام الدون ...

والصحابة جميعا كالنجوم بشهادة النبى لهم ، ويجب أن نتقى الله فيهم كما أمر النبى بذلك . .

وعلينا أن نقتدى بهم ، فان الاقتداء بهم سبيل التقوى لله ، كما هو الأمر المنشود ...

١٠ - هذا التشيع وما يتصل به من أوضاع ممقوتة ، وما تعلق بذلك من تهريج فى الدين ، واختراع ما لا يستسيغه العقل من أباطيل الباطنية ، ونحوهم . كان ذلك كله شؤما على وحدة المسلمين ، وكان افتياتا على أصحاب محمد الذين أفنوا حياتهم فى دعم الوحدة الدينية .

وما رضى واحد منهم لنفسه أن يشذ عن الجماعة : إلا باجتهاد لا يظنه خطأ ، ولا شذوذا .

تسربت هذه الجرأة فى التشيع وامتدت عدواها إلى مسلمين معاصرين .

فأخذ بعضهم يسفه ويتحدث عن سنة محمد ، ويشكك فيها دون روية ، أو مهابة أو أثارة من علم يعتمد عليها .

فإذا سمعوا حديثا لا يفهمونه قالوا : غير معقول أن يكون هذا تشريعاً للمسلمين ؟ ؟

وإذا وجدوا صحابيا كثير الرواية عن رسول الله قالوا : هذا الصحابى متهم فيما يحدث به .

بل تطاول بعضهم فنشر فى الناس كلاما ينفى فيه أن السنة كلها من عند الله ، ويقرر فى جهالة أن الدين الإسلامى قرآن فقط . . وهكذا من إرجاف المرجفين ، فيما يتعلق بالنبى ، أو برسالته أو بأهله ، وأصحابه .

وكل ذلك إيذاء للرسول بوجه مباشر ، أو غير مباشر .

وإن وعد الله ، ووعيده لحق ، وصدق الله فى قوله : « والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم » .

عبد اللطيف السبكى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وحدة الوجود والفناء في الله وتناسخ الأرواح في عقائد الدين البرهمي

للأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي

تقوم العقيدة البرهمية الهندية المقررة في الأسفار المقدسة لهذا الدين وهي أسفار « الفيدا » ، وفي قوانين مانوا ، المتحدة من هذه الأسفار على الدعائم الثلاث الآتية :

١ — وحدة الوجود : فالموجود بحق في نظر هذا الدين هو الله تعالى وحده (براهما) وليست هذه الكائنات إلا مظاهر منه فقد صدرت عنه جميع هذه الموجودات ، وسرت روحه في الجماد والنبات والحيوان .

وإلى هذا تشير أسفار الفيدا إذ تقول على لسان براهما : « إنني أنا الله نور الشمس ، وضوء القمر ، وبريق اللهب ، ووميض البرق ، وصوت الرياح ، والعرف الطيب ينبعث في الأرجاء ، والأصل الأزلي لجميع الكائنات وحياة كل موجود ، أنا الأول والآخر ، أنا الحياة والموت لكل كائن » . وتقول في موضع آخر : « إن الله واحد لأنه الجميع » (أي جميع الكائنات ، فهي كلها مظاهر منه) فهو رب الأرباب ، مالك العالمين ، وخالق السموات والأرضين » . وتبدو فكرة الوحدة واضحة كل الوضوح في سفر الفيدا تنا، وهو أحد شروح « الفيدا » ، فيقرر هذا السفر في عبارة صريحة « أن الله والنفس الإنسانية وجميع الكائنات شيء واحد » .

وهذا هو ما يعبر عنه بنظرية وحدة الوجود التي سرت إلى التصوف الإسلامي ونظريات بعض فلاسفته وبخاصة ابن عربي الحاتمي والحلاج ، وتفسر عندهم هذه الوحدة على طريقتين :

(إحداهما) أن ذات القديم كامنة في المحدثات متحدة بها ، وهي كلها مظاهر لها ، وهو القائم عليها ، أي المقوم لوجودها ، وبهذا يفسر بعضهم قول الحلاج إذ يقول مبينا حقيقة ذاته هو : « ما في الجبة إلا الله تعالى » . وتفسير وحدة الوجود على هذا الوجه مطابق كل المطابقة لعقيدة البرهميين ، ومشبه للاتحاد الذي تدعيه النصارى في المسيح .

(والأخرى) أن ذات القديم هي الموجودة وجودا حقيقيا ، أما المخلوقات فلا وجود لها إلا في الحس ، وهو وجود وهمي ، ولا يريدون الوهم الذي هو قسيم العلم والظن والشك ، وإنما يريدون أنها كلها عدم في الحقيقة ، وجود

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى المدرك البشرى فقط، ولا وجود فى الحقيقة إلا لله تعالى . ويتفق هذا التفسير كذلك مع بعض النصوص الواردة فى هذا الصدد فى أسفار البرهميين .

٢ — تناسخ الكائنات وتجوال الأرواح (السكارا) وتقرر العقيدة البرهمية أن أرواح الكائنات التى صدرت عن الموجود بذاته هو الله متجولة متناسخة ، ينتقل بعضها إلى مواطن بعض ، ويتقمص بعضها أجسام بعض ، وهذا هو ما يعبر عنه بالتناسخ أو تجوال الروح ، فهم يعتقدون أن الروح جائلة متنقلة فى أطوار شتى من الوجود ، تنتقل من جسد إلى جسد ، سواء أكان من الإنسان أم من الحيوان ، فى طريقها إلى هدفها الأخير (الذى سنبينه فى الدعامة الثالثة) ويعتقدون أن كل ما يصيب الكائن فى أية مرحلة من مراحل تناسخه إنما هو نتيجة لمقدمات وأعمال حدثت فى مرحلة ما من مراحل وجوده ، فما يصيب الإنسان مثلا من سعادة وآلام إنما يكون جزاء أو نتيجة لأعمال صالحة أو شريرة عملها فى وجوده الحالى أو فى وجود سابق ، حينما كانت روحه متقمصة كائنا آخر ، فكل عمل يأتيه الإنسان له ثمرته ونتيجته حتما وهذه الثمرة لا بد أن تحدث فى دور من أدوار الميلاد المتكررة التى تنتقل فيها الروح ، فإن لم تحدث فى الدور الذى حدث فيه العمل ، فهى لا بد حادثة فى دور من الأدوار التالية له ، ويعبرون عن هذه الفكرة بكلمة «كارما» وإلى هذا يشير العلامة أبو الريحان البيرونى فى كتابه القيم الذى ألفه عن الهنود معتقداتهم وفلسفتهم وثقافتهم وجعل عنوانه هذا البيت من الشعر :

تحقيق ما للهند من مقولة
مقبولة فى العقل أو مرذولة

إذ يقول : «كما أن الشهادة بكلمة الإخلاص إيمان المسلمين ، والتثليث علامة النصرانية والإسبات علامة اليهودية ، كذلك التناسخ علم النحلة الهندية (يقصد البرهمية) . فمن لم يعتقده لم يك منها ولم يعد فى جملتها » .

ويؤيد هذه القضية بنصوص من أسفارهم فيقول : «حقيق علينا أن نورد من كتبهم شيئا من صريح كلامهم فى هذا الباب ... قال باسديو لأرجن يحرضه على القتال وهما بين الصفين : إن كنت بالقضاء السابق مؤمنا فاعلم أنهم ليسوا ولا نحن معا بموتى ولا ذاهبين ذهابا لا رجوع معه ، فإن الأرواح غير مائتة ولا متغيرة ، وإنما تتردد فى الأبدان على تغاير الإنسان من الطفولة إلى الشباب والكهولة ثم الشيخوخة التى عقبا ما موت البدن ثم العود ، وقال له : وكيف يذكر الموت والقتل من عرف أن النفس أبدية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الوجود ، لا عن ولادة ، ولا إلى تلف وعدم ، بل هى ثابتة قائمة ، لا سيف يقطعها ، ولا نار تحرقها ، ولا ماء يغمسها ، ولا ريح تيبسها ، لكنها تنتقل من بدن إذا عتق . « بمعنى قدم أى أصبح قديماً ، لا يصلح لاحتمال الروح » نحو آخر ليس كذلك ، كما يستبدل البدن اللباس إذا خلق « أى بلى » فما غمك لنفس لا تبيد ؟ ! » .

وأما الطريقة التى يجرى بها هذا التناسخ فتتصل من بعض وجوهها بعقيدة البرهميين فى الجنة والنار . ويشرح البيرونى عقيدتهم هذه مبيناً اتصالها بمذهبهم فى التناسخ إذ يقول:

الجمع يسمى « لوك » . والعالم ينقسم قسمة أولية إلى علو وسفل وواسطة . فيسمى العالم الأعلى « سفر لوك » وهو الجنة ؛ والعالم الأسفل « ناكلوك » أى مجمع الحيات وهو جهنم ، ويسمى أيضا « نرلوك » ، وربما سموه « پاتال » أى أسفل الأرضين ؛ وأما الأوسط الذى نحن فيه فيسمى « مادلوك » و « مانش لوك » أى مجمع الناس . والأوسط للاكتساب ؛ والأعلى للثواب ؛ والأسفل للعقاب . وفى هذين الأخيرين يستوفى جزاء العمل من استحقهما مدة مضروبة بحسب مدة العمل . والكون فى كل واحدة منهما للروح مجردة عن البدن . والقاصر عن السمو إلى الجنة أو الرسوب إلى جهنم « لوك » آخر ، يسمى « ترجكارك » وهو النبات والحيوان غير الناطق : يتردد الروح فى أشخاصهما بالتناسخ إلى أن ينتقل إلى الإنس ، على تدريج من أدون المراتب النامية إلى عليا المراتب الحساسة . وكونها فيه على أحد وجهين : إما لقصور مقدار المكافأة عن محل الثواب والعقاب ؛ وإما لرجوعها من جهنم . فعندهم أن العائد إلى الدنيا « من الجنة » متأنس فى أول حياته . والعائد إليها من جهنم متردد فى النبات والحيوان إلى أن يبلغ مرتبة الإنسان » . أى إن أرواح الناس فى حياتهم الأولى تكون فى المنزلة الوسطى وهى منزلة العمل والكسب فإذا ماتوا انتقلت أرواح الخيرين منهم إلى الجنة « المنزلة العليا » تستوفى فيها جزاء العمل مدة مضروبة بحسب قدر العمل وكماله ، وانتقلت أرواح الخاطئين منهم إلى جهنم « المنزلة السفلى » تستوفى فيها كذلك جزاء عملها مدة مضروبة بحسب مبلغ جرمها وبعد استيفاء جزاء عملها فى الجنة أو فى النار تنتقل الأرواح الخيرة من الجنة إلى آدميين آخرين فترجع إلى المنزلة الوسطى ، وأما الأرواح الخاطئة فتنتقل من النار إلى الحيوان والنبات ، ومنزلة الحيوان والنبات منزلة رابعة غير المنازل الثلاث السابق ذكرها ، تستقر فيها فى بادئ الأمر الأرواح غير الآدمية لأنها قاصرة عن المنزلة الوسطى وعن السمو

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إلى الجنة وعن الرسوب إلى النار ، وتستقر فيها كذلك أرواح الآدميين العائدة من جثثهم. وهاتان الطائفتان من الأرواح المستقرتان فى الحيوان والنبات تتجولان فى أشخاص الحيوان والنبات بالتناسخ إلى أن تنتقلا إلى الإنس على تدريج من أدنى المراتب النامية إلى عليا المراتب الحساسة ، فتصبحا فى المنزلة الوسطى ... وهكذا دواليك . فالثواب والعقاب عندهم فى الجنة والنار إنما يكونان للروح وحدها مجردة من البدن ويكونان مؤقتين لأجل محدد لا دائمين .

وقد انتقلت عقيدة البرهميين فى التناسخ إلى كثير من العقائد الدينية الأخرى ، وتركت رواسب فى « الفولكلور » فى كثير من الشعوب ، حتى الشعوب الإسلامية نفسها ، فكثير من عامة المصريين أنفسهم ، وخاصة فى الريف ، يعتقدون انتقال أرواح الدائمين والموتى إلى بعض الحيوانات والحشرات .

٣ — رجوع الأرواح إلى مصدرها الأول وهو الله والفناء فى ذاته. تقرر العقيدة البرهمية أن روح كل كائن تعود فى نهاية مطافها إلى مصدرها الأول الذى نشأت منه وهو الله .

والإنسان أحد هذه الكائنات ، فيعرض له ما يعرض لها ، وروحه قطرة من نور الله انفصلت عن الله إلى أجل محدود ، واتصلت به ، ثم تتصل بعده بكائن آخر وآخر وهكذا على طريق التناسخ وتجوال الروح ، ثم تعود فى النهاية إلى الله متى جاء الأجل ، كالقطرة من الماء العذب ، تصعد بخارا من البحر ، وترقى فى السماء ، وتنتقل من جهة إلى جهة ، وقد تتحول إلى قطع من الثلج أو البرد أو غير ذلك ، ثم تسقط على قمم الجبال ، وتجرى فى الأنهار ، ثم ترجع فى نهاية مطافها إلى البحر الذى انفصلت عنه فى أول الأمر .

أو كالهواء الحبيس فى قدح مقلوب — حسب تشبيه أسفارهم نفسها — يظل منفصلا عن الهواء الخارجى وإن كان منه ، حتى يتحطم القدح ، وحينئذ يزول الفاصل بينهما ويتحدان .

فمصير كل إنسان هو الاتصال بالله والرجوع إليه والفناء فيه ، ومن ثم وجب أن يتجه كل إنسان ، فى أثناء حياته نفسها إلى غايته المقررة له ، وهى الفناء فى الله . وخير وسيلة لتحقيق هذا الفناء تتمثل فى إهمال مطالب الجسم وتعذيبه لتصفو الروح التى هى قبس من الخالق ، والإعراض عن متع الحياة والتقشف ، ومداومة العبادة ، والإكثار من الصوم بوجه خاص لما يتضمنه من حرمان الجسم من حاجاته الضرورية .

وقد انتقلت هذه العقائد والنزعات إلى التصوف الإسلامى وتأثر بها رجاله ، وما يأخذ به الصوفية أنفسهم من التقشف وتعذيب الجسم والعزوف عن متع الحياة ولذائذها

بقية المشور على الصفحة التالية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من أمجاد العلماء :

عالم مثالي يتحدى ابن طولون

للأستاذ محمد رجب البيومي

كان أحمد بن طولون استثناء رائعا بين أبناء جنسه ، فعهدنا بجنود الأتراك منذ عهد المعتصم لا يفيئون إلى خلق فاضـــل ، أو يعتصمون بدين قويم ، فهم يربون تربية رياضية تقوم على الشجاعة والفروسية وتركن إلى أساليب الاحتيال والدهاء ، ومن يصل منهم إلى مكان القيادة في القصر يوجه اهتمامه إلى المكيدة والاقتدار ، وينظر إلى الخليفة العباسي كدمية صماء يحركها أنى أراد ، فإذا عن له أن يضع الأمر في نصابه أو يتمسك ببعض حقوقه في التولية والعزل ، والإدارة والحكم ، مهدت له الدسائس السود ، لتجعله بين عشية وضحاها في غياهب السجون ! ثم يختار أمير ضئيل من بني العباس ليصير دمية أخرى يتلاعب بها الأتراك كما يشاءون !

هكذا كان جنود الأتراك ! ولكن ابن طولون قدر له أن يشب على رياضتهم الحربية فيلتقي معهم في مضمار الصيال والعراك ثم ينفرد عنهم في ثقافته الدينية فيدرس القرآن والحديث ويتأثر بما تهديه إليه روح الإسلام من إنصاف وعدالة وإيثار للخير والمعروف !

« بقية المنشور على الصفحة السابقة »

ومداومة العبادة والتهجد والإكثار من الصوم وقد نهى الرسول عليه الصلاة والسلام نهيا صريحا عن هذه المناهج المتطرفة في التدين ؛ فقال عليه السلام : « إن هذا الدين متين ، فأوغل فيه برفق ، إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » ، وفي الصحيحين عن أنس ابن مالك أنه قال: « جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته ، فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها (أي عدوها قليلة في نظرهم) ؛ قالوا : أين نحن من رسول الله وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟ ! قال أحدهم : أما أنا فأصلي الليل أبدا . وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر أبدا ولا أفطر . وقال ثالث : وأنا أعتزل النساء ولا أتزوج أبدا . فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، ولكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء . فمن رغب عن سنتي فليس مني » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من أمجاد العلماء :

عالم مثالي يتحدى ابن طولون

للأستاذ محمد رجب البيومي

كان أحمد بن طولون استثناء رائعا بين أبناء جنسه ، فعهدنا بجنود الأتراك منذ عهد المعتصم لا يفيئون إلى خلق فاضـــل ، أو يعتصمون بدين قويم ، فهم يربون تربية رياضية تقوم على الشجاعة والفروسية وتركن إلى أساليب الاحتيال والدهاء ، ومن يصل منهم إلى مكان القيادة في القصر يوجه اهتمامه إلى المكيدة والاقتدار ، وينظر إلى الخليفة العباسي كدمية صماء يحركها أنى أراد ، فإذا عن له أن يضع الأمر في نصابه أو يتمسك ببعض حقوقه في التولية والعزل ، والإدارة والحكم ، مهدت له الدسائس السود ، لتجعله بين عشية وضحاها في غياهب السجون ! ثم يختار أمير ضئيل من بني العباس ليصير دمية أخرى يتلاعب بها الأتراك كما يشاءون !

هكذا كان جنود الأتراك ! ولكن ابن طولون قدر له أن يشب على رياضتهم الحربية فيلتقي معهم في مضمار الصيال والعراك ثم ينفرد عنهم في ثقافته الدينية فيدرس القرآن والحديث ويتأثر بما تهديه إليه روح الإسلام من إنصاف وعدالة وإيثار للخير والمعروف !

« بقية المنشور على الصفحة السابقة »

ومداومة العبادة والتهجد والإكثار من الصوم وقد نهى الرسول عليه الصلاة والسلام نهيا صريحا عن هذه المناهج المتطرفة في التدين ؛ فقال عليه السلام : « إن هذا الدين متين ، فأوغل فيه برفق ، إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » ، وفي الصحيحين عن أنس ابن مالك أنه قال: « جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته ، فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها (أي عدوها قليلة في نظرهم) ؛ قالوا : أين نحن من رسول الله وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟ ! قال أحدهم : أما أنا فأصلي الليل أبدا . وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر أبدا ولا أفطر . وقال ثالث : وأنا أعتزل النساء ولا أتزوج أبدا . فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، ولكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء . فمن رغب عن سنتي فليس مني » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وقد ساعدت هذه الصفات النبيلة على تدعيم مكانته عند الناس ، فكان أبناء جنسه من الأتراك يثقون فى كرامته فلا يظنون فيه التآمر والإيقاع ، وإذا هم أحدهم بمكيدة ما تحاشى أن يلم بسرها رجل همام كابن طولون فيكون أداة لتحطيمها وهو نا عليها لا لها ، أما أمراء العباسيين وخلفاؤهم فقد ركنوا إلى رجولته ، فحين خلع المستعين بالله وأبعد إلى منفاه ألح فى اصطحاب ابن طولون ليكون حارس غربته ورفيق وحشته !

فقام على حراسته مقاماً كريما ، ثم جاءته إشارة شاذة من رؤسائه بالعمل على تدبير مصرعه ! فتعاظمه أن يكون غادراً بمن وثق فيه وأبى ن يخضع لما يريدون ! وكان أن اعتزل الحراسة ونيط بالمستعين سواه ليهدر دمه بعد سويعات ! وعاد ابن طولون إلى مقر الخلافة نظيف الخلق طاهر الضمير !

وقد تبسم له الحظ لبعض المصادفات السارة فاختير والياً على مصر من قبل سواه ، ولم يكن فى وهم أحد أن هذا الفتى التركى سيشذ عن ولاة الأقاليم فى عهد الخلافة العباسية ! فقصارى أن ينهض على تحصيل الضرائب ، وسوق الأموال إلى عاصمة الحكم ! فإذا أحب أن ينال حظوة لدى الحاكمين ببغداد ضاعف الخراج وأجزل الهدايا من الفضة والنضار ، ليضمن بقاءه بضعة أعوام فى ولايته ! وإلا فهناك من يتطلع إلى مكانه وقد أخذ على عاتقه أن يجمع المال ما استطاع !

جاء ابن طولون إلى مصر وهو حرج الصدر ضائق النفس بما يقوم به أبناء جنسه فى قصور الخلفاء ! وقد عن عليه أن توكل لهم الأمور العليا فى سياسة الإسلام ثم لا يكونوا سادة كراماً يتقيدون بالموائيق ! بل يتحولون إلى وحوش متنمرة تتصارع فى الظلام وقد يأكل بعضها بعضاً دون ثمن أو إباء ! وهم بعد ليسوا بأفضل منه فى شئ حتى يصدر عن إرادتهم ! ولو كان الخليفة العباسى مسموع الكلمة نافذ السلطان لوجبت طاعته ولكنه خاتم مستسلم لمن يسومونه الذلة والهوان ! فلا عليه أن يتزحزح عن كابوسهم الثقيل فيعهد الأسباب إلى استقلاله وانفصاله !

وهو من الحرص والحذر بحيث يستطيع أن يرسم الخطة البعيدة لتصل إلى الغاية متى تتاح دون استعجال ... درس الحاكم أحوال الإقليم . وقد استطاع فى زمن يسير أن يهدئ الفتن ويسكن الثورات ، ثم عمل بدهائه على أن يجمع فى يده أمور البريد والخراج ، فلا تستطيع الرسائل المغرضة أن تشى به عن طريق التلصص والوشاية ، ثم ليجمع من المال ما يسد ببعضه أفواه الطامعين فى بغداد ، وينشئ الدولة الجديدة بالبعض الآخر ، وقد واتته الأقدار بما يريد ، فجد من الحوادث السياسية ما ساعده على إبعاد صاحب البريد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وطرد صاحب الخراج ! وأصبح بذلك رجل مصر دون منازع ، فاتجه إلى تكوين جيش عربي كبير وأسطول بحري قاهر ، واستلك من النفوذ ما أعانه على أن يخلع نقاب الحذر عن وجهه فيقف من بغداد موقف القرين !

لم تسكت الخلافة عن طموح ابن طولون ! فقد كان الموفق ولي العهد صاحب السلطة الفعلية ببغداد ، جمع حوله الأتراك بما بذل من إقطاعات ومناصب ووعود ، وصار موضع الأخذ والرد ، وأخوه المعتمد أمير المؤمنين لا يملك من الأمر سوى اللقب وحده ! وقد تعاظم الموفق أن يقدم ابن طولون على الاستقلال ، وفهم الرجل على غير حقيقته ، فظنه ضعيفا مغترا لا يثبت لصدام ، وأرسل إليه خطابا يوحي بالتهوين والتحقير والاستعلاء ! ثم دعاه إلى تقديم الحساب والنهوض إلى بغداد في رهبة واستذلال ! وقرأ ابن طولون كتاب الموفق وابتسم ! وكأنه أراد أن يغمزه من مكمن ضعفه ، فرد عليه بأن ولي العهد قد خلع الطاعة حين حاصر الخليفة الشرعي وسلب سلطانه ، فهو في رأيه عاص ناشز مغتصب يتبوأ مركزا يستلبه بالقوة لا بالحق ، وأولى به أن يذعن لأخيه بدل أن يطمح إلى مصر ! وليس له الحق في بغداد ، فضلا عن التطاول إلى غيرها من الأصقاع ! وكان حتما أن تدور الحرب بين الرجلين ثم ينهزم الموفق فلا يبقى لديه سلاح غير الضجيج الصاخب ، فيعلن عصيان ابن طولون ، ويجاهر بلعنه على المنابر ، وخروجه على الدين !

ماذا يصنع ابن طولون وقد جاءته الأنباء أن اسمه يذكر مشيعا باللعنات على منابر الجمع في كثير من مساجد الإسلام ! لقد ساقه تفكيره إلى الدعوة إلى خلع الموفق من ولاية العهد والجهر بلعنه على منابر مصر والشام ! وأعد مؤتمرا من العلماء والوجهاء فأصدر قراره بخيانة الموفق وغدره ! وظن ابن طولون ألا يشذ أحد في ولايته عن رأيه ولكنه فوجيء بعالم خطير يعارض قرار الخلع ، ولا يجد لابن طولون حقا في إصداره ذلكم هو القاضي الفقيه بكار بن قتيبة ! فقد استطاع أن يعلن رأيه المعارض دون أن يرهب أحدا ولو كان ابن طولون !

على أننا نقرأ ما دون من تاريخ هذا القاضي فنعجب لشعوره الديني المرهف ، إذ رزق حساسية بالغة جعلته يستهول مواقع الزلل في الأحكام ! كان نظام القضاء على عهده بدائيا يدخل المدعي فيعرض شكواه ويحضر شهوده ثم يستمع القاضي وينظر فإذا ارتاحت نفسه إلى حكم أصدره مستندا إلى الدليل ، وتنتهي المسألة عند ذلك ، ولكن بكارا كان يدون كل يوم جميع ما يصدر من أحكام ثم يتفرغ في المساء إلى مراجعة أعماله ، ومحاسبة نفسه ليستدرك

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ما فاته إن عن له بعض الرأى فيما كان ! وقد بلغ من تقديره لمركزه القضائى أن دموعه كانت تغلبه حين يشتبه الأمر عليه فيستعين بصلاة الليل ليلهمه الله السداد ، قال أحمد ابن سهل الهروى : كنت ألازم غريما لى إلى بعد العشاء الآخرة ، وكنت أسكن جوار بكار فانصرفت بعد العشاء إلى منزلى فإذا هو يقرأ بصوت عال « يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب » فوقفت أتسمع إلى تلاوته المبرة طويلا ثم انصرفت فنمت فى السحر على أن أصير إلى منزل الغريم فإذا بكار يقرأ الآية ويبكى ، فعلمت أنه كان يقرؤها طول الليل !

هذه الحساسية البالغة كانت تجعله يحفظ للقضاء حرمته ويرى القاضى رجلا مثاليا يرتفع عن الميول والأهواء ويتخلق بأرقى ما سنه الإسلام من نبيل السجايا ورفيع الصفات ! قدم عليه قوم من أصحاب الحديث يروون عنه وكان محدثا إماما فى فنه يعرف مواضع الجرح والتعديل فى السند ووجوه الضعف والقوة فى المتن ، ويفيض فى ذلك بما ينبى عن رسوخ أصيل فيما يروى عن رسول الله ـ فسألهم القاضى من أى البلاد أنتم فقالوا من الرملة إحدى مدن فلسطين فسأل ما حال قاضيكم فقالوا : عفيف !! فضرب بكار كفا بكف وصاح إنا لله وإنا إليه راجعون أيقال قاض عفيف ، فسدت الدنيا ! وكأنه يرى العفة أمرا بدهيا مقررا لا ينص عليه فى جواب ! فإذا تميز بها بعض القضاة دون سواهم فقد حق البلاء ! ومن طرائفه فى ذلك أنه قال فى أحد مجالسه : ما حللت سراويلى على حـــلال قط ، يريد أنه لم يتزوج على الإطلاق فقال أحد الحاضرين ولا على حرام أيضا فصاح غاضبا : يا سبحان الله ! والحرام يذكر كأنه أمر يتوقع ! ! .

على أن تطرفه فى المحاسبة كان يلجئه إلى ما يشبه التزمت وهو بعد غير مستغرب من فقيه دقيق يستهول حرمة القضاء ويرى أن القاضى يذبح نفسه بغير سكين ، قدم عليه بمصر رجل من أهل البصرة كان رفيقه أيام الطلب بمساجد العلم هناك فأكرمه واحتفى به احتفاء عرفه الناس ثم احتيج إلى شهادة لديه فشهد عند القاضى مع رجل مصرى فتوقف عن الحكم وظن الناس أنه لا يقبل شهادة المصرى فسئل فى ذلك فكان عجيبا أن يقول : المصرى على عدالته ولكن السبب هو صديقه البصرى فقد أكل معه فى الصفر أرزا فى سمن وعسل فنفذ العسل من ناحية بكار ففتح من جهة صاحبه هذا حتى جرى العسل نحوه فقال البصرى متضاحكا : « أخرقتها لتغرق أهلها » فعلمت أنه يهزأ بالقرآن فى مثل هذا ، وبقى ذلك فى نفسى حتى ردت شهادته ! ! .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

هذه طرائف تنبيء عن تحـــوزه المفرط الذى جاوز كل حد ! وطبيعى أنه لم يكن يختص به فريقا دون فريق فقد كان يلتزمه مع ابن طولون نفسه دون تحرج أو خشية : مات رجل وعليه دين للأمير فطلب عامل الخراج من أحمد بن طولون أن يأمر القاضى ببيع داره فأرسل ابن طولون إلى بكار فى ذلك فقال حتى يثبت عليه الدين فأثبتوه وسألوه البيع فقال حتى يثبت عندى أنه ملكه ، فأثبتوه وسألوه البيع ، فقال حتى يحلف من له الدين فجاء ابن طولون وحلف أمامه فقال بكار أما الآن فقد أمرت بالبيع .

وقد كان ابن طولون يعلم من مواقف القاضى الصريحة أنه لا يهاب فى شيء بل يجهر بالحق على رءوس الأشهاد لقد كان فى مجلسه ذات مرة فتخاصم رجلان فقال له احكم بينهما فنظر فى القضية وتوجهت اليمين على أحدهما فاستحلفه فلما فرغ قال له الخصم : استحلفه أيها القاضى برأس الأمير فصاح بكار غاضبا : ياهذا قد حلف بالله وهو أعظم من الأمير فقال بل استحلفه برأس الأمير فقال له بكار تحلف برأسه فقال الرجل لا ، فصاح القاضى ياعدو الله تحلف بالله خالق السموات والأرض وتمتنع أن تحلف برأس مخلوق مثلك ، وأخذ ينظر للأمير وهو يقلب كفا على كف !ولا ندرى كيف أدرك ابن طولون إذ ذاك ضعف البشر وانهيارهم فابتسم الرجل وحظى عنده بعد ذاك ! !

إن رجلا مهيبا كبكار لا ينظر إلى الخلاف بين ابن طولون والموفق نظرة تتملق صاحب الأمر فى بلده بل نظر إليه من وجهة الحق كما يلوح فى نفسه ! فقد أدرك لفوره أن الحكم بخلع الموفق من ولاية العهد بعد أن أسندت إليه لا يرجع إلى ابن طولون وحده حتى يتصدون سائر رعايا الخلافة العباسية أمرا خطيرا كذلك الأمر ! وهو بعد ان يعقب غير فتنة مسلحة حمراء تقوم بين القاهرة وبغداد تسيل من ورائها أنهار الدماء وتتساقط آلاف الرقاب ! ! ثم إن خلع الموفق لن يغير من الأمر شيئا فسيخلفه إنسان على شاكلته ، وسينفتح مجال التآمر والدسائس لرؤساء القصر العباسى من جنود الأتراك وزعمائهم ؛ فإذا كانت مصلحة ابن طولون الشخصية تقتضى خلع الموفق فإن ما يعقبه من أهوال تشيب لها الرءوس يحتم على القاضى أن يجاهر بالمعارضة ، فليعلن ابن طولون استقلاله عن بغداد كما يشاء ، أما أن يحرض على التبعية الاسمية فى ظل خليفة دون ولى عهده فهذا ما تتسع له نوافذ الشر فيندلع اللهيب ويحترق الناس .

طعن الأمير فى آماله حين واجهه بكار بالرفض الصريح ! ووقع ابن طولون بين عاملين إما أن يرجع عن خلع الموفق فيثبت بذلك سيطرته الشرعية على حكمه ويصبح

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى نظر العامة عاصيا يجاهر بالثورة ويدعو إلى العناد ! وإما أن يقتص من بكار على ورعه وتقواه ! ونحن نفهم الآن أن أسطورة التبعية للخلافة العباسية بمنهجها الوراثى أبا عن جد لا تمت إلى الإسلام فلا على ابن طولون أن يشذ عليها دون أن يحتاج إلى سند من أمير المؤمنين ! ولكن ما نفهمه الآن فى القرن العشرين من هذه المسألة لم يكن واضحا مفهوما لدى العامة من المسلمين حتى تغير الزمن وزالت غشاوة السيطرة الوراثية عن العيون فتبينت الحقائق كما يجب أن تكون وهذا ما لم يتيسر لابن طولون فى زمنه ولعله كذلك لم يكن واضحا بمعناه الصريح فى عمل بكار ! ولقد كان من نتيجة هذا الموقف المتأزم بين القاضى وابن طولون أن غضب عليه غضبا شديدا ، فضربه بعود من حديد وأمر بتمزيق ثيابه وسحب على وجهه مسلوب الجلباب ثم أودع السجن ومكث أياما فى مكان ضيق لا يستطيع أن يمد به رجليه ثم نقل إلى محبس آخر أكثر رحابة ! ومما يذكر أن القاضى كان يحافظ على الصلاة سننا ونوافل فى محبسه وكان يلزم نفسه حين تأتى صلاة الجمعة كل أسبوع أن يغتسل ، ويلبس ثيابه ويمضى إلى باب السجن فيرده السجان ويقول أعذرنى أيها القاضى فما أقدر على إخراجك فيصيح بكار متجها إلى السماء اللهم فاشهد لقد صنعت ما على ! وقد طال محبس القاضى فطلب أصحاب الحديث إلى أحمد بن طولون أن يأذن لهم فى السماع منه فأذن لهم ، فكان يحدثهم من طاق المحبس وهم من حوله يسمعون فيكتبون .

وإذا كان الموت نهاية كل حى فقد مرض ابن طولون مرضه الأخير ، وأخذ يراجع أعماله فى لحظاته الحاسمة فكان شبح بكار فى سجنه يؤرقه ويأخذ عليه منافذ السماء والأرض فأمر بنقله إلى دار خاصة به وكأنه بذلك يكتفى بتحديد إقامته كما نقول فى عصرنا الحديث ثم هاجت نوازعه ، فكتب إليه يستحله ويستغفره فجاء رد بكار يقول : « أنا شيخ كبير وأنت عليل مدنف والملتقى قريب والحكم الله » . فكان ابن طولون فى احتضاره يبكى ويردد هو شيخ كبير وأنا عليل والملتقى قريب والحكم الله ! ! ثم بلغ الكتاب أجله ، فمات الوالى وأعقبه بكار بعد أربعين يوما من وفاته ! وكان الملتقى قريبا كما حسب القاضى ووافقه الأمير ! !

لقد قرأت تاريخ ابن طولون فأعجبت به ، ولكن إعجابى ببكار يدفعنى أن أحنى رأسى لذكراه ، وأن أستمطر رحمات السماء على بطل نزيه جاهد فصبر ، وامتحن فشكر ! . .

وهكذا الرجال .

محمد رجب البيومى

المدرس الأول بدار المعلمات بالفيوم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عناية الإسلام بتربية الناشئين

للأستاذ عبد الرحيم فوده

لا شك أن هدف التربية السليمة هو إعداد الفرد جسميا وعقليا وخلقيا ليكون لبنة صالحة فى بناء المجتمع ، وخلية حية فى جسم الأمة ، وتربية النشء لهذه الغاية واجب اجتماعى كبير يشترك فى تأديته والتعاون عليه كل بيت وكل مدرسة وكل جهاز من أجهزة الإعلام والتوجيه فى الدولة ، بل إن المؤمنين والمؤمنات بمقتضى إيمانهم كما يقول الله فيهم « بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله » فهم - جميعهم - مطالبون بأن يتولى بعضهم بعضا بما يصلحه ويستقيم عليه أمره وتطيب به حياته .

ولا شك أن الأبناء والبنات بالنسبة لآبائهم وأمهاتهم وجودهم الممتد ، وحياتهم المتجددة وعملهم الموصول ، ومستقبلهم المأمول ، وقد قال صلى الله عليه وسلم إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له ، وقال تبارك وتعالى : « والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما التناهم من عملهم من شىء » أما مكانتهم فى المجتمع فهم طور من أطواره ودور من أدواره ، وصوره من صوره فى مرحلة من مراحل حياته ، ثم إنهم إذا كانوا أطفال اليوم فهم رجال الغد . وبمقدار ما يبذل من العناية فى إعدادهم وإرشادهم . وتنمية مواهبهم وتزكية نفوسهم وتربية نوازع الخير فيهم يكون حظنا وحظ المجتمع فى المستقبل منهم بل إن ما يرجى منهم ويؤمل فيهم مع العناية بتربيتهم تربية صالحة وتوجيههم توجيها سليما يهون أمامه كل جهد ، ويسهل بجانبه كل صعب ، بل تعذب فى سبيله كل تضحية ، فهم كما قال الشاعر :

وإنما أولادنا بيننا
أكبادنا تمشى على الأرض

وعملنا معهم ينبغى أن يكون على الصورة التى نلمحها من قوله تعالى : « كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار » .

فإن النشء بالنسبة إلينا كالشطء بالنسبة إلى الزرع ، يخرج من أصوله فراخا صغيرة فتؤازرها أصولها وتمدها بالماء والغذاء حتى تنموا وتغلظ وتمتد وتشتد . ثم تستوى على

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

سوقها ، وتزهر وتثمر ، فيكثر بها الخير ويعظم الرخاء .

ولا شك أن مرحلة الطفولة هى المرحلة المخصبة المناسبة لتربية الشخصية السوية وتوجيه الغرائز والميول . وتهذيب الأذواق والأخلاق ، فإن الطفل كما يقول علماء النفس كالعجينة اللينة ، يشكلها الإنسان كما يشاء ، أو كما يقول الإمام الغزالى رحمه الله أمانة عند والديه . وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة ، فهو قابل لكل ما ينقش عليه ومائل لكل ما يمال به إليه ، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه ، وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقى وهلك ، وكان الوزر فى رقبة القيم عليه والوالى له .

فالشر الذى ينشأ عن إهمال التربية لا يقع على الناشئين وحدهم ، وإنما يتعداهم إلى المربين من أهليهم وذويهم وأولى الأمر فيهم ، والجرائم التى تكدر صفو المجتمع ، وتعكر جو حياته إنما ترجع أولا وآخراً إلى سوء التربية ، أو إلى إهمال أمر الناشئين وتركهم مع قرناء السوء يخالطونهم ويتأثرون بهم وينهجون نهجهم ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت » والتضييع كما يكون بالتقصير فى توفير القوت للأطفال أو العيال يكون بالإهمال فى تهذيبهم وتأديبهم وتهيئة الجو الصالح لهم ، وتوجيههم إلى ما ينفعهم وينفع مجتمعهم ، وبفهم من قول الله تعالى « يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً » . أن على كل مسئول أن يقى نفسه وأهله من السوء بحسن التربية وسلامة التوجيه والتزام أحكام الدين .

أما واجب المجتمع نحو الناشئين ممثلا فى الدولة أو الحكومة وأولى الأمر فيمكن أن نلحظه أو نلحظ جانبا منه فيما كان يعمله عمر رضى الله عنه بإزاء تربية النشء ، فقد فرض لكل مولود لقيط مائة درهم من بيت المال كما فرض لكل مولود من زوجين ، ولم يأخذ الأبناء من اللقطاء بظلم المجرمين من الرجال والنساء ، وكان ذلك استجابة لما يفهم من توجيه القرآن الكريم إذ يقول الله فيه : « فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم » ، أما اليتيم - وهو من فقد أباه ولم يبلغ مبلغ الرجال - فشأن العناية به فى الإسلام أشهر من أن يذكر ويكفى فى الإشارة إليه أن نذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم : أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا . (وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى وفرج بينهما) . وقد قال الله لرسوله عليه الصلاة والسلام بعد أن ذكره بفضله فى حال يتمه : « فأما اليتيم فلا تقهر » ، وقال الإمام محمد عبده فى تفسيره لهذه الآية : ولو علم الناس ما فى إهمال تربية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأيتام من الفساد فى الأمة لقدروا عناية الله بأمرهم فى كتابه قدرها ، ولبذلوا من سعيهم ومن مالهم فى إصـــلاح حال الأيتام كل ما استطاعوا ولو أحس كل واحد بأن الموت قريب منه ، وأنه هدف لنباله . لا يدرى متى يأخـــذه عن ولده فيتركه إما غنيا يأكل ماله الأوصياء . أو فقيراً يستذله الأدنياء لتسابقوا إلى تقويم أمر اليتيم تسابقهم إلى اللذة والخير .

وتبدو عناية الإسلام بتربية النشء فيما أوجبه على الأم من رضاعة الطفل ، وما أوجبه على أبيه من النفقة عليه حتى يستطيع الكسب ، وما أوجبه لأمه من حق حضانته ورعاية لصحته وتوفيرا لأسباب راحته ، هذا إلى ما يفهم من قول النبي صلى الله عليه وسلم : (أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم) . وقوله عليه السلام : (ليس منا من لم يرحم صغيرنا) ، فإكرام الأولاد وإحسان أدبهم ، والرحمة بهم فى المكانة الأولى من اهتمام الإسلام ، وإذا كانت القدوة الحسنة والأسوة الطيبة أكبر مؤثر فى سلوكهم لأنهم فى هذه الفترة من حياتهم مولعون بالتقليد والمحاكاة . ظهر لنا مدى ما يجب أن يكون عليه الآباء والأمهات فى البيت . والمعلمون والمعلمات فى المدرسة ، كما يظهر ما ينبغى أن تتوخاه أجهزة الإعلام فيما تعرضه من صور وأفـــلام ، وقصص وتمثيليات . وروايات وأغنيات . فإن لهذه الأجهزة تأثيراً خطيراً فى سلوك النشء ، وكيان الأسرة ، وحياة الأمة ، ولا شك أن المجتمع العربى والإسلامى . يستأنف حياة جديدة . ويستهدف قيما عالية يستعذب فى سبيلها الكفاح والعرق والأرق وبذل الأرواح ، وواجب المشرفين على هذه الأجهزة يتقاضاهم أن يتنبهوا لهذا الدور الخطير ، وأن يتعهدوه بما يزكيه ويقويه ويعينه على بلوغ أهدافه ، وأن يباعدوا بينه وبين عوامل الإغـراء والإغراء والتحلل والتبـذل ، وأن يذكروا قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » ، وقول الشاعر الحكيم :

ولا يبلغ البنيان يوما تمامه
إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

عبد الرحيم فودة

١٠٦٤

حكم الله وحكم الفقيه

للأستاذ محمود الشرقاوى

كلما هممت بكتابة هذا البحث أو فكرت فى موضوعه ذكرت قصة من أيام الطفولة شهدتها فى بيتنا قبل دهر طويل .

كنا نقضى إجازة الصيف فى القرية ، وكان الناس يتوافدون على البيت يجلسون إلى أبى على « المصطبة » أو « المنظرة » يستمعون إلى ما يلقيه عليهم من حديث الفقه والدين ، ويسألونه فيما يريدون من فتيا ، وقد يشكون ما يلقون من تعب « الفلاحة » وشح الماء ويطلبون إليه « الدعوات الصالحة » لأولادهم ومحاصيلهم حتى يباركها الله . وكنت كثيراً ما أجلس وأسمع وأشارك بقلبى وعقلى .

ودخل فى إحدى الليالى رجل شيخ بعد أن انصرف الناس ، دخل مسرعا ملهوفا كأنما يفزعه شىء . فلما استقبله أبى قال يصيح : أنقذنى ياسيدى الشيخ وخذ بيدى وأنقذ بيتى من الخراب .

وكانت قصته ، كما حدث بها أبى ، أنه اختصم مع زوجه ، فلما غاضبته قال لها : « أنت طالق ثلاثا » وكان ذلك بالأمس . وتسامع الناس بذلك فأخذتهم الدهشة وعلاهم العجب : بعد هذا العمر الطويل وهذه العشرة الهنية ... وذهب إلى « المأذون » فقال له : زوجتك طالق لا تحل لك حتى تتزوج آخر وتطلق منه واستنجد بغيره من « طلبة العلم » والعارفين فقالوا له مثل مقالة « المأذون » وكلهم قال له : هذا حكم الله ...

ثم صاح الفلاح الشيخ : ياسيدى الشيخ : بيتى « وينخرب » لو خرجت منه زوجتى وحياتى تنتهى إذا فارقتنى ، والموت خير لى من أن أراها تعيش يوما واحدا فى بيت رجل آخر .

وقال له أبى وهو يعابثه ويضحك : أحبا أيها الرجل العجوز ... ! فأسرع يجيب : نعم أحبها ، أحبها ، زوجـــتى وأم أولادى . « شوف لك طريقة ياسيدنا الشيخ .. ! »

فقال له أبى : هون عليك ياشيخ حفنى عد إلى زوجتك فراجعها وأعدها لعصمتك كأنه طلاق واحد ، وكأن الرجل لم يصدق أن هذا « المشكل » ينتهى بهذه السهولة وهذا اليسر فصاح : صحيح ياسيدنا الشيخ ... وأجابه أبى : نعم صحيح وأنا أفتيك ، ولكن لا تعد لمثلها .

وخرج الشيخ حفنى مهرولا مسرورا وعاش بعد ذلك سنوات طويلة زوجا وأبا وجدا مبارك الذرية .

وبقيت دهرا طويلا أتعجب كيف أفتاه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أبى هـــذه الفتوى ، وكل العلماء فى البلدة وكذلك « المأذون » قالوا له إن : « حكم الله » هو طلاق زوجه حيث لا تعود له « حتى تنكح زوجا غيره » .. حتى عرفت بعد هذا الدهر الطويل أن ما أفتى به هؤلاء ليس وحده « حكم الله » بل هو حكم الفقهاء قال غيرهم بغيره ، ثم جاء « قانون الأحوال الشخصية » بعد ذلك فجعل القاضى ملزما بالحكم الذى قال به هؤلاء . والفتوى التى أفتاها أبى قبل ذلك بعشرين سنة للشيخ الربنى الملهوف الجازع .

وعرفت بعد هذا الدهر الطويل أن هذا الحكم أيضا هو مذهب الإمام ابن تيمية ، وأنه هو الذى كان يجرى عليه عمل الصدر الأول من المسلمين فى عهد أبى بكر وشطر من خلافة عمر ، ولا يحكم بغيره الآن فى مصر قاض .

ثم ذكرت هذه القصة مرة أخرى ونحن نعالج فى ندوة « التليفزيون » مشكلة أسرة تريد أن تتحكم فى نسلها وتحتم عليها ظروفها الصحية وأوضاعها الاقتصادية أن تفعل ، وكلا الزوجين راض بذلك ملح فيه ، ولكن « العلماء » قالوا لهما عندما سألا عن « حكم الله » : إنه حـــرام ، وهى قصة ذكرتها فى مقال سابق [1] .

وخطورة الأمر هنا أن أكثر المفتين والعلماء إذا سألهم سائل عن « حكم الله » كما اعتاد الناس أن يسألوا ، أفتوهم برأى عرفوه أو قرءوه لا يعرفون غيره ، وقد يكون هذا الرأى أصبح لا يساير روح العصر ولا يحقق مصالح الناس ، وغيره ، مما قال به الأئمة والعلماء أيضا ، هو الذى يساير ويحقق المصالح ولكن المفتين والعلماء لا يعرفونه ولا يجشمون أنفسهم أقل عناء فى البحث عنه أو التفكير فيه ، ويقف السائلون المستفتون حيارى ضيقة صدورهم أمام هذا القرار الحاسم : « حكم الله » كما سمعوا من وصفه .

ولكن الأمر كما نرى بعد نهاية البحث مختلف جدا .

* * *

ذلك أن العلماء من سلفنا كانوا يخشون الله ويهابون أمانة العلم ، وكانت هذه الخشية وهذه المهابة تجعلهم يتواضعون فى جزمهم بالأحكام ، ويتهيبون القول بأن هذا أو ذاك « حكم الله » مع جزمهم بصحته وصوابه حسبما يرون ويعتقدون مما أدى إليه اجتهادهم الخاص واستقام أمامهم دليله .

وفى ذلك يقول ابن القيم هذه الكلمة الرائعة فى حديثه عن الإفتاء وأدب المفتى : (لا يجوز للمفتى أن يشهد على الله ورسوله بأنه أحل كذا أو حرمه أو أوجبه أو كرهه إلا لما يعلم أن الأمر فيه مما نص الله ورسوله على إباحته

---

(١) مقال : تحديد النسل فى الإسلام : مجلة الأزهر عدد شهر رجب ١٣٨٣ هـ ديسمبر ١٩٦٣ م .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أو تحريمه أو إيجابه أو كراهته وأما ما وجده في كتابه الذي تلقاه عمن قلده في دينه فليس له أن يشهد على الله ورسوله به، ويغر الناس بذلك. ولا علم له بحكم الله ورسوله.

قال غير واحد من السلف ليحذر أحدكم أن يقول: أحل الله كذا، أو حرم كذا، فيقول الله له: كذبت، لم أحل كذا، ولم أحرمه. وثبت في صحيح مسلم من حديث بريدة بن الحصيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (.. وإذا حاصرت حصناً فسألوك أن تنزلهم على حكم الله ورسوله فلا تنزلهم على حكم الله ورسوله. فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا، ولكن أنزلهم على حكمك وحكم أصحابك[1]).

وفي ذلك يقول الإمام مالك أيضا: «لم يكن الناس فيما مضى يسألون عن الغرائب. ولم يكن العلماء يقولون: هذا حلال وهذا حرام. ولكن أدركتهم يقولون: هذا مستحب وهذا مكروه».

فاجتهاد الفقيه والحكم الذي قال به هو رأيه هو وفهمه الخاص للشريعة، منسوب له لا إلى الله، هو حكمه الذي أدركه من شريعة الله.

وقد ذكر عالم مستنير مجتهد مثلا لذلك فقال عن مجتهدين - أو أكثر - وصلا إلى حكمين مختلفين في مسألة واحدة: «فالمجتهدان مصيبان مثل رجلين قيل لكل واحد منهما أعط كل فقير وجدته درهما من مالي، قال: كيف أعرف أنه فقير.. قيل: إذا اجتهدت في تتبع قرائن الفقر حتى تبين لك فقره فأعطه، فاختلفا في رجل قال أحدهما هو فقير وقال الآخر، لا والمأخذان متقاربان يسوغ الأخذ بهما فكل منهما مصيب لأنه ما أدار الحكم إلا على من يقع في تحريه أنه فقير وقد وقع في تحريه ذلك من غير تقصير ظاهر»[1].

وكذلك يقول ابن القيم: «حضرت مجلسا فيه القضاة وغيرهم، فجرت حكومة حكم فيها أحدهم بقول زفر، فقلت له: صار قول زفر هو حكم الله الذي حكم به وألزم به الأمة.. قل هذا حكم زفر ولا تقل هذا حكم الله[2]».

وفي توضيح ذلك والاستدلال عليه، من الناحية الفقهية قال العلماء: «.. إن الاستفتاء لم يزل بين المسلمين من عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا فرق بين أن يستفتي هذا دائما ويستفتي هذا حينا بعد أن يكون مجمعا على ما ذكرناه كيف لا ولم نؤمن بفقيه أيا كان أنه أوحي الله

(١) إعلام الموقعين الجزء ٤ ص ١٧٥ «مطبعة دار السعادة» بالقاهرة ١٩٥٥، والحديث رواه مسلم وأحمد وغيرهما.

(١) شاه ولي الله الدهلوي رسالة «عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد» ص ٤ طبع حجر مجهول التاريخ والمكان.

(٢) إعلام الموقعين الجزء ٤.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إليه الفقه وفرض علينا طاعته وأنه معصوم ، فإن اقتدينا بواحد منهم فذلك لعلمنا أنه عالم بكتاب الله وسنة رسوله فلا يخلو قوله : إما أن يكون من صريح الكتاب والسنة ، أو مستنبطا منهما بنحو من الاستنباط ، أو عرف بالقرائن أن الحكم في صورة ما منوط بعلة كذا واطمأن قلبه بتلك المعرفة فقاس غير المنصوص على المنصوص فكأنه يقول : ظننت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كلما وجدت هذه العلة فالحكم ثمة هكذا والمقيس مندرج في هذا العموم . فهذا أيضاً معزو إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولكن في طريقه ظنون[1] .

ومن هنا ، فقط ، نستطيع أن ندرك كيف نجد الشافعي مذهبين قديمه في العراق وجديده في مصر ، وأن نجد له ، في مسألة واحدة ، رأيين مختلفين وفتويين متغايرتين ، رأى وفتوى في المذهب القديم ورأى آخر وأخرى من الفتاوى في مذهبه الجديد ولا نستطيع أن نقول عن أي منهما : إنه « حكم الله » ، لأننا لو قلنا ذلك ، جعلنا لشريعة الله حكمين مختلفين في مسألة واحدة . وحاشا لشريعة الله أن يكون ذلك . وإنما نقول إن كلا الحكمين هو « حكم الفقيه » الشافعي الذي أدركه بفهمه من شريعة الله . والعلماء الفاقهون يجيزون لكل مسلم أن يعمل بما تستريح له نفسه من الرأيين - إذا كان من أهل الفهم لأحكام الشريعة . ويجيزون لغيره أن يقلد ويعمل بالرأى الذي يراه أيسر لنفسه محققاً لصوالحه بل إن منهم من يجيز لنا أن نبحث عن الأيسر في كل مذهب فنعمل به ما دمنا مقتنعين بصحة دليله . ومنهم من يجعل ذلك مستحبا « تيسيراً للعوام »[1] إذا سأل منهم سائل أو استفتى .

* * *

« حكم الله » كلمة كبيرة وأمانة عظمى كان العلماء والأئمة الذين يعرفون ما هي الأمانة العظمى يتحرجون منها ويخشون الله أن يقولوها أو يحملوها . لذلك كان مالك يقول : « ما كان شيء أشد على من أسأل عن مسألة من الحرام والحلال ، لأن هذا هو القطع في حكم الله . ولقد أدركنا أهل العلم في بلدنا وإن أحدهم إذا سئل عن المسألة كأنما الموت أشرف عليه » .

وقد كان « كبار علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم من مجتهدي السلف يتحاشون أن يسموا ظنونهم الاجتهادية : حكم الله ، أو شرع الله . بل كان أعظمهم قدرا وأوسعهم علما يقول : هذا مبلغ علمي واجتهادي ، فإذا كان صوابا فمن الله ، وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان »[2] .

محمود الشرقاوي

(١) ص ٩ - من رسالة ولي الله الدهلوي .

(١) انظر ص ١٤ ، ١٦ ، ٢١ من رسالة الدهلوي .

(٢) الأستاذ الشيخ عبد الجليل عيسى : ص ١٠٣ من كتابه « مالا يجوز الخلاف فيه بين المسلمين » دار القلم بالقاهرة ١٩٦٢ .

ابن قتيبة الناقد

للأستاذ علي العماري

— ٢ —

لا أدري لماذا يسخر بعض الكتاب من نقادنا القدماء ، ولو نظروا إليهم بعين الإنصاف لوجدوا عندهم بعض ما يعيبونهم بالغفلة عنه .

جاء في كتاب ابن قتيبة (الشعر والشعراء) في ترجمة (جران العود) . ويستملح قوله :

بان الأنيس فما للقلب معقول
ولا على الجيرة الغادين تعويل
يوم ارتحلت برحلي قبل برذعتي
والقلب مستوهل بالبين مشغول
ثم اعترزت على نضوي لأرقمه
إثر الحمول الغوادي وهو معقول

ويفهم من قوله (يستملح) أن أرباب الأذواق السليمة قبله ، وفي عصره يستملحون هذه الأبيات ، وقد سجل هو هذا الرأي ، ولم يعقب عليه مما يدل على أن هذه الأبيات مليحة عنده أيضاً .

وبدهي أن ملاحة هذه الأبيات لا ترجع إلى ما فيها من فكرة أو حكمة ، أو خلق حسن ، وإنما ترجع إلى هذه الصورة العجيبة الطريفة التي عبر بها الشاعر عن ذهوله ودهشته من فراق الأحبة ، فهو يضع الرحل قبل البرذعة ، ومن حق البرذعة أن توضع أولا ؛ لأنها تكون أسفل الرحل ، وهو يخيط نفسه فوق جمله ليبعثه على المسير ، وينسى أنه لم يفك عقاله ، وخير ما يقال في هذه الصورة إنها مليحة ، فهذه الكلمة تعبر تعبيراً دقيقاً عما يحسه متذوق هذا الشعر .

بينما يثبت ابن قتيبة هذا في كتابه يجيء ناقد حديث فيذكر بيتين من الشعر قريبين من هذه الأبيات ، ويبين ما فيهما من جمال لا يدري ماذا يقول عنه ابن قتيبة ، ولنترك الناقد يتحدث عن فكرته ، لندع القارئ يتأمل ويعجب .

يقول الدكتور محمد مندور في كتابه : (النقد المنهجي) : « وهذه نظرة الفقيه ابن قتيبة ، وهي بدورها نظرة ضيقة ؛ إذ من الواضح أن مادة الشعر ليست المعاني الأخلاقية ، كما أنها ليست الأفكار ، وإن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من أجوده ما يمكن أن يكون مجرد تصوير فني ، كما أن منه ما لا يعدو مجرد الرمز لحالة نفسية ومزاجاً بالغ الأثر ، قوى الإيحاء ؛ لأنه عميق الصدق على سذاجته ، ولعل خير الأمثلة على ذلك قول ذى الرمة الشاعر الدقيق الحس وقد حط رحاله بمنزل الحبيبة وتفقدها فلم يجدها :

عشية مالى حيلة غير أننى
بلقط الحصى ، والخط فى الترب مولع
أخط وأمحو الخط ثم أعيده
بكفى ، والغربان فى الدار وقع

فأى معنى يريد ابن قتيبة من مثل هذه الصورة الجميلة الصادقة ؟ .

صورة شاعر أصابه الحزن بالذهول فجلس إلى الأرض منهمكا يائسا ، يخط ويمحو الخط بأصابع شرد عنها القلب فأخذت تعبث بالرمال وفى الغربان الواقعة بالدار ما يملأ الجو أسى ولوعة ، وهل أصدق من هذا وصفا ؟ وهل أقوى منه على إيحاء ؟ ثم من يدرينا ؟ لعل جماله فى خلوه من كل فكرة ، ولعل صدقه فى تناهى بساطته .

وهكذا يظهر لنا ما فى نظرة ابن قتيبة من ضيق عندما يتطلب معنى فى كل بيت من الشعر ، كما ظهر لنا فساد رأيه فى العلاقة بين اللفظ والمعنى .

أعتقد أن أى منصف يقرأ هذا الكلام وما نقلته عن ابن قتيبة لا يسعه إلا أن يحكم بمدى الظلم الذى يلحقه نقادنا المحدثون بنقادنا القدماء ، بل أعتقد أن الدكتور مندورا نفسه لو وقع نظره على حكم ابن قتيبة على الأبيات التى نقلنا عنه أنه كان يستملحها كما استملحها من قبله ، أقول لو وقع نظر الناقد على هذا الحكم لأعفى نفسه من السطور التى أراد بها أن يهون من شأن الرجل ، وأن يلزمه الحجة فى صورة بارعة خلت من (معنى) وهى جميلة حسنة .

فالصورة التى أشاد بها الدكتور هى نفس الصورة التى حكم لها ابن قتيبة بالملاحة ، صورة ذاهل لا يدرى ما يفعل ، وهو يقوم بأعمال تدل على شرود لبه ، واضطراب عقله غير أن صاحب ابن قتيبة دل عليها بوضع الرحل قبل البرذعة ، وبالثوب على الجمل دون أن يفك عقاله ، وصاحب الدكتور مندور دل عليها بالخط على الرمل ، ثم محو الخط ، ثم إعادته ... وهكذا .

ومن يدرينا — بل هو ما نرجحه — لعل ابن قتيبة لو اطلع على بيتى ذى الرمة لاستحسنهما كما استحسن أبيات جران العود .

أليس الأمر كما قلت من أن نقادنا اعتمدوا على مقدمة ابن قتيبة وراحوا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يحاسبونه على ما ورد فيها ، وكان الواجب أن يقرءوا كل الكتاب بل أن يطالعوا كل كتبه الأخرى قبل أن يرموه بضيق النظر والسذاجة فى النقد إلى آخر ما رموه به من نقائص ؟ ! .

ثم نعود إلى مناقشة ابن قتيبة فيما أورده من شواهد فنقول :

لعل أبيات كثير : (ولما قضينا ...) أكثر الشواهد حظوة بنظر النقاد فيها ، فقد عرض لها أبو هلال العسكرى وكان رأيه فيها كرأى ابن قتيبة ، ثم عرض لها عبد القاهر الجرجانى ، فأبان ما فيها من صدق الشعور ، وجمال التعبير ، وروعة الخيال ، وهو يجرى على أصله الذى ظل يدافع عنه فى كل ما كتب فى البلاغة ، وهو أن جمال الكلام إنما يرجع إلى معناه ، فهو يذكر هذه الأبيات ويحللها ليثبت أن ثناء العلماء عليها من جهة ألفاظها ، ووصفها بالسلاسة لم يكن إلا لاستعارة وقعت موقعها وأصابت غرضها ، أو حسن ترتيب تكامل معه البيان ، وبعد أن مهد لهذا التمهيد شرع فى تحليل الأبيات فقال : فأول محاسن هذه الأبيات التعبير عن قضاء المناسك كلها ثم التنبيه على طواف الوداع فى الشطر الثانى ثم وصل الرحيل بمسح الأركان ، والدلالة بلفظة الأطراف على الصفة التى يختص بها الرفاق فى السفر من التصرف فى فنون القول ، أو على ما هو عادة المتظرفين من التلويح والإشارة ، وقد رأى أن ذلك ينبىء عن طيب النفوس ، وقوة النشاط ، وفضل الاغتباط لألفة الأحباب ، وتنسم روائح الأحبة والأوطان .

أما الاستعارة اللطيفة التى أصابت موقعها فهى فى جعل سلاسة سير الإبل كالماء تسيل به الأباطح ، وذلك إخبار عن سرعة السير ووطاءة الظهر ، وفيه مايزيد من نشاط الركبان ومع ازدياد النشاط يزداد الحديث طيبا ، والتعبير بأعناق المطى دون التعبير بالمطى يشير إلى أن السرعة والبطء يظهران غالبا فى أعناقها .

ثم يخلص عبد القاهر إلى رأيه وهو أنه لا توجد حسنة خاصة باللفظ حتى إن فضل الحسنة يبقى لتلك اللفظة ، ولو ذكرت بانفرادها فالحسن إذن فى النسج والتأليف وليست الألفاظ هى التى تحوز الفضيلة باجتماعها ، وإنما ذلك شأن المعانى .

ولا شك أن كثيرا من النقاد تأثروا بتحليل عبد القاهر لهذه الأبيات ، وأنحوا باللائمة على ابن قتيبة الذى لم يدرك ذلك التناسق التعبيرى الخاص ، وذلك الإيقاع الناشىء من

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

التناسق ، وتلك الصور التى يشعها التعبير كما يقول أحدهم (١) .

والحق أن الشيخ عبد القاهر حمل الأبيات أكثر مما تحتمل . وأننا لو أخذنا بهذه الطريقة فى تحليل الشعر لم يعوزنا أن نلتمس لأضعف الشعر فضائل من هذا القبيل فكلمة « ظلال الألفاظ » التى يلجأ إليها بعض النقاد كلمة مرنة ، ولا يمكن معها الضبط والتحقيق .

والحق - كذلك - أن هذه الأبيات تروعنا فى سهولة ألفاظها ، وحسن مخارجها ، وأن المعنى الرائع الذى يقف عنده القارئ الحصيف لا يوجد فيها ، فالمتذوق الشعر قد يمر به معنى فيقف متأملا مفكرا معجبا كما نجده فى شعر ابن الرومى وأبى تمام وكثير من الشعراء وقل أن نجد شعرا جيدا ولا نجد فيه من مثل ما ذكره عبد القاهر وليست هذه هى المعانى التى ينوه بها ابن قتيبة على حد ما نوه بمعنى البيت :

يغضى حياء ويغضى من مهابته
فما يكلم إلا حين يبتسم

وليس من شك فى أن الأمر الذى دعا عبد القاهر أن يطيل فى استخراج معان لهذه الأبيات هو دفعه بشدة أن يكون حسن الكلام راجعا إلى لفظه ، كما أن من المسلم به أن فى الأبيات ألفاظا موحية كـكلمة (أطراف الأحاديث) ومثل كلمة ولم ينظر الغادى الذى هو رائح فهذه العبارة تدل على أن كل إنسان مشغول بنفسه عند الرحيل وهذا شأن من قضى وطره ، وأزمع العودة إلى أهله .

وبقدر ما أطال عبد القاهر فى استخراج معان من هذه الأبيات قصر ابن قتيبة كما قصر أبو هلال فى تحليلها ، وقد سلباها كل فضيلة غير فضيلة اللفظ ، فعندهما أنه لا طائل تحت هذه الأبيات ، ولا معنى فيها ، وهو - منها - وقوف عند المعنى الأول ، ولعل ما رآه عبد القاهر يجعلانه من محاسن الألفاظ وهو - فى الجملة - نظر غير سليم .

وأما أبيات جرير : (إن الذين غدوا بلبك غادروا . . البيتان) و (إن العيون التى فى طرفها حور . . البيتان) فقد علق بعض النقاد المحدثين على البيتين الأولين بأن فيهما خيالا بديعا ، وتصويرا رائعا ، وجمالا فى التعبير ، وصدقا فى الشعور وكل هذا حسن ، ويبدو من صنيع ابن قتيبة - وإن لم يصرح بذلك - أنه يجعل كل هذا من دلالات الألفاظ ، وقد قال عن هذين البيتين - كما سبق - إنهما من

(١) الأستاذ سيد قطب فى كتابه (النقد الأدبى) ص ٤٩ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الشعر الذى حسن لفظه وحلا ، فإذا أنت فتشته لم تجد هناك طائلا ، والحقيقة أن القصيدة كلها التى منها هذان البيتان رائعة النسج ، عذبة الألفاظ بديعة الخيال ، ولكن المعانى فيها نادرة .

وطبيعى أن كل كلام له معنى ، وإلا لكان خلقا من القول ، وكيف يمكن أن يتبادر إلى الذهن أن شعرا جميلا أو رديئا قد خلا من معنى يدل عليه ، غير أن المعنى الذى يقف عنده ناقد كابن قتيبة معنى خاص ، وهو الذى ينفيه عن مثل هذين البيتين .

وأبيات جرير تعجبنا وتروعنا ، وقد أعجبت الأوائل فكانوا يذكرونها فى معرض الإشاده بجرير وتفضيله ، قال بعض نقدة الشعر : رأيت أعرابيا فأعجبنى ظرفه ، فسألته : أجرير أشعر أم الفرزدق ؟ فقال الأعرابى : بيوت الشعر أربعة : فخر ، ومديح وهجاء ، ونسيب ، وفى كلها غلب جرير . قال فى الفخر :

إذا غضبت عليك بنو تميم
حسبت الناس كلهم غضابا

وفى المدح :

ألستم خير من وكب المطايا
وأندى العالمين بطون راح

وفى النسيب :

إن العيون التى فى طرفها حور
قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

وفى الهجاء :

فغض الطرف إنك من نمير
فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وذكر بعضهم أن قول جرير (إن الذين غدوا . .) أغزل ما قالته العرب .

وأما بيت لبيد فقد ذهب فيه بعض النقاد والمحدثين مذهب ابن قتيبة ، فقال ، قول لبيد :

ما عاتب الحر الكريم كنفسه
والمرء يصلحه الجليس الصالح

يقول ابن قتيبة فى هذا البيت : إنه جيد المعنى ، وقصرت الألفاظ عنه فهو قليل الماء والرونق . وعندى أن هذا البيت قد استأثر العقل به فكان جيد المعنى ، ولكن تعوزه العاطفة التى كانت تبعده عن أن يكون نظما لحكمة معروفة ، وتبعث فيه خيالا جميلا ، وأسلوبا موسيقيا ، ولعلك تشعر بحاجة إلى شىء من التأويل لتصل بين الشطرين صلة شعرية ملائمة [1] .

ونحن حين نحكم الذوق المجرد عن التعليل نحس فى هذا البيت بما أحس به ابن قتيبة ، فهو فعلا قليل الماء والرونق .

---

(١) الأستاذ أحمد الشايب فى كتابه : (أصول النقد الأدبى) ص ١٠٦ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولست مع الناقد الفاضل فى أن الوصل بين الشطرين صلة شعرية تحتاج إلى شيء من التأويل ، بل الأمر من الوضوح بحيث لا يحوج إلى شيء من الفكر المتأمل ، إلا إذا كان الناقد يفهم من هذا البيت معنى غير ما نفهم .

لبيد يريد أن يقول : إنه لا يصلح الإنسان شيء أجدى عليه من نفسه ، فهى التى تحسن عتابه ، وتوجيهه إلى الخير ، وتنفيره من الشر ، ومع هذه الحقيقة الواضحة فإن الجليس الصالح يصلح الإنسان ، ولكن لا كنفسه ، وإن كان فيه بعض الغناء .

وأخيراً لعل ابن قتيبة أول من نبه من أصحاب الكتب المؤلفة إلى قصور أشعار العلماء وتخلفها ، وأنها ليس فيها شيء جاء عن إسماح وسهولة ، ثم ضرب مثلا مقنعا بشعر للخليل بن أحمد ، ولعله كذلك - كان منصفاً حين استثنى خلفا الأحمر ، وعده أجودهم طبعاً ، وأكثرهم شعراً ، وقد كان خلف كذلك ، فقد كان معلما للأصمعى ومعلما لأهل البصرة ، قال عنه الأخفش : لم أدرك أحداً أعلم بالشعر من خلف الأحمر والأصمعى ، ومع ذلك قال عنه بعض اللغويين : كان خلف يضع الشعر ، وينسبه إلى العرب فلا يعرف ، وله ديوان شعر .

وحدث عنه الناقد الذواقة على بن عبد العزيز الجرجانى صاحب كتاب الوساطة ، فقال إنه كان مع حماد وابن دأب ينحلون القدماء شعرهم فيندمج فى أثناء شعر القدماء ، ويغيب فى أضعافه ، ويصعب على أهل العناية إفراده ويتعسر .

وإذا كان خلف بهذه المنزلة كان شعره جيداً لأنه يشتبه على الناقد البصير فلا يفرق بينه وبين الشعر المطبوع .

وبعد قرون من وفاة ابن قتيبة جاء ابن خلدون فكان رأيه فى أشعار العلماء هو رأى ابن قتيبة غير أنه زاد فعلل ذلك بنوع المحفوظ ، لأنه يرى أن نوع المحفوظ له تأثير فى الملكة الأدبية ، والعلماء يعنون بحفظ القوانين العلمية ، وهى بعيدة عن الأساليب الأدبية فتكون ملكتهم قاصرة فى الأدب .

(وبعد) فإنه لم يكن ينبغى أن نطلب من ابن قتيبة أن يؤصل أصولا واسعة شاملة فى النقد ، فإن ذلك تكليف بما هو فوق الطاقة فى ذلك العصر ، وحسبنا أن الرجل فتح أبوابا واستمان بعلمه وذوقه وترك لنا مسائل أعانت النقاد بعده وأعانتنا ، وكانت حلقة لها قدرها فى مسير النقد الأدبى عند علماء العرب ، وكانت فصلا ممتعا من فصول (اللفظ والمعنى) .

على العمارى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تداخل المذاهب الفقهية

للدكتور علاء الدين شلبي

رأينا فيما سبق مدى ما بين المذهب الحنفي والمذهب المالكي من تداخل واتصال. ولعلنا لمسنا زوال التعصب الرأى بين كبار الأئمة المجتهدين ورأينا تقدير الإمام مالك رأى أبي حنيفة وإن كان هو نفسه لا يأخذ به كما رأينا الدور الذى قام به محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة فى مزج المذهبين.

أما محمد بن إدريس الشافعي فله دور أوسع فى هذا التقريب فقد تتلمذ أولا على مالك وكان أستاذه يحبه ويجله وكان هو ميالا للتفاريع وتوليد الجزئيات ولم يكن مالك يحتمل مثل هذا الإلحاح من غير الشافعي من تلاميذه فكان هؤلاء يوهزون إليه أن يسأل الإمام عما لا يجرءون عليه من الأسئلة التى لا يحبها الإمام وكثيرا ما كان الإمام يقول له أعراقى أنت أو أمن أهل الرأى أنت؟ مستنكرا عليه هذا المذهب الجدلى ولكنه إذ فرغ من الدرس عليه وجهه إلى العراق ليغذى نزعة الرأى التى عنده بمنهج أبي حنيفة وفى مدرسته.

وقد تتلمذ الشافعي فى العراق على محمد بن الحسن إذ كانت رياسة المذهب قد انتهت إليه بعد أبي يوسف وبهذا يكون الشافعي قد عاد إلى صنوه فى التلمذة على مالك، وقد كتب الشافعي هناك رسالته الأولى وحدد فيها مذهبه وهو مذهب وسط بين اتباع الأثر والاستنارة بالرأى ولكنه فى وسطيته أكثر ميلا المالكية.

ونظرا لأن العلاقة بين الشافعي وأستاذه العراقى لم تكن على وفاق تام قامت بينهما عدة مناظرات ظهرت فيها روح الجدل العراقى كما ظهرت مقدرة الشافعي على تشقيق الكلام واستنباط الأحكام ولكن مكانة الأستاذ هناك وقوة نفوذه وكثرة أتباعه كانت من أسباب مضايقة الشافعي ولم تكن هذه الخصومة ترجع إلى مجرد الخلاف فى الرأى وطريقة الاجتهاد بل كان هناك عوامل أخرى وراء ذلك جعلت الشافعي يضيق بالعراق فرحل عنه بعد إقامة لم تطل أكثر من عامين.

كان الشافعي مثالا للإخلاص للعلم وكان إذا اقتنع برأى يهمه أن يجد له أنصارا وقد عرضت عليه بعض المناصب الكبرى فى العراق فأعرض عنها مخافة أن تشغله عن العلم ولعله كان يهمه أن يظل بالعراق فإنه بعد رحيله

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عنه عاد إليه ثانيا ولكن لم يستقر مقامه به ولم يكن العراق ولا الحجاز مستعدين لقبول مذهبه وفى كلا الإقليمين مدارس أساتذته وتلاميذتهم ورواج فقههم ولهـــذا اتجه إلى مصر.

دخل الشافعى مصر سنة ١٩٨هـ وكانت كلها من أتباع المذهب المالكى وكان بنو عبدالحكم هم القائمين على هذه المدرسة. وقد تعجب أن الشافعى هم بالرحيل عن مصر لولا أن أواه بنو عبدالحكم فأنزلوه دارهم وتبرعوا له بالمال وجمعوا له من ذوى الثراء وأفسحوا له فى المسجد بجانبهم وكان عبدالله بن عبدالحكم شيخ المذهب المالكى يجل علمه ويقدر اجتهاده والتف حول الشافعى طائفة من التلاميذ كانوا مالكيين قبل مقدمه وشجعه هذا كله على الإملاء والدرس والتأليف حتى أخرج فى خمسة الأعوام التى أقامها بمصر ثروة طيبة من الفقه الإسلامى وأحدث تموجات تجديدية فى الفكر المصرى لعله هو أول من أدخلها عليه ولم تكن بين الشافعى وبين مالكية مصر مناظرات كالتى قامت بينه وبين محمد بن الحسن فى العراق بل إن محمد بن عبدالله بن عبدالحكم كان صديقا حميما له وكان المتعصبون من المالكية يشكون لأبيه حضوره على الشافعى وملازمته له فكان يقول لهم إنه: شاب طموح يحب أن يطلع على الأفكار والآراء الأخرى ولكنه كان إذا خلى بابنه حثه على التزام الشافعى والاستفادة منه ومن العجيب أن محمدا هذا كان يطمع أن يخلف الشافعى على كرسيه ورياسة مذهبه وكان الناس يتوقعون ذلك لما بينهما من محبة ولما كان يبديه الشافعى من إجلال وتقدير لذكاء محمد هذا وعلمه ولكن الشافعى آثر البويطى برئاسة مذهبه من بعده فعاد محمد إلى حلقة المالكية ولم تتم بينه وبين البويطى منازعات.

اعتمد فقه الشافعى قليلا على الرأى وكثيرا على الأثر ولكنه فى صوغه واحتجاجه يذهب مذهب العراقيين الجدلى وكتاب الأم بما فيه من اعتراضات ورد عليها وأسئلة وأجوبة يذكرنا بطريقة الزمخشرى فى كشافه وكلاهما من أثر المذهب العراقى فى الجدل.

يتضح من هذا العرض السريع أن هذه المذاهب الثلاثة ذات صلة كبيرة بعضها ببعض وعلى حظ من الوفاق فى الأصول، أما المذهب الرابع مذهب الحنابلة فقد قام على الحديث وجانب الرأى وكان ابن حنبل من تلاميذ الشافعى ولم يترك كتبا فقهية تحدد مذهبه ولهذا يعده الشافعية من رجاله ويعده المحدثون من رجالهم وكل ما تركه هو فتاوى خالف فيها كلا من الشافعى ومالك ثم كان أتباعه هم الذين حددوا المذهب وألفوا فيه ولم يكثر أتباعه فى هذا المذهب لتقيده بالحديث ونفوره من الرأى وهو على أى حال فرع من مذهب مالك والشافعى.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وقد أتاحت المقادير لهـــذا المذهب في العصور المتأخرة رجالا عملوا على نشره وفتحوا فيه باب الاجتهاد - فابن تيمية وابن عبد الوهاب وجمال الدين الأفغاني كل أولئك نشروا منحاه في إجلال الحديث والأخذ به ونفروا من التقيد بأقوال الفقهاء أي كان لونهم وطريقتهم وهم في الواقع نشروا مذهب الحديث ودعوا إلى الاقتداء بالسنة ومع ما هم عليه من محاربة البدع وتحريم كثير من الأشياء جعلوا الفقه الإسلامي فوق المذاهب وفرقوا بحق بين الشريعة وبين الفقه فالفقه اجتهاد أما الشريعة فهي ينبوع هذا الفقه ، ولكل قدير على الاجتهاد أن يجتهد ويفهم من النص غير ما يفهمه الآخرون وقد يعطي النص حكمين متباعدين ولكن لا بأس على أي من المجتهدين ما دام لهم سند من القرآن الحديث . وبهذا فتح الحنابلة باب الاجتهاد بعد أن أغلق زمنا طويلا وأعادوا إلى الفقه بعض المرونة وتشددهم الذي يعاب عليهم هو في واقعه دعوة إلى التسامح لأنهم تشددوا في تحريم التقليد وتقديس الأشخاص ودعوا إلى إعمال العقل والاتصال بالله مباشرة في العبادة والاتصال بشرعه مباشرة عن طريق الشريعة لا عن طريق الفقه فزجوا بين المذاهب جميعا ولم يفرقوا بينهـــا .

ولا يشذ الفقه الشيعي وخصوصاً فقه الفاطميين عن هذا ، فالفقه الفاطمي أنضج فقه شيعي وهو يكاد أن يكون صورة من فقه المالكية وأكبر الظن أنه استفاد منه كثيراً في مصر والمغرب ، أما فقه الشيعة الإمامية فإذا استثنينا بعض مخالفات في العبادات وقوانين الأحوال الشخصية وهي الصور التي تخالف مذاهب السنيين نجد أن قوانين ومعاملات وأحكام البيع والرهن وما إليها تصلح للاتفاق مع المذاهب السنية ونحن نغارع من حسابنا كل الأفكار الباطنية فهي في حقيقتها ليست إسلامية ، وقد كفانا كل من الغزالي وابن تيمية وابن حجر الرد عليهم في هذا . ولكننا نقبل طريقة اجتهاد الشيعة وخصوصا ما نجده في كتب داعي الدعاة الفاطمي كروافد للفقه الإسلامي ولنا أن نتقبل منها ما نتقبله ونرفض ما نرفضه ومنذ سنوات أدخل الأزهر في منهجه درس الفقه الشيعي وهو طبعا يدرسه للثقافة والتاريخ لا للعبادة والعمل وهذا الدرس يطلع أبناءه على لون من التفكير يفيدهم في منهجهم ويمدهم بزاد جديد ولكي تكون الدراسة الفقهية في الأزهر والكليات التي تعنى بدرس الفقه الإسلامي دراسة موضوعية يجب أن تبحث أبوابه ومسائله الكبرى في جميع المذاهب التي تناولته فإذا كانت جزئية من جزئياته محل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تضارب الآراء واختلاف وجهات النظر كان لنا أن نأخذ منها ما يناسب حياتنا وليس الحتم أن يكون المناسب هو الإباحة بل قد يكون المنع هو المناسب وقد يكون المناسب غيره وقد قال عمر ذلك على ما قضينا وهذا على ما نقضى .

ونحن فى العصر الحديث عصر التوحد فى الاتجاهات المختلفة نرى أنه من المناسب أن نأخذ بمذهب فقهى واحد هو الفقه الإسلامى ولا داعى لأن يقسم الطلاب فى الأزهر والمسلمون فى الأقطار إلى شافعية وأحناف ومالكية وغيرهم فقد حالت هذه الطريقة دون اتحاد المسلمين على رأى واحد فى العبادة كما حالت بين طلاب الأزهر وبين الدراسة الموضوعية كما حجبت عنهم كتبا فى الفقه ما كان يليق أن تهمل من دراستهم . - فالدراسة المذهبية هى التى نحت كتب ابن حزم الظاهرى عن دراسة الأزهر وهى من غير شك أخصب ما كتبه وأكثر جدوى وما زلت آمل أن أرى كتاب المحلى ينقح ويصحح ويطبع بأيد أزهرية وأن يأخذ مكانه من دراسة الأزهريين ومراجعهم .

هذا المنهج الذى تحدثت عنه هو ما ينبغى (فيما أرى أن يكون أساس التطوير الجديد لدراسة الفقه الإسلامى) .

عطية الدين شلبى

نزل بأعرابى من بنى سعد أضياف فقام إلى الرحى فطحن لهم فمرت به زوجته فى نسوة فقالت لهن : أهذا بعلى ؟ فأخبر بذلك فقال :

تقول وصكت صدرها بيمينها
أبعلى هذا بالرحى المتقاعس
فقلت لها لا تعجبى وتبينى
بلائى إذا التفت على الفوارس
ألست أرد القرن يركب ردعه
وفيه سنان ذو غرارين يابس
إذا هاب أقوام تجشمت هولها
يهاب حياء الأمد المداعس
لعمر أبيك الخير إنى لخادم
لضيفى ، وإنى إن ركبت لفارس

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

رسالة المسجد في نشر الثقافة والحضارة

للأستاذ أحمد الشرباصي

— ٢ —

جامعات عامة :

يسمي كثير من الباحثين المساجد بالجامعات العامة ، وذلك لعدم الاختصاص فيها ، ولتفتح أبوابها للجميع ، حتى حلا للبعض أن يلاحظ وجه الشبه اللفظي والمعنوي بين كلمتي « الجامع » و « الجامعة » . وقد قالوا إن كلمة « الجامعة » لها مدلولات عدة ، منها المدلول اللغوي ، وهو المجموع — أي كل العدد — والعموم . ومنها المدلول الموجود للكلمة في اللاتينية المتأخرة وهو الجماعة ، والشركة ، ومنها المدلول المفهوم من معنى مجموع الأساتذة والطلاب يجتمعون في مكان لتدريس العلم وتلقيه في الفروع العليا من المعرفة .

وأغلب هذه المدلولات موجود في معنى « الجامع » ، فالجامع يضم الناس وهم العموم والمجموع والجامع فيه معنى الاجتماع والتلاقي والجامع تدرس فيه العلوم المختلفة الشريفة التي يحلق فيها الفكر كثيرا من الأحيان في آفاق عالية سامية قد تبلغ أدق مسائل الفكر من أمور العقيدة والروح .

وإنا لنقرأ في الجزء الأول من كتاب « مساجد ومعاهد » هذه العبارة : « المساجد الجامعة وإن كان الهدف من إنشائها هو أداء الفرائض ، إلا أنها ساعدت على التآلف والتعارف ، ونشر التعليم وإذاعته ، ونشر أوامر الدولة وقوانينها ، وكانت تتخذ محاكم لفض المنازعات الدينية والمدنية ، وأقيم فيها بيت المال .

وكانت تعقد فيها الدروس ، كما أقيمت الكتاتيب لتحفيظ القرآن والتعليم الابتدائي فكانت بمثابة جامعة للطالب ، ينشأ فيها طفلا ويتخرج فيها عالما .

ونستطيع أن نلحظ النزعة العالمية في مدرسة المسجد ، لأننا لا نشترط في دخولها سنا معينة بل يدخلها الكبير والصغير ، والناشئ الفتى والشيخ الطاعن في السن ، ولا نشترط في دخولها غنى أو فقرا ، ولا حسبا ولا نسبا ل يدخلها الأبيض والأسود والغني والمعدم وليس هناك اشتراط لمصروفات أو نفقات بل التعليم هنا بالمجان ، وهو مبذول لكل طالب يطلبه بلا تفرقة بين شخص وشخص ، وليس هناك من تمييز بين فرد وفرد في المكان أو الزمان أو الإجابة أو غير ذلك من الأمور .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وإذا نظرنا إلى مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام فى صدر تاريخه نجد أنه كان مفتح الأبواب للجميع ، لا فرق بين جنس وجنس ، ولا بين لون ولون ، ولا بين نسب ونسب ، ولا بين مقام ومقام ، فأبو بكر القرشى ، وأبو ذر الغفارى ، وأبو موسى الأشعرى اليمنى ، ومنقذ بن حبان البحرينى ، وبلال الحبشى ، وصهيب الرومى ، وسلمان الفارسى ، وفيروز الديلمى ، كلهم يتلاقون فى رحاب المسجد ، فلا يحس أحدهم بفارق بينه وبين غيره ، والكل يجلسون فى حلقة العلم الإسلامى يغترفون من مناهله ، كل حسب طاقته ومبلغ قدرته .

وجامعة المسجد مفتحة الأبواب للرجال والنساء على السواء ، فللمرأة الحق فى السعى إلى المساجد ، وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام :

« لا تمنعوا إماء الله بيوت الله » وللمرأة المسلمة أن تشهد الجماعات والجمع ، وأن تسمع الخطب والدروس والعظات ، وليس هذا فقط ، بل للمرأة أن تشارك فى المناقشة ، ونحن نعرف كدليل على ذلك أن الفاروق عمر بن الخطاب أراد ذات يوم أن يضع حدا للمهور خشية مغالاة الناس فيها ، فقامت امرأة من صف النساء فى المسجد تقول :

إن هذا أمر ليس لك يا عمر ، كيف تفعل ، والله تعالى يقول : « وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا ، أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا » ؟ .

وتدبر عمر فيما قالت المرأة ، فاستبان له صوابها ، فلم يكابر عليه أن يرجع عن رأيه وقال قولته التى رواها التاريخ ووعاها سمع الزمان : أصابت امرأة وأخطأ عمر !

ومما يدلنا على أن المرأة كانت تأخذ حظها كاملا من ثقافة المسجد وتوعيته أن النساء حينما رأين أن الرجال يتغلبون عليهن فى أوقات الاجتماع المشتركة داخل المسجد ذهب وفد منهن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلن له : يا رسول الله ، لقد غلبنا عليك الرجال ، فاجعل لنا يوما فقال فيه واستجاب الرسول لهن وخصص يوما يلقاهن فيه ! .

وفى تاريخ الإسلام كثيرات من النساء تألقن فى سماء الثقافة والعلم والمعرفة ، وبلغن درجة التعليم والتدريس ، وكانت أغلب الدروس منهن تلقى فى المساجد الجامعة التى أخذت روح الجامعات ، ففاض غيثها العلمى هنا وهناك ومن هؤلاء السيدة نفيسة بنت أبى محمد حسن التى يروى أن الإمام الشافعى لما دخل مصر سمع عليها الحديث ، وكانت وفاته سنة ثمان ومائتين للهجرة .

وأم المؤيد زينب بنت الشعرى التى سمعت من الكثيرين ، وأجاز لها الحافظ أبو الحسن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الفارسى ، والزمخشرى المفسر صاحب : « الكشاف » وغيرهما ، وكان من تلاميذها ابن خلكان صاحب « وفيات الأعيان » ، وقد توفيت بنيسابور سنة خمس عشرة وستمائة.

وشهدة بنت أبي نصر أحمد بن الفرج بن عمر الأبرى البغدادية ، التى سمع عليها خلق كثير ، واشتهر ذكرها وبعد صيتها ، وكان من تلاميذها الإمام المشهور ابن تيمية الحرانى الذى سمع منها الحديث ، وتوفيت سنة أربع وسبعين وخمسمائة .

ومنهن العروضية مولاة أبي المطرف عبد الرحمن بن غلبون الكاتب ، التى أخذت العلم عن مولاها ثم فاقته وسبقته ، وكانت تحفظ الكامل للمبرد ، والنوادر للقالى وتشرحهما ، وقرأ عليها هذين الكتابين أبو داود سليمان ، وتوفيت عام أربعين وخمسمائة .

وفاطمة بنت علاء الدين محمد بن أحمد السمرقندى ، كانت فقيهة محدثة مدرسة زاهدة ، ذاعت مؤلفاتها ، وكان الملك العادل نور الدين يستشيرها ويستفتيها ويعضدها .

وفاطمة بنت جمال الدين سليمان الأنصارى الدمشقى. كانت عالمة محدثة ، وممن أخذ الحديث عنها الصفدى ، وكان لها مال كثير أنفقته فى وجوه الخير ، وتوفيت سنة ثمان وسبعمائة .

وست الوزراء حفيدة وجيه الدين الحنبلى بنت عمر بن أسعد بن المنجا ، كانت محدثة مشهورة ، أخذت صحيح البخارى ومسند الشافعى عن الزبيدى ، وروى عنها الحديث الأمير عون والقاضى كريم الدين وغيرهما .

وزينب بنت يحيى بن عز الدين بن عبد السلام السلمى ، وهى حفيدة الإمام المشهور العز بن عبد السلام ، وتفردت برواية « الجامع الصغير » ، للطبرانى ، وتوفيت سنة خمس وثلاثين وسبعمائة .

وبنت الكمال زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد بن أحمد المقدسية . قال عنها الذهبى : إنها تفردت بقدر حمل بعير من الأجزاء بالإجازة ، وتزاحم عليها الطلاب واستفادوا منها كثيرا ، وماتت سنة أربعين وسبعمائة . وأخذ الإجازة عنها ابن بطوطة الرحالة المشهور ووصفها بأنها « رحلة الدنيا ».

وصفية بنت أحمد بن أحمد المقدسية الصالحية ، سمعت من الكرمانى وابن عبد الدائم صحيح مسلم وغيره ، وحدثت بصحيح مسلم وغيره وماتت سنة إحدى وأربعين وسبعمائة .

وجويرية بنت أحمد بن أحمد بن الحسين ابن موسك بن موسى الهكارى ، سمعت من ابن الشحنة وست الوزراء وابن عمر الكردى وابن الطباع ، وقال عنها ابن حجر : « وسمع منها بعض مشايخنا وكثير من أقراننا » . وماتت سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة .

وزينب بنت عبدالله بن عبد الحليم الحنبلية التى كانت من نساء الحديث المشهورات .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وزينب بنت محمد بن عثمان بن عبد الرحمن الدمشقية، العالمة الفصيحة البليغة الفقيهة المحدثة، وكان من تلاميذها ابن حجر العسقلاني وكثيرون، وأقبل على درسها الكثيرون.

وزينب بنت عثمان بن محمد لؤلؤ الدمشقية كانت عالمة فاضلة مبرزة في علوم السنة، وأخذ عنها ابن حجر العسقلاني، ولها رسائل في الفقه والسنة، وتوفيت سنة ثمانمائة.

وعائشة بنت علي بن محمد بن عبد الغني بن المنصور الدمشقية، كانت عالمة بالنحو والصرف والبيان والعروض والحديث، وفتحت حلقة للتدريس، وانتفع الناس كثيراً بعلومها ومعارفها.

وعائشة بنت محمد بن عبد الهادي بن عبد المجيد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد ابن قدامة المقدسي. كانت سيدة المحدثين بدمشق على عهدها، وروى عنها ابن حجر، وقرأ عليها كتباً كثيرة، وتوفيت سنة ست عشرة وثمانمائة.

وعائشة بنت يوسف بن أحمد بن نصر الباعونية الأديبة التقية ذات العلم والعمل، صاحبة مؤلفات وأشعار، وتوفيت سنة ثنتين وعشرين وتسعمائة.

وقد تحدث عن هؤلاء النساء ابن خلكان في «وفيات الأعيان»، وابن كثير في «البداية والنهاية»، وابن حجر العسقلاني في «الدرر الكامنة»، وابن بطوطة في رحلته وغيرهم، كما يمكن العثور على أسماء عشرات من النساء اللائي تألقن في سماء العلم، وكانت لهن صلاتهن بالمساجد.

ويذكر التاريخ أن الأزهر الشريف كان يعقد فيه مجلس من مجالس الحكمة التي أنشأها الفاطميون لدراسة الدعوة الفاطمية، وكان يعقد فيه مجلس للنساء، وفي صفحات تاريخ الأزهر الشريف، والمعهد الأحمدي الديني بطنطا ما يفيد وجود نساء تعلمن في هذين المسجدين ونلن درجات علمية.

ومن الصبغة العامة للمسجد التي تجعل تأثيره الثقافي ذا ألوان أنه كان منبرا للأمور العامة، فهذا مثلا عمرو بن العاص يقوم في مسجده الجامع بالفسطاط، فيشرح للناس ما يهمهم من أمور، فيبدأ بالحمد لله والصلاة على رسول الله، والحث على الزكاة وصلة الأرحام، ثم يقول:

«يا معشر الناس، إياكم وخلالا أربعا، فإنها تدعو إلى التعب بعد الراحة وإلى الضيق بعد السعة، وإلى الذلة بعد العزة: إياكم وكثرة العيال، وإخفاض الحال، وتضييع المال، والقيل بعد القال، في غير درك ولا نوال.

ثم إنه لا بد من فراغ يئول إليه المرء في توديع جسمه، والتدبير لشأنه، وتخليته بين نفسه وبين شهواتها؛ ومن صار إلى ذلك

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فليأخذ بالقصد والنصيب الأقل ، ولا يضيع في فراغه نصيب العلم من نفسه ، فيحوز من الخير عاطلا ، ومن حلال الله وحرامه غافلا .

يا معشر الناس ، إنه قد تدلت الجوزاء ودكت الشعرى ، وأقلعت السماء ، وارتفع الوباء ، وقل الندى ، وطاب المرعى ، ووضعت الحوامل ، ودرجت السخائل ، وعلى الراعي أن يحسن رعيته . فحي لكم على بركة الله تعالى إلى ريفكم تنالوا من خيره ولبنه ، وخرافه وصيده ، وأريحوا خيلكم وسمنوها وصونوها وأكرموها ، فإنها جنتكم من عدوكم ، وبها مغانمكم ونصركم .

واستوصوا بمن جاورتموه من القبط خيراً وإياكم والمومسات الممسولات . فإنهن يفسدن الدين ويعصرن الهمم ، حدثني عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ستفتح عليكم من بعدي مصر فاستوصوا بقبطها خيرا ، فإن لهم فيكم صهراً وذمة) فكفوا أيديكم ، وغضوا فروجكم ، وغضوا أبصاركم ، ولا أعلمن ما أتى رجل قد أسمن جسمه ، وأهزل فرسه .

واعلموا أني معترض الخيل [1] كاعتراض الرجال ، فمن أهزل فرسه من غير علة ، حططت من فريضته قدر ذلك . واعلموا أنكم في رباط إلى يوم القيامة لكثرة الأعداء حولكم وتشوف قلوبهم إليكم وإلى داركم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية . . .

حدثني عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جنداً كثيفا ، فذلك الجند خير أجناد الأرض » ، فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه : ولم يا رسول الله ؟ فقال : « لأنهم وأزواجهم في رباط إلى يوم القيامة » . فاحمدوا الله معشر الناس على ما أولاكم ، فتمتعوا في ريفكم ما طاب لكم ، فإذا يبس العود ، وسخن الماء ، وكثر الذباب ، وحمض اللبن ، وصوح البقل ، وانقطع الورد عن الشجر فحي إلى فسطاطكم على بركة الله .

ولا يرجع أحد منكم ذو عيال إلا ومعه تحفة لعياله على ما أطاق من سعته أو عسرته أقول قولي هذا وأستحفظ الله عليكم » .

وهذه الخطبة التي ألقاها عمرو بمسجده في الفسطاط لا تقتصر كما نرى على التوجيه والتثقيف في شئون الدين والعبادة فحسب ، بل تدخل في صميم أمور الحياة والتوجيه فيها ، مما يدل على أن ساحة المسجد من طبيعتها أن تكون ميدان توعية ثقافية في كل شئون الدين والدنيا .

أحمد الشرباصي

(١) أي يقوم باستعراضها للتأكد من سلامتها وجودتها .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نظرات فى الأدب والتصوف :

المذهب الرمزى فى أدب الصوفية

للأستاذ محمد ابراهيم الجيوشى

عرفنا فيما سبق أن الصوفية نهجوا فى الحياة منهجا خاصا ، واختلفت نظرتهم إليها عن نظرة غيرهم ممن يعاصرونهم على اختلاف القرون بهم ، ومع ذلك فقد شاركوا غيرهم فى كثير من الآراء والمشاكل التى عرضت لهم فى محيط حياتهم

والصوفية كغيرهم من الناس فى حاجة إلى التعبير عما يجول بصدورهم ، ويضطرب فى حنايا قلوبهم ، وإلى تصوير ما يدينون به من الآراء والمعتقدات فى قالب فنى جميل ، من مناجاة ووجد وعشق ، وما يتراءى لهم فى رياضاتهم ومجاهداتهم من لمحات إلهية ، وجذبات روحية ، وإلهامات قلبية ، سواء ما انفردوا به دون سواهم ، أو ما شاركوا فيه غيرهم من الآراء والنظريات .

وهم إلى جانب ذلك فصلوا القول فى السلوك والأخلاق وخفايا النفوس ، وشرح خلجاتها والتعمق إلى أسرارها والبحث عن دفائنها ، تحدثوا عن هذا كله حديث المدقق الفاحص مما يدل على خبرتهم الواسعة بالنفوس وأحوالها .

وقد تركوا فى هذا كله المقالات الضافية والبحوث القيمة والقصائد الجياد التى بلغت الذروة فى الجمال الفنى والتصوير البديع ، ونظراً لصعوبة المعانى التى يرمون إليها ، ووعورة الوصول إليها ، وعمق موضوعاتها لجئوا إلى الرمز والإشارة فى تعابيرهم ، واستعانوا بالصور والتشبيهات والأخيلة يتخذونها وسيلة الإبانة عن أغراضهم ، والكشف عن خلجات نفوسهم ، فهم الذين أوجدوا المذهب الرمزى فى الأدب العربى بلا منازع ، وهم دعاته والواضعون لأسسه والناهجون سبيله تشهد بذلك آثارهم من شعر ونثر .

وقد دعاهم إلى ذلك اللون من التعبير أنهم كانوا يعرضون لكثير من النظريات المعقدة ويدركون أنهم إذا صرحوا بها هاجوا الفقهاء ضدهم ، فكانوا يلجئون إلى الرمز

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

خشية بأسهم ، وإيثارا السلامة من شرهم ، وذراً الرماد فى العيون ، ومن السهل على من درس آثارهم الوصول إلى هذه النتيجة التى وصلنا إليها .

وقد ذهبوا فى الرمز مذاهب شتى : فمنهم من رمز بالخمر ، ومنهم من رمز بالحب ، وقال « نيكلسون » إن ذا النون المصرى هو أول من استعمل الرمزية « الباكوسية » التى أغرم بها شعراء الصوفية (١) ومن هذا نعرف أن الرمزية نشأت مع التصوف فى أول العهد به والصوفية أنفسهم قد أثر عنهم ما يفيد اتجاههم إلى الرمز لعمق المعانى التى يعبرون عنها ، وفى ذلك يقول ابن عربى : « ليس فى مستطاع أهل المعرفة إيصال شعورهم إلى غيرهم ، وغاية ما فى هذا المستطاع هو الرمز عن تلك الظواهر لأولئك الذين أخذوا فى ممارستها » (٢) .

ولابن عربى أيضا قصيدة يشير فيها إلى استعمال الرمز فى تعبيراته وكناياته أوردها فى ترجمان الأشواق وهى :

كل ما أذكره من طلل
أو ربوع أو مغان كلما
وكذا إن قلت ها أو قلت يا
وألا إن جاء فيه أو أما
وكذا إن قلت قد أنجد لى
قدر فى شعرنا أو أتهما
وكذا السحب إذا قلت بكت
وكذا الزهر إذا ما ابتسما
أو أنادى بحداة يمموا
بانة الحاجر أو ورق الحمى
أو بدور فى خدور أفلت
أو شموس أو نبات أنجما
أو بروق أو رعود أو صبا
أو رياح أو جنوب أو سما
أو طريق أو عقيق أو نقا
أو جبال أو تلال أو رما
أو خليل أو رحيل أو ربى
أو رياض أو غياض أو حمى
أو نساء طاعيات نهد
طالعات كشموس أو دمى
كل ما أذكره مما جرى
ذكره أو مثله أن تفهما
منه أسرار وأنوار جلت
أو علت جاء بها رب السما
لفؤادى أو فؤاد من له
مثل مالى من شروط العلما
صفة قدسية علوية
أعلمت أن لصادق قدما

---

(١) فى التصوف الإسلامى وتاريخه ص ٨ ترجمة عفيفى .

(٢) التصوف الإسلامى العربى ص ١٠٦

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فاصرف الخاطر عن ظاهرها
واطلب الباطن حتى تعلما

وقد نشأ عن هذا اللون من التعبير أن انفرد الصوفية بلغة خاصة بهم ، واصطلاحات لاتعداهم ، وأساليب تحمل سمتهم دون غيرهم ، حتى لقد دعا ذلك بعضهم أن يؤلف فى معانى هذه الاصطلاحات ، وآخر من عرفنا من هؤلاء الشيخ حسن رضوان « المصرى » من صوفية هذا القرن .

وكان النثر والشعر مجالا فسيحا للصوفية حينما يسجلون رأيا أو يعبرون عن لمحة من لمحات القلب ، وإشراقة من إشراقات النفس فآثارهم موزعة بين كل منهما إلا أن النثر قد ذهب بالجم الغفير من ذلك النصيب ، والشعر الصوفى بالنسبة للنثر قليل ، وإن كان فى الذروة من الجودة كما سنرى .

وكتب الصوفية حافلة بالنثر المنسوب إلى مشايخ الصوفية ، خاصة كتب التراجم منها مثل : حلية الأولياء لأبى نعيم الأصفهانى ، وطبقات الصوفية لعبد الرحمن السلمى ، ورسالة القشيرى وما أثر عنهم من أحزاب وأوراد وحكم : كالشاذلى وابن عطاء الله السكندرى وكثير سواهما .

وفى الشعراء أظهرهم ابن الفارض ، ومحى الدين بن عربى ، والنابلسى والسهروردى . هذا فى دائرة الأدب العربى ، ويقول الدكتور عبد الوهاب عزام : « إن الأدب الفارسى ويقبعه التركى والأردى قد ترجم عن فكر الصوفية ووجدانهم بالشعر لا بالنثر وبلغ شعراء الصوفية فى هذا السبيل غاية لم يدركها شعراء أمة أخرى [1] .

هذا مقدار ما بين الصوفية والأدب من صلات ، والمذهب الأدبى الذى آثروه فى التعبير عن آرائهم وترجمة أفكارهم ، وتسجيل خواطرهم ولمحاتهم .

وبعد ، فما هو الأدب الصوفى ، وهل هناك بحق أدب يمكن أن يسمى الأدب الصوفى ، وإن كان فما هى مظاهر ذلك الأدب الذى نريد أن نتكلم عنه .

هذه أسئلة تدور بخاطرنا الآن ، وسنحاول أن نجعل من الفصول الآتية إن شاء الله إجابات عنها وإثباتا لها .

محمد ابراهيم الجيوشى

---

(١) التصوف وفريد الدين العطار ص ٤٢

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الثورة الثقافية في الإسلام

للأستاذ حسن فتح الباب

— ٣ —

الهدف الأسمى للثقافة :

تنبع مقومات الثقافة في الإسلام - كما تقدم - من طبيعة رسالته وجوهر عقيدته فالإسلام هو الدين الحق الذي أنزله الله على نبيه هدى ورحمة للعالمين ، ومن ثم ينبغي ألا توضع حدود فاصلة بين العلم والدين ، إذ أنهما نشآ من منبت واحد وهو التفكير ، وهما يبتغيان غرضا واحدا هو إسعاد البشرية روحيا وماديا . والسبيل إلى ذلك أن يكون العلم هادفا إلى بلوغ الغرض الأسمى لدعوة الهداية وهو تأمين الناس من شر مايلقون من أنفسهم ومن تقلب الأحداث ، وأن يكون رب العلم إيجابيا بناءا في سعيه إلى بث الحكمة والمعرفة بين الناس ، فلا يركن إلى الصوامع والأبراج العاجية ، وإنما يهبط إلى أرض الواقع ليشارك الناس حياتهم ويفيدهم بما حباه الله من ثراء فكري . قال تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » ، وقال عليه الصلاة والسلام (لا رهبانية في الإسلام) .

العلم عطاء ونمو :

والمؤمن المثقف الحق هو الذي ينتفع الناس بعلمه ، ولا يبخل به ، ذلك أن العلم أخذ وعطاء ، والله تعالى يسبغ علمه على الصالحين من عباده . والرسول صلى الله عليه وسلم هو إمام المعلمين وقائدهم ، وقد قدم أروع المثل في سبيل تعليم المؤمنين وتثقيفهم فواجب العلماء ألا يدخروا وسعا في هذا السبيل ، وأن يجعلوا من أنفسهم مراكز إشعاع لنور العلم والمعرفة .

ومصداق ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار) ، و (ساعة عالم متكئ على فراشه ينظر إلى علمه خير من عبادة العابد ستين يوما) .

ولكي تؤتي الثقافة ثمارها ينبغي أن يكون العمل الجماعي دستورها ، فلا ينفرد عالم بعلمه وإنما يشارك الآخرين في تحصيل المعارف وكشف الجديد منها ، ذلك أحرى أن يوثق الأواصر ويدعم الروابط الفكرية بين أهل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

العلم ويعود على المجتمع بالخير العميم نتيجة لحفز الهمم وشحذ الجهود وحشد الطاقات .

وثمة مقوم آخر للثقافة الإسلامية الصحيحة ينبثق من طابعها الإيجابي ، وهو الحركة والمرونة وانفساح الأفق ، فالإسلام دين الحرية يأبى الجمود في العلم والثقافة ، ويحث على التحرر والانطلاق في ظل الشريعة السمحة والمبادئ الخالدة .

النهضة الثقافية تحرر في الرأي ونقد للذات :

ومن شأن هذا التحرر أن يخلق القيادات الرشيدة والخلايا الصالحة في صفوف المجتمع فتزدهر الحضارة وينعم البشر بنتاجها الخصب ويعمر العالم بالقدرات الخلاقة والكفايات الموفورة وتتجدد الحياة ويطيب العيش فيها .

وعماد هذه النهضة الثقافية حرية الرأي والفكر في إطار المثل العليا والتقاليد القويمة في المجتمع الإسلامي ، فلا قيد على النقد الحر البناء ولا عقوبة على الخطأ اليسير مع حسن النية وكرم الطوية . وينبغي أن يبدأ الإنسان بنقد ذاته فلا يتعصب لقوله أو عمله ذلك أن العصمة لله وحده ، وإنما يكسب المرء من تجربة الخطأ في حين أن الإصرار على الخطأ عن تعصب أو جهالة ينأى بصاحبه عن حظيرة المجتمع ، وقد يرديه في موارد التهلكة .

والواقع أن القيادة الجماعية والنقد الذاتي كانا من أهم الضمانات التي أرساها الإسلام للنهوض بحركة الإحياء العلمي والثقافي ولكفالة التطوير الدائم للمجتمع . فالنقد الذاتي عملية موضوعية يواجه فيها الأفراد أنفسهم فيخلصون قلوبهم من نوازع الذاتية الفردية ويقهرون التطلعات والمطامع الشخصية ، وهي عملية تطهير مستمر للنفس تزيل ما يمكن أن يرسب فيها أثناء السعي في ميادين الحياة ، والنقد الذاتي لا يتنافى مع الطموح الذي تحبذه الروح الإسلامية ، ولكنه ضد الانتهازية التي يقف دونها الإسلام مقلماً أظفارها .

والعلم عبادة ، فلا خير في امرئ لا يلتزم بقدسية الفكر والمعرفة وإن حظا منهما بالنصيب الأوفى . وأوجب ما تستلزمه هذه القدسية الشجاعة والأمانة والدقة والبعد عن الغرض . وقد قص الله علينا أحسن القصص في كتابه الحكيم ، وبين فيه من المثل والعبر ما يهدي الناس إلى الآداب التي تصلح حياتهم وتحقق أمنهم ورفاهيتهم فيذكر القرآن في سورة الكهف قصة موسى مع العبد الصالح ليرشد بها إلى ما ينبغي أن يكون عليه الإنسان في طلب العلم من حسن التواضع والنأي عن الغرور واحتمال المشاق في سبيله .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ويقول الرسول عليه السلام فى الحث على التزام الأمانة العلمية وتجنب التغرير والتمويه عن طريق التشاور بين أساتذة العلم ومريديه (تناصحوا فى العلم . فإن خيانته فى العلم أشد من خيانة فى المال) .

تلك هى المقومات الرئيسية للعلم والثقافة فى الإسلام وقد تطورت هذه المقومات بتواتر الأخذ بها وتدعيمها حتى أصبحت قيما علمية — وتقاليد ثقافية راسخة فى كل العصور الإسلامية الزاهرة ، فنتجت منها حضارته العظمى ، ونبغ من علماء المسلمين رواد وأبطال سعوا فى الآفاق ينشرون نور العقيدة ويبشرون بمبادئها السامية ويرفعون لواء ثقافتها الإنسانية الحقة أينما سلكوا أو أقاموا .

اللغة والثقافة من أركان الوحدة العربية :

ولقد كانت الثقافة الإسلامية وما زالت من المقومات الأساسية للقومية العربية ، وكانت وحدتها عاملا على دعم الوحدة العربية منذ أقدم العصور التاريخية ، إذ يرجع إلى الثقافة المشتركة فى العالم الإسلامى الفضل فى توحيده فى ظل الدولة الإسلامية ، ولقد اقترن ازدهار الدولة دائما بازدهار الثقافة ، وأصابها الوهن بالتقاعس عن نشر العلوم والثقافات بين أبنائها . ذلك أن وحدة الثقافة تؤدى إلى وحدة المشاعر والأفكار .

ولولا اللغة العربية التى سادت فى جميع أرجاء الوطن العربى على اختلاف العصور والدول ، لما أمكن للثقافة الإسلامية أن تنتشر هذا الانتشار الذى يعتبره المؤرخون من أبرز الظواهر فى تاريخ الإنسانية والذى يدل على خصوبة اللغة العربية وأصالتها وقدرتها على جمع شمل أهلها وتوحيدهم ، إذ كانت واسطة التفاهم بينهم وسبيلا إلى التقاء مشاعرهم .

وقد كانت اللغة العربية قبل الإسلام هى لغة الجزيرة العربية وبعض أطراف الشام والعراق ، فأصبحت فى ظله لغة سكان الوطن العربى من الخليج شرقا إلى المحيط غربا ومن جبال طوروس شمالا إلى أواسط إفريقيا جنوبا .

وقد وحدت هذه اللغة الخالدة العرب فى جاهليتهم ، فلما نزل بها القرآن دعم تلك الوحدة على أساس من الدين الحق ، وأغنى قداسته عليها وتطور بها العلماء المسلمون حتى صارت لغة حضارة تساير الحياة والزمن . ومازال اللسان العربى المبين لم يتغير فى أصوله منذ أربعة عشر قرنا برغم ما أصيب به العرب والمسلمون من نكبة الاستعمار والحكم الدخيل .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولقد حاولت الشعوبية قديما الانتقاص من اللغة العربية وقدرتها على حمل مشعل الثقافة والمعارف العلمية المتطورة . وكانت ترمى بذلك إلى هدم الثقافة والحضارة العربية لإخلاء السبيل لأعداء العرب والمسلمين كى يغزوا بلادهم بلغتهم وثقافتهم ، ولكن العرب تمسكوا بلغتهم وثقافتهم وصمدوا فى تحدى خصومهم إدراكا منهم أن اللغة العربية هى وعاء ثقافتهم الإسلامية ولسان دينهم ، وهى أبرز الأسس فى نشوء قوميتهم وتكوينها ، وانتصر الإسلام والعرب بانتصار لغتهم ، ولم يفلح الفرس والأتراك فى عصور العباسيين فى زعزعة اللغة العربية وإحلال الفارسية أو التركية محلها أو مساواتها بها .

ثم جاء الاستعمار الحديث فتبنى أسلوب الشعوبية القديمة فى محاولة القضاء على اللغة العربية متوسلا بذلك إلى القضاء على الحضارة العربية والقومية العربية التى هى ثمرة تلك الحضارة ، ولقد عمد الاستعمار إلى استخدام مختلف الأساليب من وعد ووعيد وترغيب وترهيب لتحقيق مقاصده العدوانية فافترى على لغة القرآن الأكاذيب ونسج المؤامرات واستمال إليه بعض الفئات مغررا بدعوى أن اللغات الأوربية تفرعت عن اللغة اللاتينية الأم ، ومن ثم نادوا باستبدال العامية بالعربية ، وهو زعم باطل لا يستند إلى أساس ، ذلك لأن الشعوب العربية تتكلم لهجات قريبة من اللغة الفصحى ، على حين أن اللغات التى تفرعت من اللغة اللاتينية خرجت عليها فى قواعدها وضمت أخلاطا من لغات مختلفة ، فالألمانية على سبيل المثال مزيج من اللغات الجرمانية واليونانية واللاتينية ، أما اللغة العربية فلم تدخل فى تركيبها لغات أجنبية .

وهكذا كانت اللغة العربية وعاء الثقافة فى الإسلام وديوانا لأمجاد المسلمين وأداة لحضارتهم وواسطة لنقل المعارف بين الشرق والغرب نظرا لتوسط الوطن العربى فى موقعه من العالم .

واستطاعت هذه اللغة الأصيلة أن تنهض بدورها التاريخى فى الثورة الثقافية التى أشعلها الإسلام فى ظلمات التاريخ فشعت أنوارها الغامرة تهدى البشرية إلى سواء السبيل وتحقق أمل الإنسان فى التحرر والوحدة والرخاء .

حسن فتح الباب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الملاحم والمطولات الإسلامية في الشعر العربي

للدكتور سعد الدين الجيزاوي

— ٥ —

نقد الدكتور شوقي ضيف وردنا عليه :

ولسنا نذهب إلى ما ذهب إليه الدكتور شوقي ضيف في ملحمة محرم من أنه « لا يكتب ملحمة كالملحمة التي كتب فيها هوميروس ، وإنما يكتب ، أو قل ينظم سيرة الرسول . وفرق بين نظم السير الشعر القصصي ، ذلك لأن الأول عمل آلي ، فالشاعر يقرأ التاريخ ، ثم يحوله شعراً ، أو قل يحوله نظما ، وهو لذلك لا يعالج حربا ولا ملحمة بعينها ، وإنما يعالج سيرة بطولة فيها الحرب ، وفيها غير الحرب .

« والخلاصة أن إلياذة محرم ليست كما يظن حدثاً جديداً في أدبنا ، بل هي عمل مسبوق ، وأن من الخطأ أن نسميها . أو يسميها صاحبها إلياذة وإنما هي مجموعة من القصائد في سيرة الرسول وغزواته ، وهي أشبه ما تكون بالقصائد الغنائية ومع ذلك فغنائيتها ضعيفة إذ ليس فيها مشاعر مثيرة ، ولا صور حية ناضرة ، فلا تقرؤها حتى تجد أنها زاخرة بالفتور وسرعان ما يملؤك السأم والملل ، وهي لذلك شيء بين الشعر الغنائي والشعر التعليمي الجاف الذي يسرد عليك مجموعة من المعارف في أعداد وأرقام ، أما الشعر القصصي فليس فيها منه شيء ، لأنها تفقد أهم أركانه وهو الخيال القوي النافذ الذي يقص عليك الأسطورة أو الحادثة التاريخية ، فيجعلك تستشعر ، وتلمسها بكل تفاصيلها وجزئياتها لمسا قوياً ، حتى لكأنها تحفر في ذهنك حفرا » .

فالدكتور ضيف يرى أن عمل محرم هذا لا يستحق أن يسمى ملحمة أو إلياذة ، ويبني هذا الرأي على أمور أهمها :

١ — أن الشاعر لم يزد على أن حول سيرة الرسول إلى « نظم » فيه خصائص الشعر التعليمي الذي يسرد مجموعة من المعارف في أعداد وأرقام .

٢ — وأنه لم يعالج معركة بعينها ، وإنما تحدث عن عدة غزوات وحروب في عدة قصائد ضم بعضها إلى بعض .. كما أنه لم يستغل حادث غزوة بدر ونزول الملائكة فيطلق العنان لخياله ويجيد التصوير .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

٣ — فقدان هذا العمل أهم أركان الشعر القصصى وهو الخيال المتون النافذ الذى يصلح للأساطير .

ومن أجل ذلك فهو يحكم على « إلياذة محرم » كما يسميها صاحبها أو غيره بأنها لا ترتقى إلى مرتبة الشعر الغنائى ، بل هى شبيه به ، وأن مافيها من آنات الغنائية ضعيف يبعث السأم والملل فى النفس إذ ليس فيها صور حية ناضرة تثير المشاعر .

ولكننا الحقيقة والإنصاف نقول :

١ — إن « محرم » لم يعمل على تحويل السيرة النبوية إلى « نظم » أو « شعر تعليمى » وإنما هو صور سيرة الرسول تصويرا شعريا أدى معه إلى جانب العمل الفنى فى التصوير عرض الحقائق التاريخية فى أمانة ودقة وتفصيل مغن فى أسلوب أدبى لا تعليمى .

انظر مثلا إلى قوله فى مطلع الإلياذة :

املأ الأرض يا محمد نورا
واغمر الناس حكمة والدهورا
رفيدة : على الناس الحنانا
رزيدى قومك العالين شأنا
خذى الجرحى إليك فأكرميهم
وطوفى حولهم آنا فآنا
وإن هجع النيام فلا تنامى
عن الصوت المردد حيث كانا
أعينى الساهرين على كلوم
تؤرقهم ، فتلك من أعانا

* * *

فيالك خيمة للصبر فيها
جلال لا يرام ولا يدانى
جلال الله ألقاه عليها
فجملها بروعته وزانا
رفيدة : جاهدى ودعى الهوينى
فما شرف الحياة لمن توانى
ودب مجاهد بلغ الثريا
وما عرف الضراب ولا الطعانا
وكم هز الممالك فى علاها
فتى ما هز سيفا أو سنانا
الخ ...

هذا الروح الشعرى : بكل مقومات الشعر العربى الرصين هو طابع الإلياذة العام ، غير أن طبيعة الموضوع ، وطوله ، وكثرة المواقف ، وحرص الشاعر على التسجيل الشامل للسيرة النبوية . . كل ذلك قد اضطر الشاعر إلى أن يضع عناوين كثيرة تسير مع تسلسل الحوادث حتى أن الرائى يخالها عناوين لكتاب تاريخ لا ديوان شعر ، وأحيانا تتقارب هذه العناوين فتزيد فى الإبهام ، ولكننا إذا قرأنا ما وراء هذه العناوين وجدنا ما يعد من أروع الشعر .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وقد رأينا فى النماذج السابقة ما يؤيد هذا الرأى ، وإليك نموذجا آخر عن شهداء بدر :

طف بالمصارع واستمع نجواها
والثم بأفياء الجنان ثراها
ضاع الشذا القدسى فى جنباتها
فانشق ، وصف المؤمنين شذاها
حلل يروع جلالها ، ومنازل
من نور رب العالمين سناها
ضمت حماة الحق ، ما عرف امرؤ
هزالهم من دونه أرجاها
شهداء بدر أنتم المثل الذى
بلغ المدى ، بعد المدى ، فتناهى
علمتم الناس الكفاح فأقبلوا
ملء الحوادث يدفعون أذاها
أما الفداء ، فقد قضيتم حقه
وجعلتموه شريعة نرضاها
من رام تفسير الحياة لقومه
فدم الشهيد يبين عن معناها
لولا الدماء تراق لم تر أمة
بلغت من المجد العريق مناها
أدنى الرجال من المهالك من إذا
عرضت منايا الخالدين أباها
وأجل من رفع المنالك مظهراً
بان من المنهج السماح بناها

(فهل من الإنصاف أن نقول إن هذا « نظم » وليس شعرا ؟؟؟)

ولئن وجد فى بعض القصائد ما يشعر بالسرد التاريخى أحيانا ، فإن هذا لا يخرج الملحمة فى مجموعها عن كونها « شعرا » ولا يضعها بحال فى عداد « النظم » أو « الشعر التعليمى » .

وإذا نظرنا إلى عمل محرم فى إلياذته من حيث تصوير السيرة النبوية شعراً . ثم قارناه بعمل شوقى رحمه الله فى « أوجوزة العرب الكبرى » وجدنا البون شاسعا ولا سيما فى الجزء الخاص بالسيرة النبوية إذ غلبت طبيعة الموضوع على شوقى فكان فى عرضه ناظما .

وما لنا نذهب بعيداً ونتعسف كما تعسف الدكتور شوقى فى اعتباره إلياذة محرم « غنائية » وما بناه على عدم استكمال غنائيتها من تقليل قيمتها ؟

ومن قال بأن الملحمة ينبغى أن تكون غنائية ؟

نعم إن « الموضوعية » هى أهم خصائص الشعر القصصى ؟ استمع إلى أرسطو يتحدث عن « موضوعية » هوميروس فى الإلياذة :

« فالحق أن الشاعر يجب ألا يتكلم عن نفسه ما استطاع إلى ذلك سبيلا لأنه لو فعل غير ذلك لما كان محاميا . أما سائر الشعراء فيزجون بأنفسهم فى كل موضع ولا يحاكون إلا قليلا ونادراً ، بينما هوميروس

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يبدأ باستهلال موجز ثم يعرض على الفور رجلا أو امرأة أو أى شخص آخر يصور خلقه » .

ولا جدال فى أن « الشعر القصصى هو الذى يتحدث فيه الشاعر عن سواه وعن مظاهر الطبيعة ، والمجتمع البشرى بعاداته وتقاليده ، وأبطال الحروب من غير أن ينم عن شعوره إزاء كل ذلك » .

فإذا انفعل الشاعر وعبر عن ذاتية فى بعض أجزاء الملحمة ، فإن ذلك لا يقدح فى عمله ولا يخرجه عن شعر القصة « فقد ورد فى إلياذة هوميروس بعض الشعر الغنائى كرثاء (أخيل) ووداع (هكتور) لزوجته وما شاكل هذا » .

فاذا فعل أحمد محرم إلياذته فى غير هذا ؟ إن طبيعة موضوعه قد اضطرته أن يكون « موضوعيا » يعبر عن غيره لا عن نفسه ، وأحيانا كان ينفعل فيعبر عن إعجابه عندما كان يمدح النبى صلى الله عليه وسلم ، أو عن ألمه مثلا عندما كان يرثى شهداء بدر أو غيرهم .

ومن الطبيعى ألا يخلع محرم فى إلياذته الإسلامية إلى ما يطلبه الدكتور شوقى من الحديث عن الآلهة واشتراكهم فى الغزوات فإن ذلك ينافى العقيدة ، ولا يقره الإسلام . بل قد رأينا أفلاطون يستنكر ذلك من هوميروس نفسه !!!

وإذن فمن الإجحاف أن نوافق الدكتور شوقى على رأيه فى تقليل أهمية إلياذة محرم لأنها ليست موضوعية بها ، ولأنها لا تصور كل ما صوره هوميروس ..

٢ — ولقد عنى محرم بعرض السيرة النبوية كاملة بأسلوب « الشعر » ولو قد وقف عند غزوة واحدة مثلا واستبحر بخياله فى أحداثها .. لكان عارضاً لجزء من موضوع كامل ، قصد هو أن يعرضه جميعه ، وهذا الموضوع هو سلسلة متصلة الحلقات من صراع رهيب غير وجه التاريخ واشترك فيه أشخاص ، وكانت فيه مواقف بطولة تستحق التخليد ، ويتلخص هذا الصراع فى « إعلان دعوة ، ثم المناضلة عنها ، ثم انتصارها واستقرارها » فهو موضوع واحد فلا بد أن يعرض جميعه ما دام هدف الشاعر تيسير دراسته وتداوله ..

أما إنه لم ينظم قصيدة واحدة بقافية واحدة ووزن واحد كما فعل هوميروس فإن طبيعة الشعر العربى ، وقيود القافية ألا تسعف « محرم » ولا غيره بإنشاء أكثر من خمسة آلاف بيت على قافية واحدة . . وتعدد الأوزان والقوافى لا يقدح فى عمل محرم ما دامت هناك وحدة وتسلسل فى تصوير الأحداث . .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولم يغفل محرم حديث نزول الملائكة في غزوة بدر ، بل إنه صور وأجاد ولكن في حدود ما تسمح به العقيدة الإسلامية إذ لم يكن بوسعه أن يترك العنان للخيال فيذهب مذهب هوميروس — استمع إليه في ذلك :

الله أرسل في السماء كتيبة
تهفو كما هفت البروق اللمح
تهوى بجلجلة ، تلهب أعين
منها ، وتقذف بالعواصف أجنح
للخيل حمحمة تراع لهولها
صيد الفوارس ، والعناق القدح
« حيزوم » : أقدم ، إنما هي كرة
عجلى تجاذبك العناق فتمزح
« جبريل » يضرب ، والملائك حوله
صف توض به الصفوف وترضح
تلك الحصون المانعات ، بمثلها
تذرى المعاقل والحصون وتذرح
القوم في أعناقهم وبنانهم
نار تريك الداء كيف يبرح
جفت جذور الجاهلية والتوى
هذا النبات الناضر المسترشح
طفق الثرى من حولها لما ارتوى
من ذوب مهجتهم ، يجف ويبلح
ومن الدم المسفوح رجس موبق
ومطهر يسلد الحياة ويلقح

قل (يا أبا سفيان) غير ملوح
فالسيف يخطب ، والخطوب تصرح
بيض على بلق ، تساقط حولها
سود مدممة تساف وترمح

٣ — ولعل فيما عرضناه من نماذج الإلياذة ما يشهد باستيفاء عنصر الخيال — كما يعرفه الذوق العربي الإسلامي — مستمدا من المعلومات التاريخية الإسلامية ، موجها بعاطفة إسلامية خالصة ، مصوراً في تلك الصور البيانية الرائعة وما نحسب أن أحداً يحكم على إلياذة محرم بأنها خالية من الألوان البيانية ، وما تنشأ منها من صور قوية حية مؤثرة ذات إيحاءات تبعث على النشاط النفساني والذهني معا لا أنها تدعو إلى السآمة والضجر ، خذ مثلا غير ما مر بك وغير ما يشيع في الإلياذة جميعا ... تصويره لفزع « بني لحيان » الذي أصابهم عند ما علموا بالغزو — بعد أن كانوا يتحدون من يحدثهم عن قوة محمد وصحبه :

بني لحيان : راعجي لبأس
خبت جمراته بعد اشتعال
فررتم تشقون الموت زحفا
على القمم الشواهق والتلال
هو المسخ المبين ، ثم أسود
تصيد القانصين إلى وبال ؟ ؟

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ثم اقرأ كذلك تصويره فى غزوة أحد لذلك الحوار العنيف الذى دار بين المبارزين من المسلمين والمشركين ، ثم وصف مقتل حمزة تجد فنانا بارعا فى دقة التصوير .

وكيفما كان الأمر فإن ، ديوان مجد الإسلام ، لمحرم أو « إلياذته » أو « ملحمته » كما تسمى لم تعرض بعد على بساط البحث أمام الأدباء والنقاد كما ينبغى فى مصر وغيرها من الأقطار العربية إذ أنه لم يطبع ، ولم تعربه المكتبات لذلك ينبغى ألا نأخذ برأى هادم لقيمته .

وسوف تنصف الأيام ذلك الشاعر الذى وقف حياته على خدمة العروبة والإسلام .

وإذا أردنا أن نعرف قيمة هذه الإلياذة بالنسبة لتراثنا العقلى ، وجدنا أنها ذات قيمة كبرى من الوجهتين الأدبية والتاريخية .

فإنها من الوجهة الأدبية قد أضافت ذخرا ثمينا إلى الشعر العربى يعتبر أكبر عمل من نوعه فى شعر العصر الحديث ، وقيمتها من هذه الناحية لا تقتصر على عدد أبياتها ، بل لأنها فى موضوع واحد له أهميته بين موضوعات التاريخ الإسلامى إذ يعتبر رأسها جميعا وهو السيرة النبوية ، وقد جمعت أشتات هذا الموضوع ، وعرضته عرضا شائقا مغايرا لأسلوب النثر المألوف فى رواية مثل هذا الموضوع .

وإذ قد عرفنا أن هذه الإلياذة تضمنت تصويرا لمواقف حاسمة ، فيها ألوان البطولة والفداء ، والصبر ، وتناولت شخصيات جديرة بالتخليد . . فإن عرض هذا اللون من الشعر على الشباب الإسلامى يخلق فيه ذلك الروح الوثاب إلى المثل العليا والقيم الإنسانية الرفيعة .

أما من الوجهة التاريخية فإن هذه الإلياذة قد سجلت فترة ناضرة من حياة المسلمين بخاصة ، وتاريخ الإنسانية بعامة . . تلك الفترة التى اصطرعت فيها مبادئ الإيمان والتوحيد ورسم الخطوط الأساسية العامة للعدالة والرقى الاجتماعى ... مع الوثنية والفوضى الاجتماعية .. فصرعتها وغيرت مجرى التاريخ .

وبالنظر إلى تدقيق محرم فى تصوير الأحداث مفصلة إلى حد كبير ، مع حرصه على ذكرى ما يتعلق بالسيرة ، واعتماده فى كل ذلك على مرجع هام من مراجع التاريخ الإسلامى ، فإن هذه الإلياذة تعتبر مرجعا من مراجع السيرة النبوية العامة التى تكون صدر تثقيف عام بسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وهديه المبارك .

ونكتفى بما تقدم عن محرم والإلياذة ، راجين أن تتاح الفرص الكثيرة ، وتتهيأ الظروف لدراسة هذا الذخر الثمين .

دكتور سعد الدين الجيزاوى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من بحوث مجمع البحوث

نظام الحسبة في الإسلام

للدكتور إسحاق موسى الحسيني

(بقيـــة)

بقيت مسألة يستلزم الإنصاف ذكرها ، لأن كتب الحسبة تكشفها ، هي التفنن في الغش ، مع أن أوامر الله صريحة بمنعه . فكيف وقع ذلك في مجتمع فاضل قام على ما بينا من قواعد دينية وخلقية من أسمى ما عرفته المجتمعات الإنسانية ؟

أيرجع ذلك إلى طبيعة المدن الكبيرة التي يكثر قاطنوها ويفد إليها الغرباء بائعين ومشترين ؟ يقول الشيزري في ختام الفصل الذي عقده على غش العطارين : « ولا يتجاسر على عمله وبيعه إلا الغرباء الأعاجم ومن يدور في خلال الدروب . فلا يهمل المحتسب الكشف عن ذلك كله ، وإشهار فاعله بالتعزير على ما تقدم » (١) .

أيرجع إلى أن العرب أصلا كانوا يزورون عن الصنائع ويكلونها إلى فئات معينة كالنبط واليهود حتى أضحى أكثر أربابها من أهل الذمة (٢) .

أيرجع إلى الترف الذي استفحل في المدن ودفع الناس إلى كسب المال حلالا أو حراما ؟

أيرجع إلى تفشي الرشى والتكسب بالحسبة بعد أن أعرض عنها السلطان ، وندب لها من هان (١) .

أيرجع إلى أن المحتسب صار ملتزما - في بعض الأزمنة - يشتري الحسبة بالمال ويمارسها بالقهر والسلطان ، ويجمع الأموال بالحلال والحرام ويوم ذاك سكت عن الغش حتى استفحل ؟

أيرجع إلى تفشي المذاهب الهدامة حتى أصبح المجتمع الواحد مجتمعات متناحرة يغش بعضها بعضا ؟

أيرجع إلى آفات الطبيعة من أوبئة وقحط وما ترتب عليها من خزن التجار الأرزاق وبيعها بالغلاء ، وانتشار الجوع والفقر ؟ غشنا ليس منا) .

كل هذه الأسباب أو بعضها جائز . ولكن الحقيقة التي ينبغي أن تقال هي أن المؤمن الذي يعرف حق الله وحق الناس لا يغش ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من يضاف إلى ذلك أن الغش يقل ويكثر

(١) نهاية الرتبة ص ٢٣ .

(٢) » » ص .

(١) الأحكام السلطانية ص ٢٤٥ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

باختلاف البيئات . فهو كثير فى المدن قليل فى القرى والبادية . وهو كثير عند أصحاب الحرف والصناعات وقليل عند المزارعين . وهو كثير فى المدن التى يطرقها الدخلاء والغرباء قليل فى المدن النائية القليلة المسالك.

٥ — وأخيراً هل اقتبس المسلمون الحسبة من البيزنطيين وصبغوها بالصبغة الإسلامية ؟

دعا المستشرق Gustar von Grunebaum فى كتابه Medieval Islam (١) إلى عقد موازنة بين الحسبة فى الإسلام ، وكتاب (والى المدينة) البيزنطى (٢) . The Pyzantine Book of Perfect الذى ينظم شئون الصناع والتجار فى القسطنطينية . ولا ندرى الحافز إلى ذلك ، أهو اعتقاده أن المسلمين اقتبسوا الحسبة من البيزنطيين وصبغوها بالصبغة الإسلامية أم ما وجده من وجوه الشبه بين عامل المحتسب المسلم ووالى المدينة البيزنطى من ناحية وبين كتب الحسبة التى ألفها المسلمون ، وكتاب والى المدينة البيزنطى من ناحية أخرى .

وقد قرأنا كل ما وصل إلينا من كتب الحسبة وقرأنا كتاب والى المدينة البيزنطى وانتهينا إلى ما يلى :

أولا : ألف كتاب والى المدينة البيزنطى فى القرن العاشر للميلاد ، والحسبة وإن تأخر التأليف فيها إلى أواخر القرن الثانى للهجرة أو أوائل القرن الثالث ، ترجع أصولها إلى نصوص فى القرآن الكريم وفى الأحاديث النبوية ، وإلى سنة رسول الله وخلفائه ، منذ فجر الإسلام ، أى قبل كتاب والى المدينة بنحو قرنين ، وأصاب ابن بسام بقوله : « ونجم عن ذلك علم خاص يدعى بعلم الاحتساب يبحث عن الأمور الجارية بين أهل البلد من معاملاتهم التى لا يتم التمدن إلا بها ... (١) .

ثانيا صدر كتاب والى المدينة بالعبارة التالية : « إن الله بعد أن خلق ما هو كائن من الأشياء وكفل للعالم الأمن والوفاق خط بإصبعه على الألواح القانون ، ونشره علنا حتى لا يتطاول الناس ، وقد اهتدوا به ، بعضهم على بعض ، ولا يطغى القوى على الضعيف ، بل ينبغى أن تسير كل الأشياء وفق ما هو مقدر لها من نظام(٢) . والمعروف أن الإنجيل لم يحتو على قانون ، ولم يتدخل فى شئون الدولة ، إذ قرر أن ما لله لله ،

(١) ص ١٤ ط شيكاغو ١٩٤٢

(٢) نقله إلى العربية ونشره الدكتور السيد الباز العرينى فى مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد ١٩ ، ج ١ ، مايو سنة ١٩٥٧ من ص ١٣٥ — ١٧٨ .

(١) نهاية الرتبة فى طلب الحسبة لابن بسام المحتسب ، مجلة الشرق سنة ١٠ عدد ٢١ ص ٩٦٢ سنة ١٩٠٧ .

(٢) ص ١٤٦ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وما لقيصر لقيصر ، وما ذكر فى سفر التثنية من العهد القديم أضيق من أن يتسع للمعانى الواردة هنا ، والعبارة أشبه بما يعتقد به المسلمون من أن القرآن الكريم كتب فى اللوح المحفوظ .

ثالثا : معظم كتاب والى المدينة يدور على الجواهريين والصيارفة وتجار الملابس الحريرية وتجار المنسوجات الحريرية السورية وتجار الحرير الخام وغزالى الحرير ونساجيه وتجار المنسوجات الكتانية وتجار العطور والروائح ، وصناع الشمع وصناع الصابون من ص (١٥١ – ١٦٧) وصناع الجلود وباعة الخنازير ، وأرباب الحانات ، وقليل جدا منه يدور على باعة المواد الغذائية ص ١٦٧ ٢٦٨ - والجزارين ص ١٦٩ - ١٧٠ وباعة السمك ١٧١ - والخبازين - ١٧٢ ومفتشى سوق الماشية ص ١٧٤ - ١٧٦ - وأرباب الحرفة كالسبكاكين والمزخرفين والرخامين والطلائين ص ١٧٦ - ١٧٨ .

وعناية والى المدينة بالقسم الأول الأكثر يرجع إلى أن مواد تلك الصنائع متصلة بالإمبراطور والأمراء والإقطاعيين ورجال الكنيسة الذين كانوا يحرصون على توفرها فى الأسواق وعلى أن يكون بعضها بأيديهم والحسبة تعتمد فى الأكثر على حاجات الشعب كالغذاء والكساء وبناء المساجد والأسواق والولاة ورجال الدين الأمر الذى يدل على اختلاف كلى فى القصد والوسيلة .

رابعاً : يندر فى كتاب والى المدينة ذكر العبادات والأخلاق فى حين تعنى الحسبة بها أكبر عناية ، وتجعل حقوق الله فى مقدمة ما ينبغى أن ينظر فيه المحتسب وقد أجمع مؤلفو الحسبة على أنها من الأمور الدينية وأن الضابط فيها هو الشرع (١) .

خامسا : كتاب والى المدينة يضع قيودا على الأجانب واليهود والعبيد ، والحسبة على نقيض ذلك لا تجعل من هؤلاء فئات مقيدة وهى تطبق أحكام الشرع والعهد حتى اشتهر المسلمون بالتسامح ، واتخذ اليهود العالم الإسلامى ملجأ فى عصور الاضطهاد ومحاكم التفتيش ، واستأثروا ببعض الصنائع .

والخلاصة : أن الفروق جوهرية فى الهدف والأصول والفروع ، ولا مسوغ للقول أن الحسبة مقتبسة من البيزنطيين .

ولكن هل انطوى المسلمون على أنفسهم وحرموا الإفادة من الحضارات الإنسانية ؟ جميع القرائن تدل على أن الحكمة كانت ضالتهم ، والفائدة مطلبهم ، وأنهم كانوا كالطيور يلتقطون الحكمة والفائدة بعيون حادة البصر ويتجنبون الضار ما وسعهم الحال .

---

(١) الأحكام السلطانية ، ٢٤٥ ونهاية الرتبة ص ١١٨ الخ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وهذه القرائن موجودة فى كتب الحسبة نفسها .

١ — فالحرف والصناعات التى وجدوها مفيدة أذنوا بها فى بلادهم ، وتعلموها من أربابها ونبذوا ما لم يفدهم كالتنجيم والعزيمة (١) .

٢ — رووا فى كتبهم عن اليونان والفرس والهنود ونعتوا علماءهم بالحكماء (٢) .

٣ — ترجموا العلوم كالفلسفة والطب والصيدلة والكيمياء .

٤ — لم يجدوا حذورا فى اقتباس عهد (بقراط) وهو وثنى (٣) .

ولذلك شهد المؤرخون أن الحضارة الإسلامية فتحت فتوحات باهرات فى مختلف النواحى ، وأنها كانت القنطرة التى عبرت عليها الحضارة الإغريقية القديمة إلى أوربا فأيقظتها من سباتها .

ومن الثابت من الوثائق أن المملكة الصليبية فى بيت المقدس أخذت الحسبة وأعمالها من المسلمين حتى إنهم استعملوا لفظة « المحتسب » العربية فى كتاباتهم Mathessep (٢) .

وفوق كل ذى علم عليم ...

ونخرج من هذا البحث بثلاث نتائج :

الأولى : الدعوة إلى بعث ما اندرس من الحسبة ، لاسيما « الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » اتباعا لقول الرسول : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » ، على أن يتولاها أصحاب العلم والكفاية . وذلك القضاء على « السلبية » ومظاهر التفكك التى تبدو فى بعض المجتمعات الإسلامية .

الثانية : العناية بالتراث الإسلامى الذى يحتوى على جواهر فريدة والذى فرطنا فيه حتى خرج كثير منه من ديارنا .

الثالثة : العناية بتاريخ الإسلام والمسلمين والتأليف فيه بالعربية وباللغات الإسلامية والأوربية كما يفهمه الناس على وجهه الصحيح مصفى من الشوائب .

دكتور إحسان موسى الحسينى

---

(١) معالم القربة لابن الأخوة ص ١٨٢ ونهاية الرتبة ص ٩٨ .

(٢) نهاية الرتبة ص ٩٨ ومعالم القربة ص ١٥١ ، ١٦٦ ، ١٦٩ .

(٣) نهاية الرتبة ص ٩٨ وبقراط طبيب يونانى أطلق عليه أبو الطب ولد حوالى سنة ٤٦٠ قبل الميلاد . انظر طبقات الأطباء ابن أبى أصيبعة ج ١ ص ٢٤ — ٢٧ وحاشية نهاية الرتبة ص ٩٨ رقم ٢ .

(١) نشر الوثائق الدكتور السيد الباز العرينى بالفرنسية والعربية وألحقها بكتاب نهاية الرتبة ص ١٢٥ — ١٢٩ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الملكية فى الاسلام

للأستاذ على الخفيف

— ١ —

التعريف بالملكية :

فى القاموس المحيط : ملكه ملكا ، مثلث الميم ، وملكه محركة وملكه بضم اللام أو يثلث احتواه قادرا على الاستبداد به .

وكلمة الملكية على هذا اسم صيغ من المادة منسوبا إلى المصدر وهو الملك ويدل على معنى الاستئثار والاستبداد بما يتعلق به من الأشياء وذلك ما يلاحظ فيما انتهى إليه معنى الملك عند رجال الشرع والقانون إذ قد عرفوه بما لا يجاوز هذا المعنى فعرفه الحاوى القدسى : بأنه الاختصاص الحاجز . أى الذى يخول صاحبه منع غيره وعرفه الكمال بن الهمام فى أول كتاب البيع من كتابه فتح القدير : بأنه القدرة على التصرف ابتداء إلا لمانع يريد أنه قدرة مبتدأة لا مستمدة من شخص آخر وعرفه القرافى فى كتابه الفروق : بأنه حكم شرعى قدر وجوده فى عين أو فى منفعة يقتضى تمكين من أضيف إليه من الأشخاص من انتفاعه بالعين أو بالمنفعة أو الاعتياض عنها ما لم يوجد مانع من ذلك .

وعرفه صدر الشريعة فى شرح الوقاية بأنه اتصال شرعى بين الإنسان وبين شىء يكون مطلقا تصرفه فيه وحاجزا عن تصرف الغير .

وقد تضمنت هذه التعريفات جميعها معنى الاختصاص والاستئثار فهو مصرح به فى بعضها ولازم لما يدل عليه بعضها الآخر .

وهذا هو ما نجده فيما عرفه به رجال القانون إذ عرفه بعضهم بأنه سلطة تمكن صاحبها من استعمال الشىء والإفادة منه بجميع الفوائد التى يمكن الحصول عليها على نحو مؤبد وقاصر على المالك (١) وعرفه آخرون بأنه حق يعطى صاحبه سلطة على

(١) محاضرات فى القانون المدنى الفرنسى جـ ١ بند ٣٠٣ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الشيء تجعل له فيه ولاية ومكنة وتخوله جميع وجوه الاستعمال والانتفاع والاستهلاك ما لم يلزم من ذلك ضرر بالغير (١) .

وعرفه آخرون بأنه الحق فى الانتفاع بالمال المملوك على وجه التأبيد والتصرف فيه بطريقة مطلقه دون من عداه من الناس (٢) .

ويرى فى بعض هذه التعريفات أن حق الملكية قد قيد بألا يترتب عليه إضرار بالغير

وهذا ما انتهى إليه أخيراً نظر الفقه والقضاء إذ حدد فيه سلطان الملكية بعدم التجاوز إلى الإضرار بالغير وإن كان هذا الضرر محل خلاف فى تقديره وتحديد ما يراعى منه ونتيجة ذلك ألا يعد من آثار الملكية ما يترتب عليه الإضرار بغير المالك عند استعماله ، ذلك ما انتهى إليه التطور فى معنى الملكية على مرور الزمن واختلاف البيئات والأعراف ووصول التشريع إلى ما وصل إليه من تبلور ونضج .

ولم يكن هذا المعنى هو ما كانت عليه الملكية فى بداية نشأتها إذ لم تكن إلا مجرد انتفاع تدعو إليه الحاجة ثم ينتهى بسدادها . ولم يكن لعنصر الحيازة والاختصاص داعية تدفع إليه فى بداية وجود الإنسان ونشأته ولم يكن له من هم يومئذ سوى سد حاجته إلى ما يطعمه يتناول منه ما يشبعه وربما لا يفكر فى ادخار شيء منه لانعدام التزاحم عليه يومئذ ، ولذا كانت العروض فى ذلك شائعة بين الناس فائضة عن حاجتهم وفيها فوق كفايتهم وكانت بسبب ذلك مباحة فيما بينهم فكانت صلة الإنسان بها هى الإباحة التى انتهت بالتطور إلى أن صارت ملكية بالمعنى السابق وذلك بعد مدة من الزمن وبعد حدوث التزاحم وتعارض الرغبات مما دعا إلى الحيازة ودفع إلى الادخار والاختصاص ومن هذا يرى أن أمر الناس فى البداية كان يقوم على الإباحة ثم تطورت بمرور الزمن إلى أن صارت ملكية تقوم على الاستئثار والمنع وكان لها بعد ذلك حين وجدت الشرائع من القواعد والحدود والتهذيب والخصائص والآثار ما اختلف باختلاف الشعوب والشرائع والأعراف وكان هذا الاختلاف مرتبطا ارتباطا وثيقا بالنظم الاجتماعية والمعتقدات الدينية .

وعلى هذا الأساس نستطيع أن نقول إن الملكية لم تكن إلا تطورا أخيرا للإباحة التى كانت لجميع الناس فى عهدهم الأول فى مجال الانتفاع بما سخر لهم فى هذا الكون مما يحويه سطح الأرض ولم تنقلب ملكا

---

(١) حقوق بغداد والقانون الفرنسى للدكتور الناهى الأستاذ بكلية حقوق بغداد .

(٢) دكتور محمد صالح فى كتابه أصول الاقتصاد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بالمعنى المعروف إلا باستئثار القائم على الحيازة والمنع ولا يزال هذا الوضع الأول أو هذه الصورة الأولى للملكية ماثلة إلى الآن فى الانتفاع العام بالماء والكلأ والنار وغيرها مما تحتويه الفيافى والجبال والأنهار والبحار ومن هذا كانت النار من بين الإباحة والملك هو ما فى الملك من معنى الاستئثار والمنع.

وقد وجد هذا الاستئثار نتيجة لغريزة فطرية فى الإنسان هى حبه للاستئثار والحيازة فمن هذه الغريزة نشأت الملكية وتولدت فإن الإنسان الأول لم يكن ليسد حاجاته الضرورية إلا بوسيلة التناول والاحتياز وهو إذا ما احتاز تملك وإن كان تملكه يومئذ لا يعنى أمراً خلاف حيازته لما استولى عليه فى سبيل سد حاجته، ولذا كان مجال الملكية يومئذ ضيقا لا يكاد يتجاوز ما يتصل بالإنسان اتصالا مباشرا فى سبيل انتفاعه الخاص كالطعام واللباس وآلة الدفاع ونحو ذلك، ثم اتسع مجالها شيئا فشيئا بمرور الزمن إلى أن شملت سطح الأرض وما يحويه سطحها بل لقد تجاوزت فيما بعد المشاهد من الأشياء إلى الأمور المعنوية الاعتبارية كحقوق الاختراع والاكتشاف والتأليف مما يعرف بالملكية الأدبية والملكية الفنية.

وبناء على ما تقوم عليه الملكية من الاستئثار والتسلط يرى أنها حين نشأت ووجدت إنما نشأت وتعلقت بالفرد إذ هو الذى ابتدأ الحيازة لحاجته، والاستئثار فى سبيل سد خلته من طعام ونحوه فنشأت بذلك الملكية الفردية التى تختص بفرد معين وكان ذلك فى زمن لم تتميز فيه الملكية الجماعية ولم تتبلور، وبعد ذلك بمدة وجدت الملكية الجماعية وتميزت وذلك حين وجدت القبيلة وصار لها وجود تتميز فيه بالترابط والاستقلال والتعاون، والتناضر، ووحدة السكن والغرض والسعى للحصول على الرزق وتوفيره فظهرت بسبب ذلك ملكية القبيلة للأرض التى تقلهم وفيها نشئوا وفيها يسعون للمراعى التى ترعى فيها أنعامهم، وملكيتها للأنعام التى ترعى فيها وذلك بجانب ملكية أفرادها لما هو من خصائص كل شخص من طعام وملبس وسلاح ونحوه. وبناء على ما كان لكل شخص من حق فى الانتفاع بما يجده أمامه حيث تدعوه حاجته إلى الانتفاع به على وجه من الوجوه وعلى ما انتهى إليه أمر الناس من إقرارهم مبدأ الاختصاص والاستئثار فيما تحوزه أيديهم مما يرون أنهم فى حاجة إليه وكان فى بداية أمره محلا لانتفاع الجميع وشيوع ذلك فيهم وانتشاره بينهم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نستطيع أن نقول إن إقرارهم هذا الوضع ليس إلا إقراراً لحق الملكية الفردية وإنه لم يكن إلا منحة منحها المجتمع بإقراره ونزل عنها لما رآه فيها من مصلحة ووفاء بالحاجة واتساق مع الرغبة ، وإنها قد أصبحت أساسا لقيام نظامهم الاقتصادى ، وقياما لحياتهم التى يعيشونها . وكانت الملكية الفردية بمراعاة هذا المعنى أقرب أن تكون خلافة يقوم بها الفرد مقام المجتمع ، وأنها ليست بالحق المطلق ، وعلى ذلك يجب أن تؤسس حقوق المالك فيما يملك بحيث يكون الإنسان فيه مضطلعا بنيابة اجتماعية ، مطالبا بحقوقها متمتعا بحماية القانون فى نطاق حدودها ، فإذا ما تجاوزها حرم من تلك الحماية وهذه النظرة لا تخالف فى الواقع نظر الشريعة الإسلامية إلى الملكية الفردية بدليل ما قيدت به منها من قيود تهدف إلى عدم الإساءة فى استعمال حقوقها كما سيأتى بيان ذلك .

فى تاريخ الملكية :

الملكية ظاهرة من ظواهر المجتمع لا تنفك عنه ولا تزايله حتى إنها لتعد لازمة من لوازم الحياة وبما فيها من معنى الاستئثار تلاحظ فى الحيوان يستولى على قوته فيذود عنه بقوته ويحرص على الاستقلال به ، وهى فى الإنسان أثر لغريزة من غرائزه هى غريزة حبه للحيازة والاستئثار ولما جبل عليه من ميل ورغبة فى الحياة لا تكون له إلا إذا طعم ولا تطيب له إلا إذا سكن فإذا تناول ما يقيته أو استقر فيما يسكنه فقد ملك قوته وسكنه كما يملك ما يدفع به عن نفسه من سلاح ونحوه .

وهذا بالنظر إلى الملكية الفردية ، أما الملكية الجماعية فهى مظهر من مظاهر وجود الجماعة واستقلالها وتميزها ، ولما كان الفرد أسبق وجودا من وجود الجماعة كانت الملكية الفردية سابقة فى الوجود على الملكية الجماعية فوجدت الملكية الفردية بوجود الإنسان أولا ثم وجدت بجانبها بعد ذلك الملكية الجماعية وذلك بعد أن نشأت الجماعة وتميزت بروابطها وصفاتها . وقد ظل الأمر على هذا بجمع العصور التاريخية والأزمان المتعاقبة لم تنفرد إحداهما عن الأخرى ، وغاية ما يلاحظ أن إحداهما قد تطغى فى وجودها على وجود الأخرى فتكون أكثر شمولا وأظهر وجودا وأحرى أن تعد القاعدة التى يقوم عليها اقتصاد المجتمع ونظامه المالى والاجتماعى .

كان ذلك عند قدماء اليونان وقدماء الرومان وفى إسرائيل وفى المصريين وغيرهم من الأمم وكانت ملكية الأرض عندهم هى مجال

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تداول المال والثراء ، لأنها كانت فى تلك العهود قبل النهضة الصناعية وانتشار التجارة على وضع واسع أهم مصدر للثروة إن لم تكن يومئذ المصدر الوحيد لها وكان هذا التداول نتيجة طبيعية لحال تلك الأمم الاقتصادية والاجتماعية وتغيرها بسبب ظروفها الاقتصادية المتطورة وما كان يطرأ على توزيع الثروة من تفاوت عظيم يؤدى إلى اكتنازها وتجمعها فى أيدى عدد قليل من أفرادها بينما يرى أكثر أفرادها فى فقر مدقع جعلهم فريسة لأطماع ذوى الثراء الواسع وشرههم فساموهم ذلا واستخدموهم آلات فاقدة الإرادة لتنفيذ أهوائهم ورغباتهم تحت تأثير عوزهم وحاجتهم .

الملكية فى بنى إسرائيل :

فى بنى إسرائيل وجدت الملكية بنوعيها فكان للشخص منهم ملكية خاصة تتناول حاجاته الشخصية وما يتصل بها من أدوات ، وكان لهم بجانبها ملكية جماعية تتمثل فى ملك الأرض ، وذلك حين استولوا على أرض الكنعانيين «أرض فلسطين» فقسموها بينهم على عدد قبائلهم فكان لكل قبيلة حظ معلوم يتناسب مع عدد أشخاصها وذلك وفقا لما شرع لهم ، كما جاء ذلك فى سفر العدد - وعلى ذلك كانت ملكية هذه الأرض ملكية جماعية ثم انتهت فى النهاية إلى ملكيات فردية تحت تأثير اختلاف الرغبات والقدرة على العمل والرغبة فى اختصاص كل بثمرة مجهوده ونشاطه ، وكذلك كانت ملكية الأنعام فيهم قبل دخولهم أرض كنعان ملكية جماعية أسرية لكل أسرة أنعامها وإن كانت مشوبة ببعض مظاهر الملكية الفردية ثم استحالت فيما بعد ذلك إلى ملكيات فردية لكل شخص أنعامه الخاصة به ، ويدل على ذلك أن الحديث الذى جاء فى العهد القديم عن أصحاب الأنعام ومنازعاتهم بشأن تلك الأنعام ، إنما كان حديثا عن أشخاص مالكين لها ممثلين لأنفسهم لا ممثلين لجماعات أو أسر .

أما ملكية المنقول من الأموال كالمتاع والنقود فقد كانت فيهم ملكية فردية كما يدل على ذلك ما جاء فى العهد القديم من قصص .

غير أن استقرار الأمور على هذا الوضع هيأ لهم الفرص العديدة لاستثمار الأموال ، وإنماء الثراء فطفقوا يعملون ويستثمرون ، ولاختلافهم فى القدرة على العمل والاستثمار والإحسان فيه وانتهاز الفرصة عند سنوحها تباينت ثرواتهم وعظم التفاوت بينهم واختل التوازن المالى بين طبقاتهم ، فاستعلى المثرون منهم على من هم أقل ثراء واستعبدوا الفقراء منهم فسلبوهم أموالهم وحقوقهم وظهر الإقطاع فيهم ، فاحتاز الأرض عدد محدود منهم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تكدست معظم الثروات فى أيديهم واختفت الملكيات الصغيرة ، وهوى أكثر أفراد الشعب إلى حضيض البؤس والشقاء مما دعا نبى الله أشعياء إلى أن يقول : ألا تعسا لأولئك الذين يمدون ملكياتهم من منزل إلى منزل ومن حقل إلى حقل حتى لا يكون موضع قدم لغيرهم وحتى يستأثروا وحدهم بسكنى هذه البلاد » الإصحاح الخامس ، وكان ذلك سببا فى ظهور أفكار اشتراكية اعتنقتها فرقة الحسديين فى القرن الثانى قبل الميلاد فطفقت هذه الفرقة تندد بنظام الملكية الفردية وما لهذا النظام من آثار سيئة فى المجتمع وتدعو إلى الملكية الجماعية والتسوية بين الناس والتقشف فى المعيشة ، وجعلوا جميع ما فى حيازتهم من أرض ومنقولات وملابس وطعام ومتاع ملكا عاما شائعا يحفظون مايزيد منه على حاجتهم فى مخازن عامة ويشرف على إدارته وشئونه وتوزيعه أناس يختارون لذلك بطريق الانتخاب ولم يتح لهذه الفرقة ولا لمبادئها الدوام فانقرضت بعد مدة من الزمان .

الملكية عند اليونان :

وكذلك كان حال الملكية عند اليونان فسارت سيرها فى إسرائيل وكانت الملكية عندهم من العوامل الهامة التى أثرت فى حياتهم السياسية وكانت ملكية الأرض عندهم فى بداية أمرها جماعية تختص بها القبائل ثم تحولت إلى ملكية أسرات كما يستفاد ذلك من الإلياذة ثم استحالت بعد ذلك إلى ملكيات فردية غير أنه قد أتى على إسبرطة بعد هذا التحول عهود كانت تلغى فيها الملكية الفرديه ويعاد توزيع الأرض بين الأسرات نتيجة لتضخم الثروات وصيرورة أكثر الأرض إلى فئة قليلة من السكان وسوء توزيع الثروة القومية وظهور الطبقات فى الأمة وسيادة الاقطاع مما أدى إلى اضطراب الأمور وثورات النفوس ، ودعا إلى معالجة هذه الحال وإصلاح هذا الفساد .

الملكية عند الرومان :

وعلى هذا الوضع أيضا كانت ملكية الأرض عند الرومان فكانت عندهم فى البداية ملكية جماعية وظلت الحال على ذلك ردحا طويلا من الزمن ثم بدأت تتجزأ إلى ملكيات فردية وما لبثت بعد ظهورها فى الوجود أن استخدمت فى القسابق على جمع المال وإنماء الثراء وشراء الأرض ولم يمض وقت طويل حتى وصلت ملكية الأرض إلى درجة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من التجمع فى إيدى أناس قليلين بينما اضطر غيرهم تحت تأثير فقرهم وشدة عوزهم إلى العمل بالأجر الضئيل فى المزارع والحقول وكان من نتائج ذلك حدوث اضطراب وعصيان اقتضيا معالجة هذه الحال.

فى مصر :

أما فى مصر فقد كانت أيضا فى عهد الفراعنة ملكية جماعية إذ كان يعد الملك المالك الأول لجميع الأرض وما سواه من الرعية تابع له — غير أنه قد عثر على عقود يرجع تاريخها إلى حكم الأسرة الثانية عشرة ٣٠٦٤ ق.م تدل على اختصاص ورثة متوفى بما تركه من عقار وقد نص فيها على أن له حق التصرف فيها حسب إرادته .

الملكية عند العرب قبل ظهور الإسلام

لم يكن العرب قبل الإسلام أهل حضر جميعا ولا أهل بادية جميعا بل كان منهم من يسكن البادية ومنهم من يقيم فى الحواضر والقرى لا ينتقلون من نجع إلى آخر طلباً للماء والكلأ خلافا للأولين . وكانت الملكية الفردية موجودة فى الفريقين فكان كل فرد منهم يملك أمواله ومتاعه وسلاحه وخباءه وأنعامه ملكا خاصا وكان مع ذلك يتمتع فى ملكه هذا بحماية قبيلته فكان إليها جميعاً الدفاع عن أموال أفرادها وحمايتها ممن تحدثه نفسه بالإغارة عليها لا يختص بذلك صاحب المال .

أما الملكية الجماعية فلم يكن لها فيما يبدو مجال فى هذا النوع من الأموال عند العرب وإن جاز أن تكون قد وجدت فى أنعامهم فى وقت من الأوقات ملكا للقبيلة جميعا على سبيل الشيوع وبخاصة إثر الإغارات التى كانوا يشنونها على غيرهم قبل أن يتقاسموا الغنائم التى يغنمونها فيما بينهم .

وكذلك كانت الملكية الفردية موجودة فى الأرض والمساكن بالنظر إلى الحضريين سكان الحواضر والقرى كمكة ويثرب ونحوهما فكانوا يملكون دورهم ملكا خاصا كما كان لهم من الأرض ما يقومون على زراعته وجنى محصوله للانتفاع به وفيما روى من الآثار عن يثرب وساكنيها من الأوس والخزرج واليهود وعن خيبر ومزارعها ونخيلها وعن مكة ودورها أدلة عديدة على وجود هذه الملكية فى الدور والأراضى والنخيل مما لا يدع محلا للريبة فى ذلك فمن ذلك ما ورد أن أسامة بن زيد قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم — حين قدم مكة — أتنزل فى دارك ؟ فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : وهل ترك لنا عقيل من رباع أو دور . وما روى من أن النبى صلى الله عليه وسلم حين هاجر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إلى المدينة أشرك المهاجرين مع الأنصار فى دورهم ومنه كذلك ما يدل على أنه كان للأنصار مزارع تشغل حياتهم اليومية وما يدل على أن عثمان رضى الله عنه قد اشترى من يهودى بئر معونة لتكون للمسلمين جميعا وفوق ذلك جاء فى الكتاب العزيز من سورة الحشر حديث عن المهاجرين ودورهم وأموالهم ففيها : « للفقراء والمهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا » كما جاء فى الأحزاب حديث عن بنى قريظة هما كانوا يملكون من حصون ودار وأموال وأرض ففيها : « وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقاً . وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطئوها » . وأهل الكتاب فى الآية هم بنو قريظة الذين كانوا يسكنون فى يثرب والآية نزلت فى غزوة الأحزاب أما بالنسبة إلى أهل البادية فلم يكن لهم فيما يبدو ملكية خاصة فى الأرض والدور إذ كانوا يقيمون فى الأخبية ولا يستقرون فى أرض بل ينتقلون من أرض إلى أخرى طلبا للماء والكلأ ومن مرعى نضب ماؤه وجف كلؤه إلى حيث يجدون ذلك وافرا ويؤيد ذلك انه لم يعرف عنهم أنهم غزوا غيرهم فى سبيل الاستيلاء على أرضهم وإنما كانت غزواتهم للاستيلاء على الأنعام والأموال فيأخذونها ملكالهم ثم يعودون بها إلى نجوعهم . كما كانوا يعرفون حمى الأرض وذلك بجعلها حرما يمنع غير حاميها من الرعى والإقامة وكان من هذا الحمى ما يجعل حمى للقبيلة تمنعه من غيرها من القبائل بقوتها ويكون الانتفاع به مشتركا بين جميع أفرادها كما كان منه ما يكون خاصا بسيد من ساداتها فيكون الانتفاع به مقصوراً على أنعامه دون أنعام غيره قرب أم بعد وذلك حين يرى الرجل العزيز فى القبيلة أن يتخذ حمى لنفسه فينزل منزلا مخصباً يراه منتجعاً صالحا فيوفى بكلب على جبل أو مرتفع به ثم يستعويه ويقف من أتباعه من يتسمع لصوته فحيث انتهى صوته بالعواء حماه من كل ناحية فيرعى مع العامة فيما سواه ويمنعه من غيره اختصاصا به ولم يكن هذا تملكا بل كان الغرض منه مجردا انتفاع مقصور على الحامى مدة موقوتة تتحدد بصلاحية المكان للرعى فإذا انتهت صلاحيته انتهت حمايته .

الملكية فى الإسلام :

ذلك كان الوضع فى جزيرة العرب أو الصورة العامة التى تمثل الوضع فيها فلا تجافيه ولا تبتعد عنه فلما ظهر فيها الإسلام والأمر على هذا الوضع لا تكاد تعرف

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فيها ملكية الدور والأرض إلا بين أهل الحواضر والقرى والحوائط أقر القرآن ما الناس من هذه الملكية فأقر ملكيتهم لما فى حيازتهم من أموال وملكيتهم لديارهم وأرضهم وقد ظهر هذا الإقرار فى نسبتها إليهم فى آيات عديدة مثل قوله تعالى : « فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا ، لأكفرن عنهم سيئاتهم » (آل عمران ١٩٥) وقوله تعالى : « هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله » (الحشر ٢) وقوله : « ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن » الأنعام ١٥٢ وقوله : « وإن تبتم فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » البقرة ٢٧٩. إلى غير ذلك من الآيات التى لا تدع مجالا للشك فى دلالتها على إقرار تلك الملكية.

وكذلك جاءت السنة بما يدل على ذلك ، وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم حين أظفره الله ببنى النضير أجلاهم عن ديارهم بما استقلت به ركابهم عدا السلاح ، أما ما تركوه بعد ذلك من أرض ونخيل وأشجار ومال فقد كان مما أفاء الله على رسوله فكانت له خاصة يضعه حيث شاء فاستثنى منه ما يدر عليه نفقة السنة وقسم الباقى بين المهاجرين الأولين دون الأنصار عدا سهل بن حنيف وأبا دجانة لظهور فقرهما وشكايتهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك على رأس ستة أشهر من وقعة بدر كما روى أنه صلى الله عليه وسلم قسم أموال بنى قريظة على المسلمين بعد إخراج الخمس فجعل للفارس منهم ثلاثة أسهم وللراجل سهما ، وحين فتح الله عليه خيبر سأله أهلها من اليهود أن يقرهم عليها على أن يكفوه عملها ولهم نصف الثمرة مما تنبته الأرض ويثمره الشجر والنخل ، فقال صلى الله عليه وسلم نقركم بها على ذلك ما شئنا وعلى هذا عاملهم على أن يخرجهم منها متى شاء فكان صلى الله عليه وسلم يجعل ما يخرج منها نصفين نصفا لرسول الله والمسلمين ونصفا لمن ينزل منهم من الوفود والأمور ونوائب الناس ، وكان للرسول فى النصف الأول الخمس وباقيه لمن شهد فتحها للفارس منهم ثلاثة أسهم وللراجل سهم ، وحين أجلاهم عمر رضى الله عنه لم يجعل لهم حظا فى الأرض ولا فى الثمر فكانت كلها للمسلمين ، وتلا ذلك أن أرسل أهل فدك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم من اليهود أن يصالحهم على النصف من أرضهم ونخلهم فأجابهم إلى ذلك فكانت خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيها نفقته وما بقى كان فى سبيل الله وفى أبناء السبيل ولم يزل أهلها بها إلى أن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أجلاهم عمر حين أجلى اليهود من جزيرة العرب ، فوجه إليهم من قوم نصف الأرض وما عليها بقيمة عدل فدفعها إليهم وأجلاهم إلى الشام .

وقد سألتها فاطمة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم من أبى بكر بناء على أن النبى صلى الله عليه وسلم قد منحها إياها فى حياته فأبى عليها ذلك إذا لم تقم حجة عليه ولم تنتقل إليها ميراثا لما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم : نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة .

وفى هذه الآثار ما يدل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل لكل غانم مما شهد الفتح ملكية خاصة فيما شهد فتحه من الأرض . تطبيقا لقوله تعالى : « واعلموا إنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » . أما الأربعة الأخماس فكانت للقائمين بالسنة كما حدث ذلك فى أرض خيبر إذ كان لكل من شهد فتحها ثمرة سهمه منها - وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم نصف فدك ملكا خالصا له إلى أن أجلى عمر أهلها عنها وأعطاهم عوضا عن نصفهم فيها فصارت كلها للمسلمين .

وفيما ورد عن صنيعه صلى الله عليه وسلم فى غنائم خيبر من تخصيص نصفها بما ينزل بالمسلمين من الوفود والأحداث إقرار لملكية الأرض ملكية جماعية إذ لم يكن ذلك النصف مملوكا لشخص معين وإنما كان ملكا لجماعة المسلمين تصرف غلته فى نوائبهم ووفودهم وما ينزل بهم من أمور فكان مصرفه مصرفا عاما فى شئون جماعية تخص المسلمين جميعا . وكان الأنصار فى زمنه صلى الله عليه وسلم أصحاب أرض وحقول يزرعونها ويكرونها كما روى عن رافع ابن خديج : كنا أكثر الأنصار حقلا فكنا نكرى الأرض . كما روى عن أسيد بن حضير : كان أحدنا إذا استغنى عن أرضه أو افتقر أعطاها بالنصف أو الثلث أو الربع إلى غير ذلك من الآثار . وإلى ذلك أيضا قال صلى الله عليه وسلم من أحيا أرضا ميتة فهى له رواه الترمذى وهو يدل على أن الأرض الموات لا ملكية فيها لأحد وأنها تصير ملكا خاصا لمن أحياها .

« راجع الجزء الرابع من البداية والنهاية لابن كثير والجزء الخامس من نيل الأوطار صفحة (٢٣٠) إلى صفحة (٢٣٦) والأموال لأبى عبيد صفحة (٨) » .

« فدك قرية قريبة من خيبر » .

« يتبع »

على الخفيف

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الإيمان والإسلام

للأستاذ عباس طه

اختلف العلماء فى معنى الإيمان والإسلام اختلافا كثيراً ، وسبب ذلك يرجع إلى ما فهمته كل طائفة من ظواهر الأحاديث الصحيحة ، فإن بعضها يدل على أن بعض الأعمال البدنية من صلاة وصيام وزكاة وحج وجهاد وغير ذلك داخلة فى معنى الإيمان ، وبعضها يدل على اتحاد الإسلام والإيمان ، وبعضها يدل على تغايرهما ، وبعضها يدل على أن الإيمان هو التصديق فقط بدون ذكر للأعمال ، إلى غير ذلك مما سنكشف عنه .

عن أبى هريرة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل : أى العمل أفضل ؟ فقال : إيمان بالله ورسوله ثم ماذا؟ قال الجهاد فى سبيل الله . قيل ثم ماذا؟ قال حج مبرور » رواه البخارى

ويتعلق بشرح هذا الحديث أمور أحدها : معنى الإيمان والإسلام وشرح معنى قوله : الجهاد فى سبيل الله ثم شرح قوله حج مبرور .

إن الذين يريدون الوقوف على معنى الإيمان والإسلام يجب أن يفرقوا قبل كل شىء بين المعنى اللغوى والمعنى الاصطلاحى ، والمعنى الشرعى الذى يوافق اصطلاح كل طائفة من الطوائف الآتى ذكرها .

فمعنى الإيمان فى اللغة التصديق مطلقا سواء كان بالله ورسله أو بغير ذلك . فمن صدق بالله كان مؤمنا فى اللغة كمن صدق بإله آخر أو بآلهة متعددة كما هو الحال فى المشركين الذين يعبدون الأصنام . أما معناه فى الاصطلاح فإليك بيانه على الترتيب الآتى :

الأول : اصطلاح جمهور المتكلمين من الأشاعرة ، قالوا : الإيمان : هو التصديق بالقلب . فمن صدق بقلبه بأن الله إله واحد ، وأن محمداً عبده ورسوله إلى الناس ، كان مؤمنا لا يخلد فى النار يوم القيامة . وقد اتفق معظمهم على أن من صدق بالله ورسوله ثم أدركه الموت قبل أن ينطق بلسانه أو يعمل بجوارحه فإنه يكون مؤمناً بينه وبين الله تعالى وحجتهم فى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان » . فقد روى البخارى عن أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ثم يقول الله تعالى : أخرجوا من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان » .

فهذا يدل على أن الذى يؤمن بالله ورسوله

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لا بد أن يخرج من النار وإن كان قد يعذب على ما كسبه من عمل سيء . ولاسبيل إلى جعل الإيمان فى الحديث بمعنى العمل الزائد على التصديق كما هو رأى بعض الأئمة ، لأن الحديث صريح فى أن المراد بالإيمان هو المتعلق بالقلب ، وهو التصديق فحسب .

ولا منافاة بين هذا الحديث وبين ما أخرجه البخارى عن أنس وهو : (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن شعيرة من خير ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن برة من خير ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن ذرة من خير) وفى بعض الروايات (وزن ذرة من إيمان) .

وذلك لأن حديث أبى سعيد الخدرى الذى يحتج به الأشاعرة معناه أن التصديق كان فى الخروج من النار بدون أى عمل ، وحديث أنس معناه أن التصديق ـ مهما كان وصفه ـ مع قوله لا إله إلا الله يكفيان فى الخروج من النار . وهو كذلك ، فإنه إذا صح أن يخرج منها من كان فى قلبه ذرة من الإيمان وإن لم يقل لا إله إلا الله صح أن يخرج منها من آمن وقال لا إله إلا الله من باب أولى فلا تنافى بين الحديثين .

هذا حكم من آمن بالله ولم يتمكن من النطق بالشهادتين ثم مات ، أما من آمن بقلبه وعاش مدة يستطيع أن ينطق فيها بالشهادتين وعلم بوجوب النطق بهما فحكمه عند جمهور الأشاعرة كحكم الأول فى كونه غير مخلد فى النار ، لأن المدار فى ذلك على الإيمان بالله ورسوله ، وقد أورد على هذين الوجهين أن فرعون موسى مؤمن لأنه أقر بلسانه ولا بد أن يكون فى قلبه مثقال ذرة من إيمان فى هذه الحالة مع أن المسلمين مجمعون على أنه ليس بمؤمن ، نعم قال صاحب الفتوحات المكية : إن فرعون مؤمن بهذا القول ، ولكن رأى صاحب الفتوحات المكية هذا لا يخرق الإجماع ، والواقع أن سياق الآية لا يؤيد صاحب الفتوحات وأنصاره لأن الله سبحانه وتعالى لو علم منه الإيمان حقا لرد عليه ردا جميلا ، ولكنه رد عليه بما يفيد أن إيمانه فى هذا الوقت لا يجد به نفعا ، وكيف يصنع بقوله تعالى : « آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين » بهذا يدل على أن إيمانه لم يكن فى الوقت الذى ينفع فيه الإيمان كما قال تعالى : « وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن » . والرأى السديد فى بيان هذا الوقت هو أن يتأكد الإنسان من موته ولم يبق له أى أمل فى الحياة ، وقد ورد أن فرعون قال ذلك حين أدركه الغرق وأصبح هالكا لا محالة على أن صاحب الفتوحات

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المكية قرر أنه سيعذب بما كسبت يداه ولكنه لا يخلد فى النار إلى مالا نهاية وهذا مذهبه فى فرعون وغيره من الكافرين. فالواقع أنه لم يأت بجديد فى مسألة فرعون ، وذلك لأنه يرى أن الخلود والتأبيد الواردين فى القرآن معناهما طول المدة ، وقد وافقه على هذا الرأى ابن تيمية وابن القيم ، واستدل ابن القيم على ذلك بأدلة كثيرة فى كتابه حادى الأرواح ، فمن أراد أن يعرفها فليرجع إليه.

ومن هذا فجمهور الأشاعرة الذين قرروا هذا لم يقولوا : إن مرتكب الجرائم التى نهى الله عنها لا يعذب عليها إذا مات ولم يتب ولكنهم يقولون إنه سيعذب على ما كسبت يداه ، والله يعفو عنه إذا شاء ذلك ، وما كان لأحد أن أن يقدم على جريمة من الجرائم وهو يعتقد أنه على حظ عظيم ، وأنه لا يدرى هل تغفر له هذه الجريمة ويكون داخلا فيمن يصح أن يشاء الله لهم المغفرة أولا فليس فى هذا الرأى تساهل فى الحث على أداء الواجبات الدينية والخلقية التى كلف الله بها العباد .

هذا وظاهر الأحاديث التى تقدمت يقتضى أن التصديق يزيد وينقص ، وهو كذلك ، ولكن التصديق يطلق على الاعتقاد الجازم الحاصل على دليل يقينى لا شبهة فيه ، وهذا لا يحتمل الزيادة والنقص ، ويطلق على التصديق الحاصل بالتقليد ولا شبهة فى أن مثل هذا التصديق قابل للزيادة والنقص فإن الواقع المحس هو أن المصدقين متفاوتون فى استمساكهم باعتقادهم وإن تساووا فى اتصافهم به ، فترى اثنين من العقلاء يعتقدان عقيدة واحدة سرت إليهم من آبائهم أو من البيئة التى نشئوا فيها ولكن يمكن تشكيك أحدهما دون الآخر ، ويرجع ذلك إلى قوة اعتقاد أحدهما دون الآخر ، فدل ذلك على أن التصديق لا يلزم أن يكون على حالة واحدة ، فاعتقاد القلب الجازم الذى لا يرتكز إلى دليل يقينى قابل للقوة والضعف . وهذا هو رأى كثير من السلف منهم الإمام مالك والشافعى وأحمد بن حنبل ولهم على ذلك أدلة منها حديث أبى سعيد الخدرى وحديث أنس المذكورين ، ومنها قوله تعالى: «فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً» أما الإمام أبو حنيفة فقد نقل عنه أنه قال : الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، وإن كان قد يتفاوت بأمور زائدة عليه خارجة عنه ، فقد تكون أسباب الإيمان أكثر جلاء عند بعض الأفراد دون بعض ، فإذا ظهر السبب بنسبة واحدة كان التصديق متساوياً عند الجميع ، مثال ذلك الحكم بحدوث العالم ، فإنه بعد معرفة أدلته ودفع شبه الواردة عليها يصبح كالحكم بأن الواحد نصف الاثنين . والأمر فى ذلك هين ، فإن الحنفية يسلمون بأن الإيمان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يقوى ويضعف لا بحسب ذاته ، بل بحسب الأدلة الخارجة عن ماهيته . ولكن هذا تكلف لا حاجة إليه ، فإن الظاهر يؤيد جمهور الفقهاء والمحدثين الذين لا يشترطون فى الإيمان أن يكون بمعنى التصديق الجازم الحاصل عن دليل يقينى لا يحتمل التشكيك . هذا هو اصطلاح جمهور المتكلمين الأشعريين .

الرأى الثانى : للمعتزلة ، وهؤلاء قالوا : إذا تعدى الإيمان بالباء كما إذا قيل . آمن به ، فإن معناه يكون منحصراً فى التصديق الجازم أما إذا ورد الإيمان بدون تعدية بالباء فإن معناه يكون شاملا للاعتقاد والأعمال والإقرار باللسان ، وهل أعمال الجوارح والإقرار باللسان داخلان فى ماهية الإيمان الشرعى أو هما شرطان فى صحته ؟ الظاهر أنهم يقولون إنها جزء من حقيقة الإيمان ، وإن كان بعض شراح الحديث نقل أنهم يقولون إنها شرط لصحته .

وعلى كل حال فإن المعتزلة يقولون لا يتحقق الإيمان إلا إذا اشتمل على ثلاثة أمور : التصديق بالقلب ، والإقرار باللسان ، والأعمال التى كلف بها العباد . فإذا ترك شيء من ذلك لم يكن العبد مؤمنا . وهل الأعمال التكليفية تشمل المندوبات أو هى مقصورة على الواجبات ؟ خلاف فيما بينهم . والمحققون منهم على أن المندوبات لا تدخل فى الإيمان . وعلى كل حال فهم مجمعون على أن مرتكب الكبيرة لا يقال له مؤمن ، ويخلد فى النار إذا مات وهو مصر عليها وهو قول لا يلتقى مع كثير من نصوص الكتاب والسنة وكيف يتفق ذلك مع قوله تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » . وقوله : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين » ، فهل من العدل أن يعمل الإنسان صالحاً فى كل أدوار حياته ثم إذا ارتكب كبيرة مرة واحدة ومات حبط كل عمله ؟ إن هذا فاسد لاشك فيه . نعم يحبط الأعمال كلها الردة عن الدين ، فإذا ظل عاملا طول حياته ثم ارتد عن دينه ومات حبط عمله بنص القرآن ، ومن الغريب أن واصل بن عطاء زعيم المعتزلة يقول : إن ترك المندوب يهدم الإيمان ، فمن فعل مكروهاً يخلد فى نار جهنم ، ومعنى ذلك أن معظم المسلمين يخلدون فى نار جهنم ، فإن المندوبات لا حد لها ، فإذا ترك الإنسان مندوباً ولم يفعل ما يكفره ثم مات يخلد فى النار . وهل يقول بهذا من به مسحة من تعقل ؟ .

الرأى الثالث : للخوارج وهؤلاء على رأى واصل بن عطاء فى هذا الموضوع فإنهم يقولون : إن الإيمان بالله معناه المعرفة بالله

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وبكل ما وضعه الله عليها دليلا عقليا أو نقليا من الكتاب والسنة ، ويتناول طاعة الله تعالى فى جميع ما أمر به من فعل وترك صغيراً كان أو كبيراً ، فمن ترك خصلة من هذه الخصال فإنه يكون من الكافرين ، وهذا رأى واهن .

الرأى الرابع : المرجئة ، وهؤلاء كانوا مع المعتزلة على طرفى نقيض ، فالمعتزلة أفرطوا ، والمرجئة فرطوا ، وقالوا إن كل الذنوب كبيرة كانت أو صغيرة لاقيمة لها بعد الإيمان ، فمن آمن بالله ورسوله فقد نجا ولو كان زانيا سارقا قاتلا . وهذا فساد فى الدين لا حد له . ولعله قد سرى إلى هؤلاء من أن عقيدة الإيمان بالمخلص تكفى فى النجاة . ولئن صح هذا كانت التكاليف الشرعية عبثاً ، وكانت الأوامر الإلهية التى وردت فى كتاب الله وسنة رسوله لهواً ولعباً .

والرأى السديد الذى يقتضيه صريح الدين ويؤيده العقل : هو أن الناس مجزيون بأعمالهم من خير وشر ، فمن عمل صالحا وهو مؤمن كان له على الله أن يدخله جنات النعيم ، ومن عمل سوءاً وهو مؤمن فإنه يجزى عليه بالعذاب بقدر هذا العمل ، والمؤمنون بالله ورسوله لا يخلدون فى نار جهنم وإن كانوا يعذبون عن أعمالهم ، والكتاب والسنة يؤيدان ذلك فى كثير من المواضع ، أبرزها قوله تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .

هذا أهم ما قيل فى الإيمان ، ولا يخفى أن الحديث الذى معنا يدل على أن الإيمان غير أعمال الجوارح ، لأن السائل سأل عن العمل مطلقا سواء كان عمل القلب أو عمل الجوارح ، فأجابه الرسول الأعظم أفضل الأعمال عمل القلب وهو الإيمان ، فأطلق الإيمان على عمل القلب .

أما الجهاد والحج فهما من الأعمال الظاهرة وهو دليل لمن يقول : إن الأعمال خارجة عن حقيقة الإيمان .

أما الإسلام فمعناه لغة : التسليم وترك الاعتراض فيما لا يلائم : أما فى الشرع فإنه قد ورد على ثلاثة أوجه ، أحدها : أنه مرادف للإيمان ، وثانيها أنه مغاير للإيمان ثالثها : أنه جزء من الإيمان داخل فيه .

مثال الأول قوله تعالى : « فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين . فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين » . ومعنى الآية : فأخرجنا آل لوط المؤمنين من القرية التى كان يسكنها قومه فلم نجد فيها غيرهم ، إذ لم يكن بهذه القوم لوط مؤمن سوى آل لوط - باستثناء امرأته - فسماهم الله أولا مؤمنين ، وسماهم ثانياً مسلمين فدل ذلك على أن الإيمان والإسلام

(البقية على صفحة ١١٢١)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

متفقان فى المعنى . وحرق ونضوب للماء . كما ورد فى قصصنا السابقة .

وعلى ذلك فالمسلم حين يتعامل مع المال إنما يمارس ضربا من العبادة . يجد فيه سعادة نفسه وطمأنينة قلبه . فهو حين يعمل لكسبه يتوكل على الله توكلا يجعله يبذل الأسباب . ويفرغ الجهد لإتقان العمل .

ثم هو لا يتعامل مع الطبيعة . وإنما يتعامل مع رب الطبيعة . خالق السبب والمسبب . فهو جرىء مقدام نتيجة إيمانه بقوة مولاه وعظمته . ولا يعرف الجبن والخنوع والرضا بالدون والخوف من مظاهر الطبيعة . خوفا يقعده عن العمل . ويسلمه للكسل .

تلك هى أهم الفروق بين نظر الإسلام للمال ، ونظر غيره من النظم . وشتان ما بين النظرين ، وبعد ما بين الهديين . أسأله سبحانه أن يأخذ بنواصينا إلى هديه إنه سميع مجيب .

الحسينى محمد أبو فرحة
عضو بعثة الأزهر بالجمهورية الصومالية

(بقية المنشور على صفحة ١١١٤)

ومثال الثانى قوله تعالى «قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا» فإن معنى أسلمنا : أظهرنا الإسلام والخضوع وقلوبنا غير مصدقة ، فالإسلام هنا مغاير للإيمان .

ومثال الثالث : ما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل فقيل له : أى الأعمال أفضل ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : الإسلام . فقيل له أى الإسلام أفضل ؟ فقال صلى الله عليه وسلم الإيمان . فدل ذلك على أن الإيمان داخل فى الإسلام وجزء منه وأما الجهاد فى سبيل الله فهو فريضة من أهم الفرائض الدينية ، والعناية به ينبغى أن تكون فوق كل عناية ، وذلك لأنه يتوقف عليه عز الأمة وصيانة دينها وكرامتها ، ولقد كان المسلمون الأولون على شىء لا يحرصون فى الحياة الدنيا إلا على العزة والكرامة والمحافظة على دينهم بجميع الوسائل المشروعة ، وأولها الجهاد فى سبيل الله . ومقاومة المغيرين الذين يريدون أن يستذلوهم ويسلبوهم مجدهم وكرامتهم ويعبثوا بأخلاقهم ودينهم ، وإن لنا فى سيرة النبى الأعظم وأصحابه ومن حذا حذوهم من المؤمنين حقا أكبر العظات وأجل العبر .

وأما الحج المبرور : فهو من أجل وسائل التهذيب وأعظم قواعد الإسلام المبنية على ضرورة التعارف والاتحاد والتناصر والتواد ففى الحج خضوع لله عز وجل ، وذكر لعظمته التى لا تحدها العقول ، وفيه منافع للناس من تعارف وتواد وفيه ذكر لليوم الآخر .

عباس طه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

جنات واعظة

للأستاذ الحسيني محمد أبو فرحة

«١» المال عصب الحياة الدنيا وزينتها ووسيلتنا إلى ضرورياتها وكمالاتها ، وهو صنو البنين . وكلاهما يحرص الإنسان عليه . ويرى فيه سعادة نفسه . وطمأنينة قلبه . قال تعالى : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » .

وقد قرنه الله بالبنين فى ثمان وثلاثين آية من آيات الكتاب الكريم . مقدما المال على البنين وفى ذلك إشارة إلى أن تعلق النفس بالمال أشد من تعلقها بالبنين .

والمال كان مصدر الصراع بين الأفراد والجماعات . فبسببه اقتتل الناس وتفرق الأحبة . وما كانوا ليقتتلوا ويتفرقوا فيقلبوا النعمة نقمة . ويجعلوا زينة الحياة سببا لشقائهم لو أنهم أنزلوه منزلته . وهى كونه وسيلتنا لسعادة الدارين . فلم يتخذوه صنما يعبد من دون الله ، ويتقربوا إليه بشتى الوسائل . غير مفرقين بين مشروع ومنكر . ولكنهم قد اتخذوه صنما . وتقربوا إليه بكل شىء : وعلى مذبحه أراق الأخ دم أخيه وقتل الأب بنيه . والابن أباه . وانتهكت الأعراض وديست الكرامات .

ويا عجبا أن يجعل وسيلة السعادة سببا للشقاء . ولكنه ضلال الإنسانية بسبب بعدها عن هدى السماء ، ورسالات الله . فعاقبها الله على تنكب الطريق السوى وقد أرشدنا الله فى كتابه وسنة رسوله فى وضوح واضح إلى الطريق الصحيح للتعامل مع المال . اكتسابا وإنفاقا وادخارا مصححا فى ذلك نظرة الناس إلى الأموال .

فلم يرض لهم أن يكونوا عبيد الدرهم والدينار ، كما لم يحب لهم أن يتفكروا لها ، قال تعالى : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض ، إن الله لا يحب المفسدين » .

وقال صلى الله عليه وسلم : (تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة إن أعطى رضى ، وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتعش) .

كما قال صلى الله عليه وسلم : (اليد العليا خير من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول ،

---

(١) ملاحظة : هذا المقال والذى قبله ليسا من بحوث مجمع البحوث .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ، ومن يستعف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه) .

وفى ذلك حث واضح على اكتساب المال ليصلح الإنسان به من شأنه وليحسن به إلى غيره ، وفى الحديث الذى قبله تنفير من الإسراف فى حب المال إسرافا يجعل الإنسان ينتقل من كونه سيداً مالكا للمال ، إلى كونه عبدا له .

هذا وقد لفتت نظرى أربع قصص واقعية ، ثلاث فى القرآن الكريم ، وواحدة فى السنة النبوية حول المال ، وتصحيح النظر إليه ، والتعامل معه ، وذلك عن طريق القصة وأثرها فى النفس عظيم ، واتخذ موضوعا لها فى جميع القصص لون من المال بعينه يغلب على النفس حبه والميل إليه ، ذلك هو البساتين الغناء والحدائق الفيحاء ، والجنان النضرة .

* * *

القصة الأولى : يدور الحوار فيها بين رجلين ، أوتى أحدهما جنتين من أعناب ، محفوفتين بنخل وجعل بينهما زرع ، وفجر خلالهما نهرا ، وكان له ثمر ، فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا ، وما أظن الساعة قائمة ، ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيراً منها منقلبا .

إذن فقد كفر الرجل ؛ بعد أن بطر وركن إلى ماله مفتخراً به ، وبغى وطغى وتجبر ، واعتز بماله وجاهه ، وجعل المال ، وهو نعمة من الله عليه سبباً لطغيانه وكفرانه .

وصدق فيه قوله تعالى : « كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى » .

وهنا ينبرى له صاحبه مسفها رأيه أن جعل المال سبب الكفران والفخر . مذكراً له بنعمة الله عليه فى خلقه فى أطوار شتى . طورا بعد طور . حاثا له النظرة الصحيحة لنعمة المال . بنسبتها لله وشكره عليها ، والتبرى من حوله وقوته فى كسبه . فكم من باذل لا ينال ، ولو كان جهد الإنسان هو كل شئ لما تخلفت ثمرة عن عمل .

قال تعالى : « قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا . لكنا هو الله ربى ولا أشرك بربى أحداً . ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا . فعسى ربى أن يؤتين خيراً من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيداً زلقا . أو يصبح ماؤها غوراً فلن تستطيع له طلبا » .

انتهى الحوار . ونحن الآن بإزاء رجل أوتى مالا : جنتين عظيمتين . فكفر بعد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أن بطر وافتخر وبغى وتكبر ، فماذا كان من شأنه بعد ذلك ، هنا موضع العظة والعبرة أهلك الله حديقتيه ، فلم يعد أكثر مالا ، وثاب الرجل إلى رشده بعد أن جرد من المال ، « يا ليتني لم أشرك بربي أحداً » ، وبطل الجاه فلم يجد فئة تنصره من دون الله وما كان منتصراً ويصور الله ذلك أتم تصوير في قوله سبحانه وتعالى : « وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ، ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحداً .

« ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً . هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا » .

يا لله الناس ، ألا يعرف الإنسان ربه إلا أن تنزل به جائحة تعيده إلى رشده ، وتصلح من فكره ألا ما أجهل من يجعل نفسه عبد المال . وبؤسا لإنسان يطغيه المال مهما كثر ، ويقف حائلا بينه وبين النظر الصحيح ، آمنت بالله ، ما شاء الله كان لا قوة على أمر إلا بالله ، تلك هي الجنة الأولى : وفيها دعوة لتصحيح النظر للمال بنسبته لله منعما به . وعدم اتخاذه وسيلة للمباهاة والفخر ، والتبرى من الحول والقوة في جمع المال وتثميره وحفظه ، بل الأمر بيد الله وحده .

وأما القصة الثانية : فعن سبأ ، « جنتان عن يمين وشمال . كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم ، وبدلناهم بجنتهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور .

صدق الله العظيم ، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .

وهل طلب منهم كفاء ما أنعم به عليهم إلا أن يعرفوا له حقه ، ويؤدوا له شكره والشكر لله على نعمه سياج لها يحفظها من الهلاك ويزيد فيها « لئن شكرتم لأزيدنكم » ، ولكن القوم غلبت عليهم شقوتهم فأعرضوا فحقت عليهم كلمة الله « ولئن كفرتم إن عذابي لشديد » .

وأي عذاب نزل بهم إنه السد الذي بنوه ليتحجزوا المياه خلفه لوقت حاجتهم ، وليحميهم من غائلة الغرق قد تهدم بنيانه وتصدعت أركانه ، فأغرق مساكنهم وأتلف بساتينهم ، ثم أبدلهم الله من جنتيهم المغرقتين ما لا يسمن ولا يغني من جوع وأسماه جنتين تهكما بهم وأي خير في ثمر مر بشع وطرفاء لا ظل وثمر ، وسدر قليل النفع . ذلك جزاء كفرانهم وعدم شكرهم .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فإذا كان موطن العبرة فى القصة الأولى النهى عن اتخاذ المال وسيلة للمباهاة والفخر والحث على عدم الركون إليه . والتبرى من الحول والقوة فى كسبه وحفظه ، فإن موطن العبرة هنا هو الحث على شكر الله على نعمة المال ، بالاعتراف له سبحانه بأنه هو المنعم المتفضل ، وأداء حق الله فيها لأن ذلك هو تمام الشكر .

وأما القصة الثالثة : فخلاصتها أنه كان فيمن مضى رجل صالح يملك بستانا ، وكان ينادى الفقراء والمساكين وقت جنيه ، فلما مات الصالح قال بنوه إن فعلنا مثل ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر ، فإن المال قليل والعيال كثير . وأقسموا ليقطعنها فى وقت الصباح الباكر حتى لا يقبعهم المساكين ولم يقولوا إن شاء الله فجمعوا بذلك بين العزم على حرمان المساكين والاعتماد على حولهم وقوتهم فحسب .

وهنا نزل على جنتهم ليلا بلاء مخصوص أحاط بها من جميع جوانبها فأصبحت كأنها قطعت ثمارها ، بحيث لم يبق فيها شىء ، أو صارت كالليل فى اسوادها واحتراقها . ولما أصبح الصباح ذهبوا إلى حديقتهم مستخفين عن أعين المساكين ، مصرين على جنى ثمر الحديقة وحرمان الفقراء منها . فلما رأوها هالهم ما رأوا ، وظنوا لأول وهلة أنهم ضلوا طريقهم ، وأن الحديقة التى أمامهم ليست حديقتهم . ثم لما تأملوا فى أماراتها وجزموا بأنها حديقتهم أيقنوا بأنهم حرموا منها وهنا قال أعدلهم رأيا : ألم أقل لكم حين تشاوركم على حرمان الفقراء هلا تذكرون الله بالخير . وهنا . هنا فقط أدركوا خطئهم وعظيم جرمهم فتابوا وأنابوا .

قال تعالى « إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين . ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون . فأصبحت كالصريم . فتنادوا مصبحين . أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين . فانطلقوا وهم يتخافتون . ألا يدخلنها اليوم عليكم مسكين . وغدوا على حرد قادرين . فلما رأوها قالوا إنا لضالون . بل نحن محرومون . قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون . قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون . قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين . عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون . كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون » .

يا لله للمسلمين . فكم من بلاء نزل . وآفة حلت بزروعهم فى ضراوة العام بعد العام . وكم من جهد بذل لمكافحتها إن أفلح حينا .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

خاب أحياناً . وهم فى كلتا الحالتين قد خسروا خسراناً مبينا . أليسوا فى حال نجاح جهدهم فى مكافحة الآفة قد خسروا جهدهم الموجه لمكافحتها ، ومالهم المبذول ثمنا لمبيداتها . والعلاج :

بذل ولا بخر . وشكر لله على ما أنعم به . شكر يدفع إلى صالح الأعمال . وكريم الفعال .

وأما القصة الرابعة : فيذكرها الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه . قصة واقعية عمن مضى قبلنا . قصة تكمن فيها أبلغ عظة وعبرة لقوم يتعظون ويعتبرون .

قصة يؤمر فيها ماء السماء بالتوجه إلى حديقة معينة لربها . ويسمع ذلك الأمر إنسان بأذن رأسه حتى تكون الموعظة أتم والعبرة أكمل . ويتابع ذلك الرجل هذا الماء المأمور . فإذا به يتجه لحديقة يعمل فيها صاحبها ، فيسأله الرجل عما يعمل فى حديقته فإذا به يتصدق بالثلث . ويطعم هو وعياله الثلث . ويرد فيها الثلث . ومما يلفت النظر فى ترتيب ما يعمله أنه ابتدأ بالصدقة قبل أن يذكر طعمته وطعمة عياله . وبذلك يكون الرجل قد قدم حق الله على حقه . وأعظم الصدقة ما بادر به صاحبه . قال تعالى : « وآتوا حقه يوم حصاده » .

وهاهو حديثه صلى الله عليه وسلم المتضمن لهذه القصة . عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينا رجل فى فلاة من الأرض . فسمع صوتا فى سحابة : اسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه فى جرة . فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع الماء . فإذا رجل قائم فى حديقته يحول الماء بمسحاته . فقال له ياعبد الله ما اسمك ؟ قال : فلان للاسم الذى سمع فى السحابة . فقال له ياعبد الله : لم سألتنى عن اسمى . قال : سمعت فى السحاب الذى هـذا ماؤه يقول : اسق حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها ؟ قال أما إذ قلت هذا . فإنى أنظر إلى ما يخرج منها . فأتصدق بثلثه . وآكل أنا وعيالى ثلثه وأرد فيه ثلثه » .

وموضع العظة هنا يكمن فى تصدق الرجل بالثلث . وابتدائه به . فسخر له ماء السماء تسخيراً أسمعه الله لذلك الرجل فى الفلاة ، يا قوم : إن الباب مفتوح على مصراعيه لمن أراد الولوج .

فأيما إنسان بذل من ماله للفقير والمسكين وغير ذلك من وجوه البر . طيبة بذلك نفسه . فسحب الخير فى سماء الله تنتظر الأمر بالتوجه . سمعه من سمعه . ولا ضير إن لم يسمعه بأذن رأسه أحد . قال تعالى : « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عليهم بركات من السماء والأرض ، وبالتأمل فى القصص الأربعة نجد أن ثلاثا منها أهلكت. وواحدة منها فقط هى التى نجت من الهلاك . ولم تنج فحسب . بل سخر لها السحاب ذلك التسخير المثير .

والثلاث المهلكة وإن اتفقت فى الإهلاك . فقد اختلفت أسبابة فى كل منها .

فالأولى : أهلكت . بسبب الفخر بها . كفرا انتهى بصاحبها إلى البغى والكفر . والاعتماد على حوله وقوته . والثانية : أهلكت . بسبب عدم شكر الله عليها . بالاعتراف له سبحانه بأنه هو المنعم المتفضل . والثالثة : أهلكت بسبب العزم على فكرة فاسدة . نعم مجرد العزم عليها .

ألا وهى حرمان المساكين مما اعتادوا أخذه ، وأما الرابعة : فقد سخر لها السحاب وشملتها عناية الله ورعايته .

ذلك أن صاحبها كان نموذجا إسلاميا كاملا فى نظرته المال . فهو قد أخرج الثلث صدقة مبتدئا به ، وإذا دققنا النظر نجده قد أخرج النصف ، لأنه رد الثلث فى الأرض بذرا وحرثا وخدمة . فكأنه شاطر الفقير ماله .

وذلك أكمل الشكر أن جادت نفسه . بنصف الثمر . فدل فعله على عقيدة سليمة ، وقلب ملىء بالإيمان مفعم بالشكر لله سبحانه والرجل مع ذلك بعيد كل البعد عن مواطن الفخر والمباهاة بماله ، وبعيد أيضا عن المن والأذى . فهو لم يعمل على إذاعة صنيعه بين الناس . يلتمس بينهم جاها كاذبا ومجدا زائفا . لا بل كان ضنينا بسره حريصا على عدم إذاعته .

أنظر إليه لم يجب الرجل المستفسر عن سؤاله إلا بعد أن أخبره بالآية التى شاهدها ولكن السماء كانت حريصة على إذاعة سر الرجل ونشره بين الناس . درسا عمليا بليغا . فأسمعت صاحب الفلاة ما سمع وأرته ما رأى .

* * *

مما يتقدم يتبين لنا أنه لا يكفى المسلم أن يجمع المال من حلال . وأن يؤدى حق الله فيه للفقير والمسكين . بل يلزمه مع ذلك ما هو أهم منه . ألا وهو تصحيح النظر إلى المال . بنسبته إلى الله منعما به . والتبرى من حوله وقوته فى كسبه وحفظه ودوام الشكر لله عليه . وأداء حق الفقير والمسكين . شاعرا بأنه بإنفاقه إنما يسدى لنفسه معروفا أى معروف . يتحبب لربه ويحفظ بذلك ماله من الجوائح تنزل به . لا أقول ثورة الفقير والمسكين عليه ، ثورة تزلزل كيانه وتذهب بثروته . بل أهم منها وأشد وأنكى غضب الله عليه ، غضبا يتمثل فى ثورة الطبيعة . صواعق ورعود وغرق

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

متفقان فى المعنى . وحرق ونضوب للماء . كما ورد فى قصصنا السابقة .

وعلى ذلك فالمسلم حين يتعامل مع المال إنما يمارس ضربا من العبادة . يجد فيه سعادة نفسه وطمأنينة قلبه . فهو حين يعمل لكسبه يتوكل على الله توكلا يجعله يبذل الأسباب . ويفرغ الجهد لإتقان العمل .

ثم هو لا يتعامل مع الطبيعة . وإنما يتعامل مع رب الطبيعة . خالق السبب والمسبب . فهو جرىء مقدام نتيجة إيمانه بقوة مولاه وعظمته . ولا يعرف الجبن والخنوع والرضا بالدون والخوف من مظاهر الطبيعة . خوفا يقعده عن العمل . ويسلمه للكسل .

تلك هى أهم الفروق بين نظر الإسلام للمال ، ونظر غيره من النظم . وشتان ما بين النظرين ، وبعد ما بين الهديين . أسأله سبحانه أن يأخذ بنواصينا إلى هديه إنه سميع مجيب .

الحسينى محمد أبو فرحة
عضو بعثة الأزهر بالجمهورية الصومالية

(بقية المنشور على صفحة ١١١٤)

ومثال الثانى قوله تعالى «قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا» فإن معنى أسلمنا : أظهرنا الإسلام والخضوع وقلوبنا غير مصدقة ، فالإسلام هنا مغاير للإيمان .

ومثال الثالث : ما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل فقيل له : أى الأعمال أفضل ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : الإسلام . فقيل له أى الإسلام أفضل ؟ فقال صلى الله عليه وسلم الإيمان . فدل ذلك على أن الإيمان داخل فى الإسلام وجزء منه وأما الجهاد فى سبيل الله فهو فريضة من أهم الفرائض الدينية ، والعناية به ينبغى أن تكون فوق كل عناية ، وذلك لأنه يتوقف عليه عز الأمة وصيانة دينها وكرامتها ، ولقد كان المسلمون الأولون على شىء لا يحرصون فى الحياة الدنيا إلا على العزة والكرامة والمحافظة على دينهم بجميع الوسائل المشروعة ، وأولها الجهاد فى سبيل الله . ومقاومة المغيرين الذين يريدون أن يستذلوهم ويسلبوهم مجدهم وكرامتهم ويعبثوا بأخلاقهم ودينهم ، وإن لنا فى سيرة النبى الأعظم وأصحابه ومن حذا حذوهم من المؤمنين حقا أكبر العظات وأجل العبر .

وأما الحج المبرور : فهو من أجل وسائل التهذيب وأعظم قواعد الإسلام المبنية على ضرورة التعارف والاتحاد والتناصر والتواد ففى الحج خضوع لله عز وجل ، وذكر لعظمته التى لا تحدها العقول ، وفيه منافع للناس من تعارف وتواد وفيه ذكر لليوم الآخر .

عباس طه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نشأة الكون

بين الدين والعلم

الدكتور شريف محمد شريف

من الناس من يزعم أن الكون أزلى لا أول لوجوده إلا أن هذا الزعم لم يلق رواجاً فى أى عصر من العصور إذ أن فكرة خلق الكون كانت ولا تزال عقيدة السواد الأعظم من البشر ، وحديث الخلق فى ستة أيام معروف لدى كثير من شعوب الأرض.

ولقد تعرضت الأديان لفكرة خلق السموات والأرض بأوجه شتى ، بعضها موجز وبعضها مفصل ، وتجمع الأديان السماوية الكبرى على أن خلقهما استغرق ستة أيام ، فجاء بالقرآن الكريم قوله تعالى : « لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس » وقوله : « أأنتم أشد خلقاً أم السماء ، بناها . رفع سمكها فسواها . وأغطش ليلها وأخرج ضحاها . والأرض بعد ذلك دحاها . أخرج منها ماءها ومرعاها . والجبال أرساها » .

ومن الآيات الموجزة فى خلق السموات والأرض فى ستة أيام قوله تعالى: « الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش » ، ومن الآيات المفصلة قوله تعالى : « قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أندادا ، ذلك رب العالمين. وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين . ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها ، وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم » .

وفى هذا الشأن أيضاً ورد بالإصحاح الأول من سفر التكوين فى العهد القديم « التوراة » ما يأتى :

« فى البدء خلق الله السماوات والأرض ، كانت الأرض خربة وخالية ، وعلى وجه الغمر ظلمة ، وروح الله يرف على وجه المياه ، وقال الله ليكن نور فكان نور ، ورأى الله النور أنه حسن ، وفصل الله بين النور والظلمة ، ودعا الله النور نهاراً ، والظلمة دعاها ليلا ، وكان مساء وكان صباح يوماً واحداً .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وقال الله ليكن جلد فى وسط المياه ، وليكن فاصلا بين مياه ومياه ، فعمل الله الجلد ، وفصل بين المياه التى تحت الجلد والمياه التى فوق الجلد ، وكان كذلك ، ودعا الله الجلد سماء ، وكان مساء وكان صباح يوماً ثانياً .

وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد ولتظهر اليابسة ، وكان كذلك ، ودعا الله اليابسة أرضا ، ومجتمع المياه دعاه بحارا ، ورأى الله ذلك أنه حسن ، وقال الله لتنبت الأرض عشبا وبقلا يبزر بزرا ، وشجرا ذا ثمر يعمل ثمرا كجنسه بزره فيه على الأرض ، وكان كذلك ، فأخرجت الأرض عشبا وبقلا يبزر بزرا كجنسه ، وشجرا يعمل ثمرا بزره فيه كجنسه ، ورأى الله ذلك أنه حسن ، وكان مساء وكان صباح يوما ثالثاً .

وقال الله لتكن أنوار فى جلد السماء لتفصل بين النهار والليل ، وتكون لآيات وأوقات وأيام وسنين ، وتكون أنوارا فى جلد السماء لتنير على الأرض ، وكان كذلك ، فعمل الله النورين العظيمين ، النور الأكبر لحكم النهار ، والنور الأصغر لحكم الليل ، والنجوم وجعلها الله فى جلد السماء لتنير على الأرض ولتحكم على النهار والليل ، ولتفصل بين النور والظلمة ، ورأى الله ذلك أنه حسن ، وكان مساء وكان صباح يوما رابعاً .

وقال الله لتفض المياه زحافات ذات نفس حية ، وليطر طير فوق الأرض على وجه جلد السماء ، فخلق الله التنانين العظام ، وكل ذوات الأنفس الحية الدبابة التى فاضت بها المياه كأجناسها ، وكل طائر ذى جناح كجنسه ، ورأى الله ذلك أنه حسن ، وباركها الله قائلا أثمرى وأكثرى واملئى المياه فى البحار ، وليكثر الطير على الأرض ، وكان مساء وكان صباح يوما خامساً .

وقال الله لتخرج الأرض ذوات أنفس حية كجنسها ، بهائم ودبابات ووحوش أرض كأجناسها ، وكان كذلك ، فعمل الله وحوش الأرض كأجناسها والبهائم كأجناسها ، وجميع دبابات الأرض كأجناسها ، ورأى الله ذلك أنه حسن ، وقال الله نعمل الإنسان فيتسلطون على سمك البحر ، وعلى طير السماء ، وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التى تدب على الأرض ، فخلق الله الإنسان ، ذكرا وأنثى خلقه ، وباركهم الله وقال لهم أثمروا واكثروا واملئوا الأرض ، وأخضعوها ، وتسلطوا على سمك البحر ، وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض ، وقال الله إنى قد أعطيتكم كل بقل يبزر بزرا على وجه كل الأرض ، وكل شجر فيه ثمر شجر يبزر بزرا لكم يكون طعاما ، ولكل حيوان الأرض وكل طير السماء ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وكل دابة على الأرض فيها نفس حية أعطيت كل عشب أخضر طعاما . وكان كذلك ، ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جدا وكان مساء وكان صباح يوما سادساً .

على هذه الصورة أوضحت الأديان السماوية الكبرى كيفية خلق السماوات والأرض فى ستة أيام وهنا ينبغى لنا أن نقف قليلا لنتدبر هذه الآيات ولنتفهم بعض النقاط على النحو الآتى :

أولا : كم كان يقدر طول اليوم حين خلق السماوات والأرض ؟ أهو يومنا الذى يتكون من نحو أربع وعشرين ساعة على وجه التقريب أو ثلاث وعشرين ساعة وست وخمسين دقيقة وأربع ثوان على وجه التحديد ؟ وذلك هو الوقت الذى تستغرقه الأرض الآن لتتم دورة كاملة لها حول محورها أمام الشمس ، أم أن اليوم الذى يعنيه الله تعالى يوم آخر له طول آخر لا يعلمه إلا هو ؟ لا سيما وأن الله يقول فى كتابه : « وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون » . ويقول أيضاً : « تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » . ولقد ثبت فلكياً أن دورة الأرض التى يعبر عنها بالحركة اليومية لم تبلغ طولها الزمنى الحالى إلا عندما تم تكوين الأرض واستقر وضعها على ما هو عليه الآن ! فقد كانت الأرض - فى رأى علماء الفلك - عند بدء تكوينها قريبة من الشمس وصغيرة الحجم وكان اليوم الكامل حينذاك قصيراً جداً على الأرض حتى لقد بلغ فى مرحلة معينة أربع ساعات فقط ثم أخذ طول اليوم على الأرض يتزايد كلما بعدت الأرض فى فلكها عن الشمس وتزايد حجمها ، حتى أصبح اليوم بطوله الحالى ، فهل كانت الأيام الستة قصاراً جداً أم طوالا جداً أم كانت من طول أيامنا هذه ؟ وحتى أيامنا على الأرض يختلف فيها طول الليل والنهار على مدار السنة لأن محور الأرض ليس عموديا على مستوى فلكها بل يميل عنه بزاوية مقدارها ثلاثة وعشرون درجة ونصف درجة ، وقد أدى هذا إلى تغير وضع الأرض بالنسبة للشمس على مدار السنة ، فاختلف طول كل درجة من الليل والنهار .

وفيما يلى بيان بأطوال النهار حسب دوائر العرض :

درجة العرض	طول النهار
صفر°	١٢ ساعة
٦٣°	٢٠ ساعة
٦٧°	شهر
٩٠°	٦ شهور

وفى المناطق التى يبلغ فيها طول النهار شهراً فأكثر أى فى أطراف الأرض تظل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الشمس ظاهرة طول مدة ذلك النهار فلا شروق لها ولا غروب بل تدور حول المنطقة على الأفق .

ومهما يكن من اختلاف فى أطوال الليل والنهار فى مختلف أنحاء الأرض فإن السنة دائما اثنا عشر شهراً حتى ولو كان نصفها نهاراً ونصفها ليلا ، وقد أكدت ذلك أيضاً الآية الكريمة : « إن عدة الشهور عند الله اثنا شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض » .

ومع ذلك فإن الزمن لفظ ذو معنى نسبى ، فقد رأينا أنه يختلف طولا من الليل والنهار على الأرض ، كما يختلف من كوكب إلى آخر فى مجموعتنا الشمسية ، وكذلك يختلف من نجم إلى نجم ، فنهار القمر مثلا يساوى أربعة عشر يوما بلياليها على الأرض ، وليله أربعة عشر يوما كذلك ، وسبب هذا أن القمر يتم دورته حول نفسه مرة واحدة كل ثمانية وعشرين يوما .

ولو أخذنا السنة مقياسا للمقارنة الزمنية فى مختلف الكواكب لرأينا عجبا ! ونمهد لبحث ذلك بتقديم السؤال الآتى : ما معنى السنة ؟ وبالبحث نجد أن السنة تعنى دورة واحدة الكوكب فى فلكه حول الكوكب أو النجم الذى هو تابع له ، فالسنة مثلا على الأرض ثلاثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم ، وهذه هى المدة التى تستغرقها دورة الأرض مرة واحدة حول الشمس على بعد معين ثابت يقدر فى المتوسط بنحو ثلاثة وتسعين مليونا من الأميال ، فلو أن هذا البعد زاد على ذلك أو نقص لزاد طول السنة أو نقص بمقداره ، ولذلك يمكن القول مثلا : إن سنة القمر ثمانية وعشرون يوما نصفها نهار ونصفها ليل ، وفيما يلى بيان بطول السنة فى كل كوكب بالمجموعة الشمسية هى مدة دورته مرة واحدة كاملة حول الشمس حسب بعده عنها :

الكوكب	طول السنة
عطارد	٨٨ يوما أرضيا
الزهرة	٢٢٥ يوما أرضيا
الأرض	سنة واحدة
المريخ	١٫٨٨ سنة أرضية
المشترى	١١٫٩ » »
زحل	٢٩٫٥ » »
أورانوس	٨٤ » »
نبتون	١٦٤٫٨ » »
بلوتو	٢٥٠ » »

هذا بالنسبة للكواكب السيارة فى المجموعة الشمسية التى هى بدورها تدور حول فلك

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أو مدار أكبر وأعظم ، وبالطبع تبلغ السنة حينذاك آلافا بل ملايين من السنوات على الأرض ، أليس ذلك بحق مصداقا لقوله تعالى : « وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون » .

على هذا الأساس يمكن البحث فى طول اليوم حين خلق السماوات والأرض ، وأعتقد أن الوصول إلى رأى قاطع فى هذا الشأن جد عسير ، وأرى أنه لا بد لنا من التسليم بأنها ستة أيام من أيامنا الأرضية فى منطقتنا العربية حيث يبلغ طول كل منها أربعا وعشرين ساعة على اعتبار أن هذه المنطقة مهبط الأديان السماوية الكبرى ، وأن الكتب المنزلة إنما تخاطب قاطنيها على أساس ترتيبى سليم مؤداه توجيه الفكر الإنسانى من المعلوم إلى المجهول ، والمعلوم فى هذه المنطقة أن طول اليوم أربع وعشرون ساعة ، وليس معنى هذا أن خلق السماوات والأرض كان بطيئا للغاية كما يبدو بالنسبة لنا أهل الأرض ومن وجهة نظرنا ، ولكن هذه المدة المحددة بستة أيام بالنسبة لمن هو خارج نطاق كوكبنا الأرضى ليست إلا لحظة خاطفة « كلمح البصر أو هو أقرب » ، ولا غرابة فى ذلك فقد استطاع رجل الفضاء الأول « يورى جاجارين » وهو يدور حول الأرض عن كثب أن يشهد يوما كاملا بنهاره وليله فى نحو الساعة ونصف الساعة بحساب زمننا الأرضى ! ! فكأن الأيام الستة لا تعادل فى رحلة « جاجارين » سوى تسع ساعات فقط ، وقد تثبت رحلات الفضاء فى الغد القريب أن الستة أيام بمثابة لحظة خاطفة ، وأن عملية الخلق الكونى على هذا الأساس سريعة جدا فيطابق ذلك قوله تعالى : « إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » ، وقوله « وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر » .

ثانياً : أيهما أسبق خلقا ؟ الأرض أم السماء ؟

إن غالبية الآيات الخاصة بخلقهما تتضمن دائما سبقاً لخلق السماوات كما يبدو فى الآيات الآتية :

« إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش » ، « الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ، يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون . وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهارا » . « الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن » . فإن قيل مثلا إن واو العطف فى هذه الآيات إنما هى لمطلق الجمع بحيث لا تفيد فى هذا الشأن ترتيبا فإنى أرد على ذلك بالآية الآتية التى صرحت تصريحا قاطعا بسبق خلق السماوات على الأرض وهى :

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

« أأنتم أشد خلقا أم السماء ، بناها ، رفع سمكها فسواها ، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها ، أخرج منها ماءها ومرعاها ، والجبال أرساها » .

وبينما هذه الآيات جميعا تؤكد أن خلق السماوات أسبق من خلق الأرض نرى آيات أخرى تؤكد عكس ذلك أى أن الأرض خلقت أولا ثم خلقت السماوات ، من ذلك قول تعالى « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شىء عليم » وقوله أيضا : « أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أندادا ، ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين ، ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سماوات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها ، وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا . ذلك تقدير العزيز العليم » . إذا تدبرنا هذه الآيات جميعا وقارنا بينها وبين الإصحاح الأول فى سفر التكوين بالتوراة لاتضح لنا أنه خلال يومين تم انفصال الأرض من السماء بقدرة الله ، ومعنى ذلك أن بدء خلقهما كان فى وقت واحد ليس فيه سبق ولا تأخير .

أما المرحلة التى تلت ذلك فهى إتمام الخلق لكل منهما ، ويبدو أن إتمام الخلق للأرض من حيث تثبيت الرواسى وتقدير الأقوات ومباركة ما فى الأرض بالإكثار ، كل ذلك كان سابقا — فيما يبدو — على إتمام خلق السموات من شتى أمورها وتزيين السماء الدنيا بالمصابيح الممثلة فى النيرات كالشمس والقمر وإن كانت آية سفر التكوين توضح خطوات متبادلة فى إتمام الخلق بين السماوات والأرض وعلى ذلك فلا تعارض بين الآيات فى ترتيب خلق السموات والأرض ، ولئن كانت إحدى الآيات قد ذكرت أن الأرض بعد ذلك — أى بعد إتمام خلق السموات — دحاها ، فإنى أعتقد أن لفظ « دحاها » معناه جعل الأرض كالدحية أى البيضة بمعنى أن الأرض ليست تامة الاستدارة بل هى منبعجة عند دائرة الاستواء ومفرطحة عند القطبين وذلك من تأثير الدوران حتى أن القطر القطبى ينقص عن القطر الاستوائى بنحو ثمانية وعشرين ميلا ، ومصداق ذلك قوله تعالى : « أولم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها » .

ومع ذلك فقد قطعت الآية الآتية بالرأى فى الأسبقية بين خلق السماوات والأرض مؤكدة انفصالها فى وقت واحد لا سبق فيه لأحد الطرفين على الآخر : « أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فتقناهما » ، كما أن الآية التي ذكرت في ظاهرها سبقاً لخلق الأرض على خلق السماء نصت على أن بدء خلقهما كان في وقت واحد ، تدبر قوله تعالى : « ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين » .

ثالثاً : عدد السماوات والأرض :

فأما عن السماوات فقد جاء ذكرها في بعض الآيات مفردة وفي بعضها جمعاً مبهم العدد بينما صرحت بعض الآيات بأن عددها سبع ، فلنتدبر هذه الآيات :

« الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء » ، « ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين » ، « ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه » ، « ويوم تشقق السماء بالغمام » ، « تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمراً منيراً » ، « والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون » ، « إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب » ، « الله الذي خلق السماوات والأرض ، وأنزل من السماء ماء » ، « إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً » ، « الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش » ، « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات » ، « تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن » ، « ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق » ، « فقضاهن سبع سموات في يومين » ، « الذي خلق سبع سموات طباقا » ، « ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ، وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجا » .

وأما الأرض فقد ورد ذكرها مفردة دائما في الآيات إلا آية واحدة فيها تلميح بسبع أرضين وهي : « الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن » .

فهل السماوات سبع حقاً ؟ وهل الأرض مفردة أم سبع أيضاً ؟ إذا أنعمنا النظر في الآيات السابقة لوجدنا أن الآيات التي ورد فيها لفظ السماء مفرداً تعني بالسماء هذه السماء الدنيا التي هي أقرب شيء الأرض بدليل أن لفظ السماء في هذه الآيات غالباً ما يقترن بما ذلك من سحاب وغمام وبروج ومصابيح إلهية للزينة ، بل إن آية منها حددت موضع هذه السماء المقصودة بقولها : « إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب » ، أما بقية الآيات فقد ورد فيها لفظ السماء إما جمعاً مطلقاً وإما محدداً في العدد بسبع .

وفي اعتقادي أن السماوات كثيرة العدد جداً وليست محددة بسبع ؛ فقد أثبت علم الفلك الحديث تعدداً كبيراً للمجموعات النجمية والكواكبية ، وأما الرقم سبعة فإما

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أن القرآن جارى العرب فى أعتقادهم الفلكى بأن الأرض مركز الكون وأن الأثير المحيط بالأرض توجد فيه النجوم والكواكب السبعة المعروفة آنذاك وهى بترتيب بعدها عن الأرض : القمر وعطارد والزهرة والشمس والمريخ والمشترى وزحل ، وأن هذا الأثير منقسم لكواكبه السبعة إلى كرات سبع طباق متماسة يحيط عالمها بسافلها فيختص كل كوكب بواحدة منها ثم تعلوها جميعاً كرة ثامنة فيها جميع الكواكب والنجوم الثابتة .

وإما أن القرآن جاراهم فى مدلول الرقم سبعة الذى يبدو أنه كان عند العرب يطلق على تعدد الأشياء بقصد الدلالة فقط على مجرد الكثرة دون أن يقصد به العدد ذاته حقيقة ، وجرياً على هذه العادة وردت بالقرآن آيات يدل الرقم « سبعة » فيها على مجرد الكثرة لا على العدد الحقيقى ، فمن ذلك قوله تعالى : « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء » ، وقوله لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم » ، وقوله : ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله » .

فهل يمكن للحبة عادة أن تنبت سبع سنابل؟ أو هل لجهنم سبعة أبواب فقط ؟ ثم لماذا يحدد عدد المدد من البحار بسبعة ؟ أليس هذا دليلا على مجرد كثرة العدد ؟ وفى القرآن الكريم مواضع ذكرت بها أعداد لا أظن أنها تراد لذاتها بل هى للدلالة على الكثرة فقط ؛ من ذلك قوله تعالى « والملك على أرجائها ، ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » ، وقوله « عليها تسعة عشر . وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة . وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا » .

هذا فيما يختص بعدد السماوات ، أما الأرض فأرى أيضاً أنها أرض واحدة وإن كان لها من الكواكب أشباه ونظائر ، ولئن نصت الآية على أن الله خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن فإنى أعتقد أن المقصود من ذلك أن الله خلق من نوع الأرض عدداً كبيرا كما خلق من نوع السماء ، أو أن يكون المراد أن طريقة خلق الأرض كانت مماثلة لطريقة خلق السماوات كيفاً لا كماً ، وذلك بطريقة الفتق بعد الرتق كما تقضى بذلك النظرية السديمية.

هذا ما يقوله الدين فى نشأة الكون وخلق السماوات والأرض فماذا يقول العلم .

لقد ظهرت فى هذا المجال نظريات مختلفة أحدثها النظرية السديمية ولكن قبل عرضها يجمل الإلمام بشىء عن مدى معرفتنا بمادة تركيب الكون على ضوء التقدم العلمى الحديث.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ينشر فى الفضاء الكونى غاز خفيف رقيق أشبه ما يكون بالدخان غير المرئى من خفته ، وحيث إن الغاز له خاصية الانتشار فهو دائما يملأ الفراغ وبناء على ذلك فالفضاء الكونى يملؤه هذا الغاز أو الدخان الأول ، وليس فى الحقيقة سوى الأيدروجين الذى أخذ يتكتل لأسباب ما فى مناطق فسيحة جداً فكون مجاميع ضخمة من السحب ، ثم تمخضت كل سحابة عن سديم برمته ، وتبارك الله إذ يقول : « ثم استوى إلى السماء وهى دخان » .

فالأيدروجين إذن هو المادة الأساسية التى بنى منها الكون ، ومن المعروف كيميائياً أن الأيدروجين هو أبسط أنواع المادة تركيباً وأهمها فى تكوين الماء ، وإذا تفجر غاز الأيدروجين فى سلسلة من التفاعلات الذرية تحت ظروف ملائمة تحول إلى الهليوم وانطلقت من ذلك طاقة كبيرة فى صورة إشعاعات ، وهذا هو ما يحدث فى الشمس والنجوم .

يمكن القول إذن أن الكون بدأ فى صورة غاز الأيدروجين ، أما العناصر الأخرى فقد تولدت بعد ذلك تحت ظروف خاصة .

أما عن كيفية نشأة النجوم فأولى الخطوات فى ذلك أن بعض الغاز المكون للمجرة ينقسم إلى مجاميع أو سحب تزداد داخلها الكثافة بفعل الجاذبية وتدور حول محاورها تبعاً لدورة المجرة ، ومن الدوران تتضاغف المجموعة تدريجيا وترتفع حرارتها من الداخل وتنتهى العملية بتولد نجم فى مركز التضاغط .

وقد يصل حجم الغاز المتضاغف إلى جزء من مليون جزء من حجمه الأصلى ، وهذا يبين كيف أن النجوم رغم وفرتها إنما تشغل جزءا ضئيلا جدا لايكاد يذكر إذا قورن بحجم الفراغ الذى تولدت فيه ، وكيف أنها تبعا لذلك تستطيع التحرك فى الفضاء الكونى بحرية كاملة .

أما عن نشأة الأرض فقد ظهرت بشأنها عدة نظريات أحدثها ثلاث لعلماء الفلك وتتلخص فى الآتى :

١ ـ الأرض جزء من الشمس : يفترض أصحاب هذه النظرية اقتراب نجم غريب من الشمس فامتدت بفعل جاذبيته أجزاء خارجية منها وكونت انتفاخا كبيرا يزداد تضخما كلما ازداد الاقتراب به لأنه مر بسرعة هائلة ، وبعد ذلك أخذت الخيوط الغازية تتمزق إلى كتل تألفت منها الكواكب ، ثم فقدت هذه الكواكب منذ انفصالها عن أمها الشمس الطاقة التى تزودها بالحرارة ، وهكذا أخذت تبرد بالتدريج حتى أصبحت الغازات سوائل والسوائل أجساما صلبة كما نرى اليوم فى غالبية المجموعة الشمسية من الكواكب التى تحوى الأرض .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

٢ ـ كان للشمس قرين : تفترض هذه النظرية أن الشمس كانت نجما مزدوجا ثم انفجر النجم المصاحب للشمس فتكونت من بقاياه هذه الكواكب التي تدور حول الشمس ، وعلى هذا الأساس فليست الأرض وأخواتها من الكواكب السيارة بنات الشمس بل ربيباتها .

٣ ـ غبار سديمي في رحلة الشمس : هذه أحدث نظريات اليوم ومفادها أن الشمس قد عبرت في وقت ما سحابة سديمية فعلقت بها طبقة من الغبار لم تلبث أن اكتسبت حرارة شديدة وقوية على الدوران ، ومن هذا الغبار الحار الدائر تكثفت الأرض والكواكب السيارة الأخرى .

هذه النظريات العلمية الحديثة التي تفسر نشأة الكون وخلق السماوات والأرض وهي جميعاً نظريات افتراضية متفاوتة ، ولعل المستقبل القريب والتقدم العلمي يطالعنا بنظريات أخرى في هذا الشأن في أبحاث الفضاء ، فلنرتقب ولنتدبر . فالعلم لا حدود له ، وفوق كل ذي علم عليم ؟

دكتور شريف محمد شريف

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

من خطبة لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه

قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

أوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله ولزوم طاعته ، وتقديم العمل ، وترك الأمل فإنه من فرط في عمله لم ينتفع بشيء من أمله ، أين التعب بالليل والنهار ، والمقتحم للجج البحار ، ومفاوز القفار ؟ يسير من وراء الجبال وعالج الرمال يصل الغدو بالرواح والمساء بالصباح ، في طلب محقرات الأرباح ، مجمت عليه منيته ، فعظمت بنفسه رزيته ، فصار ما جمع بورا ، وما اكتسب غرورا ، ووافى القيامة محسورا .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

سيارة يخترعها أزهرى

للأستاذ أبو بكر ذكرى

وفى عام ١٩٢٤ على التقريب كنت قد اتممت دراستى الثانوية بنجاح . وكان نظام الأزهر إذ ذاك يقضى بأن تكون الدراسة ، فى القسم العالى ، فى نفس مبنى الأزهر بالقاهرة .

وتحتم على كسكل طالب آخر عماثل لى أن يتنقل إلى القاهرة . ورحت أشعر بأسف عميق لفراق الإسكندرية ذات الشطآن الساحرة والطبيعة الرائعة والمياه التى تتلاقى على أمواجها الراقصة موجات بشرية من كل بلاد العالم .

وفى بدء العام الدراسى التالى كانت طرق المواصلات تقذف بالمئات منا إلى مدينة القاهرة لنتلاقى فى محيط واحد وأبناء جميع المعاهد الأزهرية من مختلف النواحى ونكون مجتمعا جديداً له طابعه الجديد .

ولست أنسى ما حييت حلاوة وسعادة النوم فى أروقة الأزهر نحو أسبوعين حتى يتيسر لنا الحصول على مسكن . إنها تجربة كانت تبدو لنا فرصة لم نمارسها من قبل . وكنا ليل نهار فى تلك التجربة أشبه بوفود فى جامعة الأمم تبدأ يومها وتختمه فى مشاهدة وجوه جديدة من أبناء الأمم الأخرى يبعث مرآها شتى المشاعر والأحاسيس .

وبعد أسبوعين تيسر لنا مسكن مجاور لتلال الدراسة الشامخة لا يفصله عنها غير طريق ترب لا يزيد عرضه عن بضع خطوات .

كنا أربعة من الأصدقاء أشبه بالإخوة الأشقاء السعداء بوحدتهم وتعاونهم . ولا أستطيع الآن أن أتذكر الدافع الذى دفعنا إلى عادة الصعود على تلك التلال الترابية العالية كلما لطفت النسائم وخفت حرارة الشمس وألقت ذهب الأصيل على كل معالم القاهرة العظيمة الواسعة . كل ما أذكره أن ذلك كان قد صار عادة لنا لا يقطعنا عنها إلا شاغل ذو أهمية . وكنت فى نفسى أتمنى أن لو شجرت هذه التلال وكسيت بالحشائش الخضراء لتمنح المنطقة نصيبا من سحر الطبيعة وجمالها وتدرأ عنها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

سحب الغبار الخانقة التى تثور أحيانا فتغطيها بحجاب كثيف من الأتربة الناعمة ... ومن عجب أن يتحقق بعض أمنيتى بعد قرابة أربعين عاما فى عهد ثورتنا المجيدة لقد شجرت بعض تلك التلال وإن لم تأخذ الصبغة الكاملة للمتنزهات الأنيقة المبتكرة .

وكنت أتمنى أن لو أقيم بين أشجارها غرف عالية تجمع بين البساطة والجمال والهدوء تعطى لمن يطلبها من هواة الخلوة والفكر والتأمل لقاء أجور معتدلة فيقضون فيها أوقات فراغهم كما لو كانوا فوق قمم الجبال الخضراء الساحرة ، فى أجمل مناطق السياحة العالمية .

أما عند ما كانت أنظارنا تقع على مرتفعات جبل المقطم فقد كنا نجد لها جلالا ورهبة لا تخلو من الجمال رغم تجردها من كل دلائل الحياة . إنها صخور صلبة وعرة صماء لا تجد العين فوقها أثر لأية خضرة ولا لأية حياة تتحرك إلا أن تكون الضباع والوحوش القابعة فى مغائرها وشقوقها .

ولم تلبث نوازع النفس الطلعة أن دفعتنا إلى تلك القمم الصخرية الوعرة لنكشف من أسرارها ما يمكن كشفه . . ولم أجد من زملائى موافقا سوى الأستاذ الشيخ محمد سرور مقلد المدرس الآن بمعهد الإسكندرية كنا نتعسف الطرق إليها لنرى هناك كيف ينسف العمال الكادحون كتل الصخور بالمتفجرات ثم يحطمونها لينقلوها إلى حيث تبنى بها بعض مبانى المدينة . وكم كان يروعنى أن أجد بين فتات هذه الصخور أصداف حيوانات بحرية مختلفة الأشكال مما لا يوجد إلا على سواحل البحار الملحة . وأعجب من ذلك أن نجد فى صفحات تلك الأحجار الجبلية نماذج كاملة لبعض الأسماك المعروفة لنا والتى نأكلها حتى اليوم . هل كان البحر الأبيض هنا يوما ثم تراجع فى ملايين السنين ؟

وكنا أحيانا - أنا وزميلى - نمضى فى تسلق هذه القمم وننقش بروعتها حتى يلوح لنا شبح حيوان ينفلت من جحره إلى حيث لا ندرى فننطلق ونحن بين النشوة والخوف من عواقب أمر لم يكن سبق لنا أن تعودنا مثله . وكنت عند النوم أحلم بخيالات ساحرة عن هذا العالم العجيب وأتمنى أن لو نقلت أتربة تلال الدراسة إلى أغوار هذه القمم ثم صعد إليها الماء وزرعت وأقيمت عليها معابد ساحرة فى شكل مدينة أسطورية . . ومن العجب أن يتحقق هذا الحلم الخرافى وتؤسس مدينة المقطم كذلك ، وإن يكن ذلك بطريقة أقرب إلى الاستغلال المألوف منها إلى الابتكار والاختراع . وأنا وإن لم يتح لى مشاهدة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المشروع حتى الآن لكثرة شواغلى ، فقد سمعت ناسا يذكرون العقبات التى تحول دون بلوغه ما كان يرجى منه . وما تذليل تلك العقبات بمستصعب لو استخدم فيها الأسلوب الابتكارى على مستوى المخترعات .

وقد يقال وما علاقة هذه التلال والقمم بمشروع العربة بلا وقود وهى عنوان حديثنا ؟

والجواب أولا أن حديث العلم والاختراع كله ممتع لا نحب حرمان القارئ من فوائده وثانيا أن فكرة العربة أول ما علقت بخيالى إنما جاءتنى فوق هذه التلال ، كنت قد سمعت من المخترع الشعبى المرحوم الأستاذ إبراهيم مقلد من أهل ادمانية من مركز إيتاى البارود أنه يفكر فى عربة تجرى بدون أية قوة ميكانيكية على الإطلاق ، بمجرد نقل من الأثقال المعدنية أو نحوها يوضع خلف محورها فيضغط على محور العجلتين الخلفيتين فتجرى بثقلها وبقائدها ، دون أية حركة من يديه ولا رجليه ودون أى وقود ... وصارحته إذ ذاك ، وأنا طفل وهو رجل ، باستحالة ذلك الاختراع ، وتوفى رحمه الله وهو لا يزال مقتنعا بفكرة تدل على غاية الطموح الذى هو خاصة المخترعين جميعا .

كنت قد أشرفت فوق حافة أحد هذه التلال فرأيت تحتى عمالا ينقلون منها الأتربة على عربات صغيرة ذات قضبان يسمونها (الترولى) وكم راعنى أن قائدها كان يجعلها تجرى به ويحملها جريا سريعا بوساطة عود من الخشب المتين متصل بنقطة فوق المحور الخلفى وبالضغط على طرف ذلك العود كانت العربة تنزلق إلى الأمام شيئا فشيئا ثم تجرى بسرعة مدهشة .

ومع أن هذه هى نظرية صديقى فى إطارها النظرى البحت فإنى لا أزال متمسكا باستحالتها لأنه يكل فى اختراعه قوة الضغط إلى نقل من الجماد لا حس له ولا قصد ولا حركة أما فى هذا « الترولى » فإن عليه انسانا يضغط برجله خلف المحور ويتحيل لذلك حتى يتم انزلاق العربة أولا ، ثم تجرى بنظرية الاندفاع الذاتى .

وانتقلت من القاهرة إلى الريف ، ولا يزال خيال العربة وفكرتها فى رأسى بشكل غامض ، واتفق بعد ذلك بسنوات أن اشترينا فى طرف الصحراء أرضا للاستصلاح ، وكنت أذهب إليها أحيانا لأرى ما هى عليه . وكان ذهابى وعودتى دائما بواسطة عربة أجرة كبيرة بعشرين كيلو مترا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ذهابا ومثلها إيابا ... ورأيت أهل الجهة المساكين يتكبدون هذه المسافات في أشد أيام الصيف والشتاء مشاة وحفاة في كثير من الأوقات . من أجل دواء يشترونه أو طفل يداويه أو قليل من الخضر يبيعه ليشتري سكرا أو شايا أو كيلة من الحب يطحنها وبعد ثلاثة أيام تنتد ثم يعود لنفس العذاب

ورحت أفكر في فكرة عملية لجهاز مواصلات يستغني عن « الموتور » الغالي الثمن ويمكن لأي رجل وامرأة ركوبه ليقيه من عوارض الجو القاتلة ويوفر زمنه فيكفيه ربع الساعة بدل الساعة ، على الأقل .

ورحت ألتمس لذلك كله طريقة تهدي إليه قواعد الطبيعة والميكانيكا ، وخصصت مكانا منعزلا لتجاربي وكلما دلت التجربة النموذجية المبسطة على إخفاق فكرة تحولت إلى غيرها .

وأخيرا تركزت في رأسي فكرة استعمال الحداقة لتغني عن « الموتور » . . إن الحداقة هي سر القوة الميكانيكية في كل جهاز لتوليد الطاقة على أي شكل كان ذلك الجهاز . والمحرك الذي يعطي ألف حصان لو نزعت منه الحداقة لم يعط حتى عشرة أحصنة بل ربما توقف واختل .

ولا يستثنى من ذلك سوى الأجهزة التي تدار بالكهرباء أو بدفع الماء . فانها لا تحتاج إلى الحداقة . وإن كانت معها تكون أعظم جهدا وأكبر إنتاجا .

وسنتكلم إن شاء الله مرة أخرى كيف أمكن نقل الحداقة من آلات الاحتراق إلى آلة (لا احتراقية) بلا قود إنها الفكرة التي لم يكن قد تنبه اليها عقل في العالم فيما يختص بآلات المواصلات . والله نسأل أن يأخذ بيد العاملين لخير العروبة إلى ما فيه سعادتها ، وأن يوفق رائدها الفذ الرئيس جمال عبد الناصر باني السد العالي وإن طال الأجل فستدار هذه العربة الفردية الخاصة بكهرباء السد العالي في جميع القرى على نمط جديد لم يتح لمفكر حتى اليوم والحمد لله أولا وآخرا وإلى اللقاء .

أبو بكر محمد زكري
الأستاذ المساعد في كلية أصول الدين

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

العقاد فى الدراسات اللغوية

للدكتور كمال بشر

أظن أن الجانب اللغوى عند العقاد لم ينل ما نالته جوانبه الفكرية الأخرى من البحث والدراسة ؛ بل قد نضيف إلى ذلك أن هذا الجانب لم يحظ حتى الآن بدراسة واعية جادة ، ومن ثم كان دورنا فى هذا المجال شاقا عنيفا ، ومما يزيد فى هذه المشقة وتلك الصعوبة أمران مهمان ، أولهما يتعلق بمادة البحث ، وثانيهما يتعلق بالاتجاه الفكرى العام عند الراحل الكريم نفسه .

فالمادة اللغوية التى خلفها لنا العقاد كثيرة متنوعة ، تقتضى من الدارسين أناة وصبرا بالغين ، وتحتاج فى عرضها ومناقشتها إلى وقت أوسع وأفسح مما يحتمله هذا المقام ، وهذه المادة - بالإضافة إلى ذلك - موزعة بين آثاره العديدة ، ومتناثرة هنا وهناك فى بطون تلك الآثار .

أما الاتجاه الفكرى عند العقاد فصعوبته توحده وتفرده ؛ فهو اتجاه أو - بالأحرى - منهج خاص بالرجل وحده ، تلمس فيه بوضوح شخصيته وعقليته : شخصية قوية لا تلين فى غير حق ، ولكنها دائما تعنف فى سبيل هذا الحق ، وعقلية جبارة تنفذ إلى أعماق النفوس والأشياء ، فتكشف عن أسرار لا يدرك مغزاها أو معناها المتعجلون السطحيون ، ومن ثم يسمون أعماله تارة بالصعوبة والتعقيد ، وتارة أخرى بالإغراق فى تحليل الجزئيات دون النظر فى الكليات ، أو دون القيام بعملية تجريد لهذه الجزئيات ، والوصول منها إلى قضايا كلية .

كل هذه الصعوبات قد وعيناها وتدبرناها منذ شرعنا فى التفكير فى هذا الموضوع ، غير أن هذه الصعوبات لم تمنعنا مطلقا من تتبع أعمال الرجل ومحاولة تقويمه من وجهة النظر اللغوية الحديثة . وأظنه ليس من الإنصاف فى حق العقاد أو فى حق نفسى على سواء أن أدعى أننى آت الآن بدراسة تفصيلية أو شبه تفصيلية لآثاره اللغوية . إن الذى أستطيعه فى هذا المقام لا يعدو أن يكون تخطيطا لدراسة أشمل ، ولا يجاوز أن يكون رسما لإطار عام لبحث أوسع وأكثر استيعابا .

وعندنا أن قيم البحوث اللغوية تقاس بثلاثة مقاييس مجتمعة غير منفردة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ما سجله فى كتابه « أشتات مجتمعات فى اللغة والأدب » وبعض فصول كتابه الآخر « اللغة الشاعرة » أما الاتجاه المعيارى فيتضح بوجه خاص فى ملاقفة المشكلات الخاصة باللغة العربية . والسر فى ذلك واضح ، وهو أن العقاد فى هذا المجال يريد أن يقنع المنحرفين والمتعصبين ضد اللغة العربية بالدليل الهادئ الواضح .

وإذا كان لنا أن نربط منهج العقاد بمناهج لغوية أخرى غربية أو شرقية ، انصرف الذهن إلى العالم اللغوى الجليل أوتو يسبرس Otto Jespersen . وليسبرسن منزلة خاصة ومكانة ممتازة لا ينكرها عليه أحد من اللغويين المحدثين . ذلك أن الرجل قد أسهم بنصيب كبير فى إرساء قواعد البحث اللغوى ، وإليه يرجع الفضل فى تقريب مبادىء هذا البحث وأسسه إلى أذهان الدارسين . على أن هناك فارقين كبيرين بين الرجلين . أولهما أن العقاد كان أسعد حظاً من صاحبه ، فقد نجح فى عمله ولم يخلط بين منهجه فى بحوثه ، وإنما أفرد لكل منهج بحوثا من لون خاص أما يسبرسن فكلنا يعلم أنه لم ينجح من هذا الخلط الذى يعد من أكبر عيوبه فى الدراسات اللغوية . أما الفرق الثانى بينهما فهو أن يسبرسن لغوى فقط ، أما صاحبنا فهو مفكر وباحث يضرب بفكره الكبير إلى أعماق العلوم الإنسانية كلها وعلى مستوى واحد من حيث الإحاطة والدقة ، فبعد الفرق بينهما واستوى العقاد عملاقا على قمة الفكر الإنسانى الواسع العريض ، واكتفى يسبرسن ببضاعته اللغوية التى لا تمثل إلا جانباً واحداً من جوانب الثقافة الإنسانية .

فإذا ما انتقلنا إلى المقياس الثانى من مقاييس الحكم على أعماله اللغوية (وهو مجالات الدراسة) ، ألفينا العقاد يصول ويجول فى مجالات البحوث اللغوية الحديثة كلها .

لقد جرى العرف بيننا نحن اللغويين أن نقسم علم اللغة إلى الفروع التالية .

١) علم الأصوات . وهو نوعان أحدهما هام phonetics ، وثانيهما نسميه نحن بعلم الأصوات التنظيمى phonology .

٢) الصرف morphology .

٣) النحو ayntax .

٤) المعجم lexican .

٥) السيمانتيك semantics أو ما نسميه نحن بعلم المعنى (١) .

---

(١) علم المعنى يدرس معانى الكلمات والجمل والعبارات فى الكلام الحى المنطوق على مستوى اجتماعى صرف ، وهو فى ذلك يتفق مع المعجم فى شىء ويختلف عنه فى أشياء . كما أن علم المعنى يخالف ما يسمى علم المعانى عند علماء العربية . فالأول أعم ، إذ الثانى يمثل جزءا من بحوث الأول عند بعض الدارسين اللغويين ، أما عند البعض الآخر فهما علمان مختلفان ولكل منهما مجالاته الخاصة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الكتب

تقديم وتعليق : محمد عبد الله السمان

---

١ — معركة المصحف في العالم الإسلامي

الأستاذ الشيخ محمد الغزالي

هذا عنوان كتاب جديد ظهر أخيراً للشيخ الغزالي ، نشرته دار الكتب الحديثة بعابدين ، في أكثر من ثلثمائة وخمسين صفحة من القطع المتوسط .

أشار المؤلف في مقدمته إلى : أن الله يأبى أن يكون بجمل صلته بخلقه لحظات هدوء أو سرحان ، أو مفاجأة في هذه البيوت التي أقيمت باسمه ، ثم ينطلق الناس بعـــدها في عرصات الأرض يحيون كيف يشتهون ، ويتعاملون بما يتواضعون عليه من قوانين وتقاليد . ثم ذكر : أننا نحن المسلمين نعتقد أن ما بين دفتي المصحف الشريف هو مراد الله من عباده ، وفي هـذا المصحف صور رائعة للحق ، في العقيدة والخلق والعبـادة والمعاملة تكفل للأمم معاشها هنا ، ومعادها هناك ، وليس لهذا المصحف بعد ذلك طابع إقليمي ، ولا نزعة خاصة ؛ لأن العالمية شائعة في آياته كلها شيوع الصفاء في وجه المرآة .

الكتاب يعرض موضوعات خمسة :

١ — المصحف للنفس والمجتمع والدولة ، ويرى المؤلف أن لا ضرورة هنا إلى الإشارة إلى شمول الإسلام واستيعابه بذكر شتى أحكامه ، ولا إلى القواعد والنصوص التي حفل بها وهو يبني عالما تذوب فيه الفوارق الجنسية ، لأنه يريد أن يتناول الجانب المبادئ ومسئولية الدولة عنه ، هذه الدولة لا تكون مسلمة يوم تكون إقامة الصلاة وإماتتها مثلا سواء في نظرها .

٢ — مصير الإسلام بين المجتمع والدولة ، ويرى المؤلف أن الإسلام ليس شكل دولة وبرنامج حكم . . وحسب ، إنه دين متعدد التعاليم متسع الميادين ، وشعبه التي تتفرع في الحياة تفرع القنوات في الأودية ، وصفها الرسول بأنها بضع وسبعون شعبة ، وهذا عدد ليس للإحصاء ولكنه لبيان استيعاب هذا الدين لمنازع النشاط الإنساني كله .

٣ — نحو تجديد الإسلام وتحرير أمته ويرى المؤلف أن تجديد الإسلام ليس أكثر من تجلية حقائقه الأصيلة ، وتجريد التراث السماوي من الشوائب العارضة وتمكين الأحرار العقلاء من اعتناقه عن إعجاب ورغبة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

٤ ـ فى سلم النهوض ، ويرى المؤلف أن العودة بالمسلمين إلى الإسلام علما وعملا ، هى وظيفة المجددين لدين الله ، النافضين بأمته كى تؤدى رسالتها الكبرى ، والعودة بالإسلام إلى ما كان عليه أيام الرسول ، تستدعى ـ إلى جانب تنقية الإيمان من الشوائب ـ قيام حكام من طراز عاقل عادل ، تختارهم الأمة اختياراً حراً ، وتختارهم الأمة اختياراً حرا ، وتحاسبهم إذا شاءت حسابا مراً .

٥ ـ الذين جادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ، وفى هذا الموضوع الأخير ، تعرض المؤلف لموقفه المعروف فى المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية ، وموقف الذين اتخذوا من موقفه وسيلة إلى النيل من الإسلام ودعاة الإسلام ، والشيخ الغزالى فى هذا الموضوع لم يدافع عن نفسه وإنما دافع عن وجهات نظر الإسلام ، ضد لفيف من المنحرفين .

وختم المؤلف بعد ذلك كتابه بكلمة موجزة أشار فيها إلى أن الجماهير المسلمة لم تفقد دينها على كثرة المفسيات ولكن خصوم الإسلام لا تنتهى محاولاتهم لهدم الإسلام . وأدواتهم لبلوغ هذه الغاية كثيرة خفيها أكثر من جليها ، ومكرها أعقد من ظاهرها ، وعلى المسلمين فى القارات الخمس ، أن يلبسوا هذه الحقيقة . . .

الحق أن الكتاب ثورة فوق أنه دراسة طرقت كثيراً من المفاهيم الإسلامية ، كانت فى مسيس الحاجة إلى الدراسة والإثارة .

* * *

٢ — بين الدين والحياة :

للأستاذ عبد المنعم النمر

وهذا الكتاب الجديد للمؤلف نشرته الدار القومية بالقاهرة ، وأراده دراسة تحليلية تهدف إلى بيان منهج الإسلام فى علاجه لمشاكل الحياة ، وإلى تقديم المبادئ والتعاليم الإسلامية صافية ، وإلى تصحيح أفكار بعض الناس مما علق بها من تنافر بين الدين والحياة ، وإلى أن الإسلام يعمل على إيجاد الأمة القوية العزيزة فى كل جانب من جوانب الحياة المادية والروحية على السواء .

فى المقدمة ذكر المؤلف أن الغرب عند ما اتجه منذ قرون إلى الاستيلاء على الشرق ولا سيما قلبه النابض ـ العالم الإسلامى ـ اتخذ وسيلتين للهجوم عليه ، هما الهجوم الفكرى والهجوم المسلح ، وكان يعلم ـ كما علمنا ـ أن الهجوم الفكرى أشد خطراً وفتكا وأبعد أثراً من الهجوم المسلح ، ولذا وجدناه يركز هجومه على معالم الإسلام ومبادئه ، وأتاحت له قوته المادية فى السيطرة وفى أدوات النشر والإذاعة أن يروج لباطله ويبث الشكوك فى حقائق الإسلام ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وما جاء به من مبادئ قويمة توفر السعادة للمجتمع ، وكان لهذا أثره على عقول بعض المسلمين المثقفين ، وأحيانا على قادة الفكر والثقافة . فانساقوا فى تياره ورددوا اتهاماته وانصرفوا عن مبادئهم .

وإزاء هذا يرى المؤلف أن من الواجب بعث الروح الدينية فى النفوس ومما يساعدنا على هذا أن نعيد النظر فى بعض الأفكار الدخيلة على الإسلام ، والتى تعتبر أثرا من آثار الانحلال أو الانحراف أو الجمود الفكرى فى العصور السابقة ، فنعمل على تنقية الإسلام من الشوائب التى نفرت منه بعض أهله ، ونقدم المبادئ والتعاليم والأفكار الإسلامية الصافية صفاء المنبع الذى نستمدها منه .

ونحن مع المؤلف أولا فى اتجاهه هذا ، فالغرب لم يسط على الإسلام بالسلاح الفكرى إلا بعد أن وضع أصابعه على منافذ الضعف فى الأفكار الدخيلة على الإسلام ، والمدونة فى كتب التراث التى منحناها صفة القداسة ، وشهرنا عصا الإرهاب فى وجه من يحاول المساس بها والتى لم يزل لها تأثيرها فى حياتنا ولكننا إذا حاولنا من جانب آخر أن نناقش الكتاب فى مجمله ، فلن نجد ارتباطا كاملا بين العنوان والأبحاث الداخلية فيه فبحوث الدين والدنيا ، والإسلام زينة الحياة الدنيا ، كيف تفهم الإسلام ، سنة الله فى رقى الأمم ، هذه البحوث لها ارتباط وثيق بعنوان الكتاب ، أما بحوث : رمضان ونزول القرآن ، الصيام ، ذكرى بدر ، أعيادنا ، الحج ، بين الأمس واليوم ، الدعوة إلى الله بالحسنى ، الوعد الحق ، الهجرة ، فهذه كلها لا ارتباط لها بموضوع الكتاب ، وإن كان كل منها يقوم دراسة مستفيضة جديرة بالاستيعاب ، ومع تقديرنا للمؤلف وهو عالم أديب ، وباحث مطلع ، وكاتب مستنير ، إلا أننا كنا نود أن يفرغ الجهد فيما يتصل بموضوع على جانب من الأهمية هو موضوع الدين والحياة .

* * *

٣ — العقائد الإسلامية :

الأستاذ الشيخ سيد سابق

أصدر هذا الكتاب المؤتمر الإسلامى بالقاهرة فى أكثر من ثمانمائة صفحة . وكتب المؤلف مقدمة مسهبة له ، تناول فيها الإسلام إيمانا وعملا ، ومفهوم الإيمان ، ووحدة العقيدة وخلودها ، ومنهج الرسل فى الدعوة إلى الإيمان ، وأثر الانحراف عن منهج الرسل ثم ضرورة العودة إلى تجديد دعوة الإيمان .

وقد ألمت فصول الكتاب بعد ذلك بالعقيدة وفروعها : معرفة الله ووسيلتها ، وميادين التفكير وغايته ، والمعرفة عن طريق الأسماء والصفات ، والتقليد كحجاب للعقل ، ثم اسم الله الأعظم ، كما ألمت بالذات الإلهية ، وكون إدراكها مستحيلا وبالطبيعة وتأكيدها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وجود الخالق وبالفطرة كدليل على وجوده سبحانه، ودليل على أن لا سند للإلحاد يعتد به.

تعرض الكتاب لصفات الله ، فذكر من الصفات السلبية : الأول والآخر ، وليس كمثله شيء والوحدانية ومن الصفات الثبوتية : القدرة والإرادة ، والعلم والحياة والكلام ، والسمع والبصر ، وهذه الصفات الثبوتية هي صفات الذات . أما صفات الأفعال فصفة الخلق ، والرزق ، وعاب المؤلف الاختلاف في صفات الذات : هل هي عين الذات أي أن الله عالم بالذات وحي بالذات ، أو أنها صفات زائدة على الذات ، أي أنه عالم بعلم ، وحي بحياة ، وقادر بقدرة وهكذا واعتبر أن مثل هذا الاختلاف من الدخيل على الإسلام ومن البدع الطارئة على العقيدة ، ومن المذكرات التي يجب على المسلمين التنزه عنها فإن ذات الله أجل من أن تتناول على هذا النحو .

وعرض الكتاب لحقيقة الإيمان وثمرته والملائكة وحقيقة خلقهم وطبيعة أعمالهم والجن وحقيقة وجودهم ، والكتب السماوية المدونة وغير المدونة ، والرسل وأعمالهم الكبرى ، والآيات الخارقة التي أيدوا بها ، والروح مع الجسد وبعد الجسد ، وأشراط الساعة الصغرى والكبرى ، والمهدي المنتظر والمسيح والدجال ، والبعث وشبهات منكريه ثم ختم المؤلف كتابه بفصل عن الجنة والنار والشفاعة للعصاة ، وبتعقيب موجز ذكر فيه أن سلوك الإنسان وتصرفاته في الحياة مظهر من مظاهر عقيدته ، فإذا صلحت العقيدة صلح السلوك واستقام ، وإذا فسدت فسد واعوج ، ومن هنا كانت عقيدة التوحيد والإيمان ضرورة لا يستغني عنها الإنسان ليستكمل بها شخصيته ويحقق آدميته وإنسانيته .

الحق أن الكتاب عرض شامل للعقائد الإسلامية لمجرد الإلمام السريع بها ، وموجز مجد الكتب الضخمة التي استوعبت هذه العقائد ، وقد خلا هذا الموجز من الإسفاف وتجرد عن الجدل الممل ، إلا أنه خلا أيضا من المناقشة الجادة لما أثاره علماء الكلام والمتصوفة في كثير من القضايا العقائدية المعقدة ، ولم يستوعب كثيراً من الرد على الشبهات التي أثارها المتربصون بالإسلام من المستشرقين والمنحرفين .

وإذا كان هناك مثار عجب في الكتاب فهو أن المؤلف عرض قضية المهدي المنتظر ، ومجيء المسيح الدجال ليثير الفتنة في الأرض ونزول عيسى ليقاوم هذه الفتنة ويقضي عليها في آخر الزمان . عرض المؤلف كل هذه القضايا ، وكأنها من المسلمات التي لا تحتاج إلى نقاش مع أنها قضايا خلافية كأشراط كبرى للساعة ، وأمور عقيدية تحتاج إلى أدلة يقينية قطعية الدلالة والورود ، وليس في كتاب الله ولا في السنة المتواترة ما يؤيد ظهور المهدي ولا عيسى الدجال ولا نزول عيسى آخر الزمان .

محمد عبد الله السمان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أنباء وآراء

صدى مؤتمر مجمع البحوث :

كان لانعقاد مؤتمر مجمع البحوث بالقاهرة صدى بعيد المدى فى أنحاء العالم الإسلامى ، وقد بعث كثير من الأعضاء بعد سفرهم برقيات ورسائل ننشر منها ما يلى :

من يوغوسلافيا

السيد/ الأستاذ الدكتور محمد عبد الله ماضى وكيل شيخ الأزهر ورئيس مجمع البحوث الإسلامية .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فإنه يطيب لى أن أتقدم إلى سيادتكم بعد العودة إلى بلادى بالشكر الجزيل على كل ما لاقيناه فى بلادكم من الحفاوة الكريمة والضيافة البالغة ، وعلى كل ما قوبلنا به من الإكرام والتعظيم من الأزهر الشريف ومن غيره من الهيئات والمؤسسات والجمعيات .

ولا شك أن تشرفنا بمقابلة الرئيس الجليل جمال عبد الناصر لما سيبقى فى ذكرياتنا طول العمر ، ومما لا ننساه أبدا .

ولقد استمعنا إلى البحوث القيمة وإلى المناقشات والتعليقات المفيدة التى كان الغرض منها إضاءة السبل التى تؤدى بالمسلمين إلى مستقبلهم الأفضل وإلى استرجاع ما كان للإسلام والمسلمين من المجد والعظمة وإلى خلق مجتمع جديد يقوم على المبادئ الإسلامية السامية .

والذى شاهدناه من حفل وضع حجر الأساس لدار القرآن ولجامعة الأزهر الجديدة ولوضع حجر الأساس لمدينة الأزهر فى غزة ومن زيارتنا لقطاع غزة والسد العالى فى أسوان ولمديرية التحرير .

كل ذلك أكد وعزز إيماننا بزعامة الجمهورية العربية المتحدة للعالم الإسلامى وبأنها تقوم برسالة الإسلام خير قيام ، والفضل فى ذلك كله يرجع إلى بطل الإسلام والعروبة الرئيس جمال عبد الناصر نصره الله وأيده ذخرا للإسلام والمسلمين .

وأنى أحمد الله وأثنى عليه كل ثناء لما أتاح لى فرصة اشتراكى فى هذه الأعمال الجليلة التى لها أهمية تاريخية وستكون لها من النتائج ما لا يمكن تقديره فى هذه اللحظة

ومما سرنى غاية السرور ، وعلى وجه الخصوص ما رأيته من أن الأزهر أصبح فى يد رجال جمعوا بين الثقافتين : الثقافة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الإسلامية الصحيحة والثقافة العصرية، وبهذا استطاعوا أن يدركوا حقيقة الفكرة الإسلامية وأن يقوموا بواجبهم فى أداء رسالة الأزهر التى هى فى الواقع رسالة الإسلام.

ويقيني أن مجمع البحوث الإسلامية سيلعب دورا هاما فى حياة المسلمين وفى نهضتهم الحالية، وندعو الله أن يوفق أعضاء المجمع فى أداء مهمتهم العظيمة والشاقة.

وتفضلوا بقبول فائق احترامنا ؟

حسين سليمان جوزو

من المندوب العوضي الوكيل

السيد صاحب الفضيلة الدكتور محمد عبد الله ماضى وكيل الأزهر.

أقدم أخلص تهانى على نجاح مؤتمر المسلمين ونأمل أن يحقق الله لكم منه ما أملتم فيه.

والسلام عليكم ورحمة الله.

العوضى الوكيل

من البحرين :

حضرة الأجل السيد الأستاذ الدكتور محمد عبد الله ماضى وكيل الأزهر الشريف المحترم حفظه الله ورعاه.

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته مع السؤال عنكم والدعاء لكم دمتم بحال جميل.

لقد غادرنا القاهرة العامرة فى الساعة الحادية عشرة من ليلة الخميس الماضية بالطائرة ووصلنا الوطن بالسلامة والراحة بعد ساعتين وربع. نشكر الله تعالى على ذلك، وإننا لنشكركم على ما قمتم به نحونا مع أعضاء المؤتمر وجميع الوفود من الحفاوة والتكريم وتوفير وسائل الراحة، سائلين المولى جل جلاله التوفيق والسداد لنا ولكم ولرجال المؤتمر والأزهر الشريف.. إنه سميع مجيب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عبد اللطيف بن محمد آل سعد

قاضى المحكمة الشرعية بالبحرين

من الأردن :

فضيلة الأستاذ رئيس مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية المحترم :

يسرنا وقد عدنا إلى الأردن بعد حضور المؤتمر فى القاهرة أن نقدم جزيل الشكر، وعظيم الامتنان لفضيلتكم ولمجمع البحوث الإسلامية ولمشيخة الأزهر الشريف ولحكومة الجمهورية العربية على ما لقيناه من الجميع أثناء إقامتنا فى الجمهورية العربية من حفاوة وتكريم، وما لمسناه من عواطف كريمة وشعور نبيل.

وإننا لنسأل الله تعالى أن يجزيكم جميعاً خير الجزاء، وأن يوفقنا جميعاً لما فيه خير المسلمين وصلاحهم، والله من وراء القصد.

عبد الله غوشة

قاضى قضاة الأردن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

سيادة الأخ الكريم الدكتور محمد عبد الله
ماضى وكيل الجامع الأزهر :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد :

فقد رأيت أثر وصولى للوطن سالماً بحمد الله أن أزجى لكم شكرى الجزيل على الحفاوة التى شملتمونى بها مدة إقامتى فى القاهرة راجياً من الله سبحانه أن يأخذ بناصركم ويوفقكم فى بجمع البحوث ، فإن المهمة شاقة والمسئولية أمام الله والتاريخ .

وإنه لتجربة نرجو الله أن يجعلها ناجحة فى حفظ قوة الإسلام ، وصلاحيته لكل زمان ومكان ومجابهة الأحداث ، وأن نخرج من هذا المعترك ظافرين ومنصورين بنصر الله وتأييده . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

من المخلص
عبد الحميد السائح
عضو المحكمة الشرعية العليا بالأردن

من تونس :

جامعة القرويين ـ كلية الشريعة
ظهر المهراز ـ فاس ـ صندوق بريد ٦٠
فضيلة الأستاذ الكبير الدكتور محمد عبد الله ماضى وكيل الأزهر الشريف ورئيس مؤتمر البحوث الإسلامية .

سلام تام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

وبعد ، فيطيب لى بعد عودتى إلى المغرب أن أتوجه اليكم بالشكر الجزيل على ما غمرتمونا به من عطف ورعاية وإكرام أثناء تشرفنا بالمقام بينكم ، بمناسبة حضورنا فى المؤتمر الأول الكبير للبحوث الإسلامية بدعوة مشكورة منكم .

كما يطيب لى أن أنوه بحصافتكم ومقدرتكم الفائقة وتفكيركم الفذ فى تسيير أعمال المؤتمر وحكمتكم فى حفظ توازنه وولايته والتقدم بحلقاته المتسلسلة من حسن إلى أحسن سواء فى أثناء عرض البحوث والكلمات أو فى أثناء المناقشات والمداولات والاقتراحات .

إن رجال الثقافة الإسلامية فى المغرب تتبعوا باهتمام كبير الخطوات الموفقة التى سجلها مؤتمر البحوث الإسلامية وإنهم ليعلقون على ذلك كبير الآمال فى تحقيق العزة الإسلامية والنخوة العربية ويباركون بإعجاب تلك التوصيات السبع التى انبثقت من حكمتكم وحكمة أعضاء المؤتمر صفوة علماء العالم الإسلامى والتى سيكون لها بحول الله أحسن الأثر فى توثيق عرى المسلمين وتنمية أواصر المودة والأخوة بينهم فى مشارق الأرض ومغاربها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حتى يكونوا صفا واحدا فى الإطاحة بخطر إسرائيل .

وتقبلوا فى الختام فائق احترامنا وتقديرنا والله يحفظكم ويرعاكم والسلام .

مدير كلية الشريعة
الحاج أحمد بن شعرون

من مالى :

الدكتور محمد عبد الله ماضى وكيل الأزهر ورئيس المؤتمر الأول لمجمع البحوث الإسلامية .

أرى من الواجب المقدس بمثل لكم هذه البرقية معبرا عن شكرى العميق للشعب العربى الكريم ورجال الأزهر الذين أتاحوا لمسلمى العالم الاجتماع التاريخى للنهوض بالإسلام ونطلب من الله سبحانه وتعالى أن يلهم أعضاء المجمع فى جلساته التالية ، وأن ينصركم والشعب العربى المؤمن فى جهاده تحت قيادة الرئيس المقدام جمال عبد الناصر !

عبد الوهاب دكرورى
قائم بأعمال سفارة جمهورية مالى فى جدة

من الصراى :

السيد الدكتور محمد عبد الله ماضى وكيل الأزهر الشريف كان للأجواء العلمية التى وفرها مجمعكم الموقر ، واللقاءات الفكرية بين أعلام الإسلام أعمق الأثر فى النفوس .

نشكركم ونحيى ما بذلتم فى إعداده من جهد ، ونقكم الله دائما لخدمة الإسلام وتعاليمه المقدسة .

محمد تقى الحكيم

هل يجوز نقل مقام إبراهيم عليه السلام؟

قال الله تعالى: « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا ، واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى » صدق الله العظيم .

لقد تواتر كلام المفسرين من السلف الصالح عن معنى المقام بأنه محل إقامة الخليل عليه السلام ، وعلى هذا فإنه يشمل جميع الحرم وقال آخرون : إن المقصود بالمقام جميع المشاعر .

فعلى التفسير الأول : من صلى فى أية بقعة من بقاع مكة فقد اتخذ من مقام إبراهيم مصلى .

وعلى التفسير الثانى : من صلى فى أى مشعر من مشاعر الحج فقد اتخذ من مقام إبراهيم مصلى .

فكيف بمن يصلى داخل المسجد الحرام سواء كان فى الحادث منه أو القديم إنه من باب أولى قد اتخذ من مقام إبراهيم مصلى .

أما ما ورد من أن معنى المقام إنما هو محل القدم فى الصخرة الماثلة داخل السياج الذى أمام المقام ، وإن معنى الصلاة إنما هو

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الدعاء ، فإن ذلك بعيد التناول والمعنى ، وعلى فرض صحته فإن جواز نقلها من محلها الضرورة القاهرة لا يوجد دليل على منعها .

بل لقد ورد أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذى أمر بنقلها من مكانها الأول بجانب الكعبة إلى هذا الموضع وقال آخرون ، إن الذى أمر بنقلها هو عمر رضى الله عنه .

ومفهوم من هذه الرواية أن النقل قد تم فعلا سواء بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من خليفته عمر رضى الله عنه وكان ذلك توسعة للطائفين فى الصدر الأول من الإسلام .

وأى مضايقة وازدحام أشد مما يتكلفه المسلمون اليوم فى موسم الحج . فهم فى يسر وراحة أثناء الطواف من جميع الجهات إلا عندما يحاذون الحجر الأسود فمن هناك يواجههم الضيق والعنف والمدافعة والمناقشة ، ولقد سمعت مسلما يسب أخاه بسبب الضيق فى الوقت الذى كان ينبغى أن يدعو له بالهداية والتوفيق .

ولعل من حكمة الله العلى العظيم فى تشريع الحج وحج المسلمين فى هذه المشاعر التآلف والتوادد فلذلك يجب أن يزال كل عامل يحدث الشقاق والتباغض بين المسلمين .

وليس هناك ما يمنع من نقل المقام إلى ما يحاذيه حتى يتسع المطاف ويرتفع الحرج عن المسلمين إذ أننا لم نقف على نص صريح يدل على إلزام المقام هذا الوضع .

أما ما ورد من أن الرسول صلى خلف المقام فإنه عليه الصلاة والسلام حينما صلى ، لم تكن الصخرة فى هذا الموضع بل كانت بجانب الكعبة ، فمحتمل أنه صلى إلى الكعبة حيث كان المقام أمامه (بينه وبين الكعبة) ومن القواعد الثابتة أنه إذا حصل الاحتمال سقط الاستدلال .

وقد نقل الأزرقى فى تاريخه أن المقام قد نقل من مكانه أكثر من مرة حينما كانت تجرفه السيول قبل أن يردم عمر رضى الله عنه الحرم الردم الأعلى . ثم جاء سيل عارم الذى عرف فى التاريخ بسيل أم نهشل فنقل المقام إلى أسفل مكة ، ثم رده عمر إلى محله الحالى بشهادة من رجل يقال له المطالب بن أبى وداعة .

وهذا الرد لا يثبت وجوب استدامته فى هذا المحل وليس هناك ما يمنع من نقله إلى الموضع المناسب حتى يتسع المكان للطائفين .

لذلك فإنا نأمل من إخواننا العلماء إعادة النظر فى موضع نقل المقام . وأن يجتمعوا ويتفقوا على الرأى الصواب

عبد الله إبراهيم الأنصارى
الدوحة ـ قطر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فتاوى مختارة

تقديم : ابراهيم محمد الجيل

استبدال النقود بالهدى فى الحج :

السؤال :

شاهدت كما شاهد غيرى من حجاج بيت الله الحرام تكدس لحوم الهدى فى منى فهل يجوز استبدال النقود بالهدى حرصا على المنفعة أرجو تفصيل القول فى هذا .

عبد المعطى سلمان - دميره

الجواب :

يظن كثير من الحجاج أنه يجب على كل حاج أن يذبح هديا فى حجه ، وأن يكون ذبحه فى أيام معينة هى : أيام النحر الثلاثة ، وفى مكان معين وهو منى خاصة . ومن هنا نرى الفقراء أو البخلاء يعمدون إلى ما قل ثمنه من هدى مريض أو هزيل فيذبحونه فلا يطيب لحمه لآكل ولو كان فقيراً يتضور جوعا . وبذلك تتكدس لحوم الهدايا فى منى وتتعفن ، وتنبعث منها الروائح الكريهة ، فتفسد الجو ، وتنتشر بها جراثيم المرض ، وفى ذلك من الأذى والضرر ما لا يرضاه الشرع ، الحريص على صحة الناس ، وطيب الحياة .

وبذلك وقعت مسألة « الهدى فى الحج » بين جهل فى التطبيق والعمل ، وبين نظر قاصر يحاول بهذا الجهل تغيير حكم الله فيها ، دون أن يتعرف واقع المشروع ويدعو الناس إليه ، فيبقى حكم الله على ما شرع ، ويسلم الجو من الأذى والضرر .

والله أرحم بعباده منهم ، وهو لا يشرع لهم إلا كل خير نافع ، وأجل من أن يتعبدهم بما فيه شر أو ضرر ، وتشريعه فوق ما يربطون به نظرهم من سوء التصرف المبنى على الجهل بأحكامه ، وشرائعه .

معنى "الهدى" :

والهدى اسم للحيوان الذى يهدى باسم الله إلى الحرم ويذبح فيه ، ويطعم منه الفقير والمسكين ، فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون » . وقد أرشد القرآن إلى الروح الذى يقبل الله به الهدى ، وهو روح الإخلاص والتقوى ، شأن كل التكاليف ، لا يكفى فى تقبلها شكلها ولا صورتها ، وإنما يرفعها إليه ، الإخلاص ، وهو المعنى بقوله تعالى : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولكن يناله التقوى منكم » . كما لا يناله من الصلاة الحركات والسكنات ، ولا من الصوم ، ترك المأكولات والمشروبات ولكن يناله منهما ما يحملان من معانى الخشوع والإخبات ، ومراقبة القلب وحسن النيات « إنما يتقبل الله من المتقين » .

الهدى فى القرآن :

قد عرض القرآن للهدى من جهات ثلاث :

أولها : جهة التنويه بشأنه ، فطلبه وطلب الإخلاص فيه لله ، وجعله من الشعائر التى يجب المحافظة عليها ، ويحرم إهمالها وإحلالها ، ففى سورة المائدة « يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ، ولا الشهر الحرام ، ولا الهدى ولا القلائد ، ولا آمين البيت الحرام » (١) . وفى سورة الحج « والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير » (٢) وفيها « ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣) .

ثانيها : جهة الحالات التى يطلب فيها ، وهى : حالة الإحصار ومعناه ، المنع عن إتمام الحج أو العمرة بمرض أو عدو ، وهى المذكورة بقوله تعالى فى سورة البقرة : « وأتموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى » (٤) .

وقد طلب الهدى فيها عينا متى تيسر .

وحالة الاعتداء على الإحرام بفعل محظور من محظوراته ، كتغطية الرأس ، أو لبس مفصل على الجسم أو قتل صيد الحرم ، وهى المذكورة بقوله تعالى فى سورة البقرة : « فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك » (٥) وبقوله فى سورة المائدة : « يأيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً » (٦)

وقد طلب الهدى فى هاتين الحالتين على سبيل التخيير بينه وبين غيره من الصوم والإطعام ، وقد بين الرسول أن المراد صوم ثلاثة أيام ، أو إطعام ستة مساكين .

وحالة التمتع بالتحلل من الإحرام الأول على إرادة استئناف إحرام آخر للحج عند الخروج إلى عرفة ، وهى المذكورة بقوله تعالى : « فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم » وقد طلب الهدى هنا ، على أن يكون له بدل عند العجز .

(١) الآية ٢ من سورة المائدة .
(٢) الآية ٣٦ من سورة الحج .
(٣) الآية ٣٢ من سورة الحج .
(٤) ، (٥) الآية ١٩٦ من سورة البقرة .
(٦) الآية ٩٥ من سورة المائدة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

زمان ومكان ذبح الهدى :

وكما عرض القرآن للهدى من جهة التنويه بشأنه ، ومن جهة الحالات التى يطلب فيها عينا أو تخييرا بينه وبين غيره ، عرض له من جهة المكان الذى يذبح فيه ، ثم محلها إلى البيت العتيق ، « هديا بالغ الكعبة » ، حتى يبلغ الهدى محله ، والمراد به ما دل عليه قول الرسول وعمله ، الحرم كله ، وقد صح عنه عليه السلام « أن منى كلها منحر وأن مكة وفجاجها منحر » وإذن ، ففى مكان ذبحه متسع ومتسع عظيم ، وليس خاصا بمنى كما يظن كثير من الناس .

أما الوقت الذى يذبح فيه الهدى ، فلم يعرض له القرآن ولم يصح فى تعيينه حديث وإذن ، فلئن وجب عليه الذبح عينا ، أن يذبح هديه فى أى وقت شاء بعد أن وجب عليه ، وليس هناك ذبح يتعين زمنه ، سوى « الأضحية » التى تكون فى أيام النحر الثلاثة وهى غير الهدى ، وهى لا تجب — إن صح أنها واجبة — على حاج أو مسافر .

وقد بين الفقهاء أن هدى التمتع يجوز ذبحه بمكة قبل الخروج إلى عرفة بل قبل الإحرام بالحج ، وهو أهم ما يجرى فيه الجدل بين الناس وأهم ما يحدث به تلك الظاهرة الكريهة .

الهدى من شعائر الله :

بهذا الذى ذكرناه نعلم أن الهدى من شعائر الله التى تجب المحافظة عليها ، ولا يصح التهاون فيها أو إغفالها حسبنا ، ولا تحلوا شعائر الله ، والشعائر هى العلامات الواضحة الظاهرة التى اعتبرها الدين مظهرا من المظاهر العامة ، وهذا لا يتحقق إلا بعمل ظاهر يراه الناس فى مناسبات خاصة . وإذا أردت زيادة فى الإيضاح فانظر إلى موقف الشريعة من الأذان . إذا اعتبرته شعيرة من شعائر الدين يقاتل أهل القرية أو المدينة على تركها وإن لم تكن من الفرائض .

ألا وإن الشعائر فى نظر الإسلام مكانة الفروض المقدسة . وعلى هذا اتفقت كلمة الفقهاء فى ذبائح الحج ، ولم يرو عن أحد منهم خلاف فى ذلك ، نزولا على حكم تلك الآيات الصريحة الواضحة ، وتحقيقا للغرض المقصود . وهو التقرب إلى الله بإراقة الدم ، ولله سبحانه وتعالى أن يتعبد عباده بما يشاء : بما يدركون حكمته وبما لا يدركون . وما كان اختلاف الفرائض فى عدد الركعات والكيفيات ، وتحديد الأوقات واختلاف مقادير الزكاة ، والكفارات ، وسائر ما دخله العد أو اعتبرت فيه الكيفية — إلا نوعا من هذا التعبد الذى يتجلى فيه بوضوح مقتضى العبودية الحقة ، وهو الامتثال لأمر الرب الحكيم ، عقل معناه أو لم يعقل .

مهمة الهدى الروحية والاجتماعية :

والعلماء يذكرون فى هذا المقام أن هذه القربة تذكر بحادث الفداء الذى حصل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لإبراهيم الخليل وولده عليهما السلام ، وتنبه النفوس المؤمنة إلى مبدأ التضحية فى سبيل الله وطاعته بأعز شىء لديها: «وفديناه بذبح عظيم».

على أن فى العمل بهذه القربة سراً اقتصادياً يرجع إلى سكان البادية ، ولعله من مصداق دعوة أبيهم إبراهيم حين قال : « ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » . ذلك أن الماشية رأس مال أهل البادية ، وموسم الحج هو السوق التى تنفق فيه هذه السلعة ، عن رغبة لا مشقة فيها ، وبذا يحصلون على أرزاقهم من أعمالهم ، ومن ثمن أموالهم ، دون أن يتعرضوا لذل السؤال، أو يترقبوا لمن العطاء .

لا تقصير فى أمور التعبد

من هذا يتضح جليا أنه لا يجوز للمسلمين أن يفكروا فى استبدال النقود بالهدى أو الأضحى التى طلبها الشارع بذاتها ، إقامة للتصدق بثمنها مقامها ؛ إذ ليس القصد هو التصدق ، وإنما القصد - كما قلنا - التقرب بها نفسها وإننا لو أبحنا لأنفسنا هذا النحو من التفكير - بناء على ما نظن من حكم التشريع - لانفتح علينا باب التفكير فى التخلى عن الأعداد والكيفيات التى طلبت فى كثير من العبادات ، ولأمكن لقائل أن يقول : إن الغرض من الصلاة هو الخضوع ومراقبة الله وهما معنيان يحصلان بالقلب ، وبأى مظهر من مظاهر الخضوع والمراقبة ! فليست هناك حاجة إلى ركوع أو سجود أو غيرهما من كيفيات الصلاة الخاصة ، وبذلك ينفتح باب الشر على مصراعيه ، ولا يقف ضرره عند حد الأضاحى وفدية الحج .

الشريعة عند نظر لها :

أما ما يبررون به مثل هذا التفكير من أن لحوم الذبائح تتكدس فى منى ، وتترك للعفن المفسد للجو ، أو للنار المذهبة للأموال ، فهذه الحالة - إن صحت - ليست ناشئة عن أصل التشريع الذى هو خير كله ، وإنما نشأت عن عدم التنظيم ، وعدم الإلمام بأحكام الشرع ؛ فإن الشرع لم يطلب من كل حاج أن يذبح فالذى نوى الحج واستمر على إحرامه حتى أكمل حجه لا يجب عليه ذبح ، ولم يوجب أن يكون الذبح - فيما يطلب فيه الذبح - فى خصوص منى ولا بجزرتها ، ولا فى اليوم الأول من أيام النحر ، فأيام النحر كلها زمن للذبح ، والحرم كله مكان للذبح ، والذبح لم يطلب عينا إلا فى حالات مخصوصة وما عداها فالحاج مخير بينه وبين غيره : من صدقة أو صيام .

فلو عرف الحجاج أحكام الله على هذا الوجه فيما يختص بالدماء ، فتصدق من لم يطلب منه الذبح ، وذبح من طلب منه الذبح ، وفرقوا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الذبح على الأماكن والأيام ، ثم تخيروا الذبيحة من غير العجاف والمرضى ، وهيئوها بالسلخ والتقطيع - لما كان لهذه الشكوى موضع ؛ ولكن جرت سنتنا فى التفكير أن نعد الوضع الذى جرت إليه العادات - وإن كانت فاسدة - صورة للتشريع ، فنحكم عليه بالقبح ، ثم نحاول التخلى عنه بالقضاء على أصله ، وبذلك ندخل فى باب من التغيير والتبديل فى أحكام الله ، ولا نلبث بعد ذلك أن نترك الشريعة كلها جانباً ، باستحساناتنا الفاسد المبنى على واقع جر إليه الجهل وعدم التنظيم.

اقتراح لحل المشكلة

وبعد : فإن الكلام فى هذا الموضوع ليس وليد اليوم ، بل سبق أن تحدث فيه المرحوم الحلباوى بك مع فضيلة المغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى ، فأحال فضيلته بحثه من الوجهة الفقهية الشرعية ، على فضيلة الإمام الراحل الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر السابق فقرر فضيلته بعد البحث : بأن الفقهاء جميعا يعتبرون التعبد فى هذه المسألة بإراقة الدماء ، دون أن يرى فى كلام واحد منهم ما يشير - ولو من بعيد - إلى جواز استبدال النقود بها . فاطمأن الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى إلى هذا وأقره ، وقد عرض الشيخ شلتوت على الشيخ المراغى اقتراحا هو :

أنه على فرض تكدس اللحوم - كما يقولون بعد مراعاة الأحكام الشرعية فى زمان الذبح ومكانه ، وطلبه وعدم طلبه - يجب على المسلمين - وفيهم والحمد لله موسرون كثير - أن يعملوا على استخدام إحدى الوسائل الحديثة لحفظ هذه اللحوم وإدخارها طيبة ، ثم توزيعها على الفقراء والمحتاجين فى جميع الأقطار الإسلامية إن ضاق عنها القطر الحجازى ، أو بيعها بأثمان تصرف فيما ينفع الفقراء والمساكين ، أو فى سبيل الله العامة وإنى أعتقد أن هذا المشروع متى كفلته الدولتان العظيمتان : الجمهورية العربية ، والمملكة السعودية رأينا آثاره ، وانتفع الناس بثمراته ، فى المواسم المقبلة إن شاء الله

حكم تناول طعام متعامل بالربا :

السؤال : شخص يتعامل بالربا ودعانى فيمن دعا إلى طعام بمناسبة فما حكم الأكل من هذا الطعام؟

عبد الهادى مصطفى - شبرا الخيمة

الجواب : يقول النبى صلى الله عليه وسلم :

كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به .

وعليه فلو كان دخل الداعى كله من الربا فالأكل من طعامه حرام وهو مسئول أمام الله عن ارتكاب هذا العمل المحرم وإذا كان بعض ماله من حرام والبعض الآخر من مورد حلال فالأكل منه جائز مع الكراهة شرعا لأنه أصبح مالا مشبوها وتناول المشبوه جائز وإن كان عدم تناوله أولى لقوله عليه الصلاة والسلام فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فهرس أبجدى عام

لموضوعات المجلد الخامس والثلاثين

الموضوع	الصفحة
(ا)	
أبغض الحلال إلى الله	٨٦٣
ابن الفارض وما يقال عنه	١٨٥
ابن قتيبة الناقد	٦٦٣-١٠٦٨
أبو جعفر الطبرى شيخ المفسرين وإمام المؤرخين	٨٤٠
أبو الفرج الجوزى - يتحدث عنه رحالة	٢٩٤
الاتجاه نحو الكعبة فى الصلاة ...	٦٣٤
الاجتهاد فى ماضيه وحاضره	٩٣٦
الاجتهاد - قضيته	٩٤٩
أجرة مكث الماشية فى السوق ..	١٢٤
أحاديث لأعضاء وفود المؤتمر ...	١٠١١
أحمد محرم شاعر العروبة والإسلام	٤٩٩
اختلاف الفقهاء وأسبابه - كتاب ...	٣٦٢
الأدب بين الصعود إليه والهبوط به	٥١٣
الأدب العربى واتجاهات القومية العربية	٤٨٤
الأزهر وقضايانا القومية	٧١٧

الموضوع	الصفحة
أسبانيا المغربية لأثريك سوردو ...	٧٣٦
الإسلام والمدنية الحديثة .. ٢٦ ،	١٥٣
الإسلام والمعركة ضد الجوع ...	٧٨
الإسلام فى تاريخ العالم	١١٠
الإسلام فى زنجبار ... ... ٢٤٧ ،	٣٧٥
الاستعباد والحرية بين المدنية الحديثة وشريعة الإسلام ...	٣٢٦
الإسلام رسالته فى عالم اليوم ...	٣٣٢
الإسلام محرر العبيد	٣٩٣
الإسلام وثقافة المرأة	٤٠١
الإسلام والمذاهب الأدبية - كتاب	٤٩٤
الإسلام وتحديد النسل	٥٤٥
الإسلام عقيدة وشريعة للإمام الراحل الشيخ محمود شلتوت ...	٧٠٩
الإسلام فى القرن العشرين	٨٨٨
الإيمان والإسلام	١١١٠
الإسلام والعلاقات الدولية	٩٧١
إضافة مبلغ على المبلغ الأصلى كأتعاب	٣٧٧
الأعلام الشرقية - كتاب	٦٢٢
إقراض المصوغات المنضبطة وزناوعياراً	١٢٥

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الموضوع	الصفحة
أمة التوحيد تتوحد	١
أمة النبي صلى الله عليه وسلم أسس معجزته وعظمته	٣٧٢
أنا أفصح العرب بيدأني من قريش	٣٨٥
الإنتاج وترقيته	٣٢١
الإنسان العقائدي ـ كتاب	٢٤٦
الأوزاعي عالم أهل الشام	٣٩٣
(ب)	
البابية أو البهائية	٨٣
بحث في علم الجنس	٧٩٩
براهين الإيمان عن طريق براهين الشكوك	٥١٦
بناء القبور بالآجر...	٧٦٦
بنك ابن الأمهات . بيان عنه ...	٣٧١
بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية ٦٥ ، ٣١٠ ، ٤٣٥ ،	٥٨١
بين الكسائي وسيبويه	١٢١
(ت)	
تأبين عالم أندونيسي كبير	٢٤٩
تأليف القلوب وتوحيد الصفوف مقصد من مقاصد الزكاة	٧٨٠
تاريخ المغرب الكبير كتاب	٢٤٤
تحرير عقود الرهن بفائدة	٣٧٧
تحية لبور سعيد ـ قصيدة	٧٤٠
تداخل المذاهب الفقهية ... ٧٩١ ،	١٠٧٤

الموضوع	الصفحة
التصوير السياسي في شعر ذكريات الهجرة الحديث	٧٠
التطهير في الإسلام	٥٢١
التطورات التشريعية للطلاق	١٠٣٥
تطور التصوف ... ... ٦٨٩ ،	٨١٠
تعازي العالم الإسلامي بوفاة الإمام الأكبر	٧٥٤
تعجيل الفطر وتأخير السحور ...	٨٩٢
تعليق على فتوى حكمة تحريم لحم الخنزير	٥٠٧
تعليق على نقد...	٧٥١
تفسير الإمام الشيخ محمد عبده ...	٣٨٩
التكليف والثواب والعقاب	٤٧٥
التلفيق بين أحكام المذاهب	٩٥٤
التنافس السلمي حول الثقافة في الإسلام ... . ٥٩ ،	١٧٧
تناول طعام المتعامل بالربا وحكمه	١١٤٨
توصيات مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية	١٠٢١
(ث)	
الثورة الثقافية في الإسلام ٧٢٦ ، ٨٧٠ ،	١٠٨٦
(ج)	
جامعة الدين وجامعة اللغة ...	٧٠٢
جريدة ملايوية تشيد بتقدم الجمهورية المتحدة في مجال الثقافة الإسلامية	٦٣١
جلسة افتتاح المؤتمر	٩١٢
الجمع بين صلاة المغرب والعشاء لعذر المطر	١٢٣
جنات واحظة...	١١١٥

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الموضوع	الصفحة
(ح)	
حد السكر	٣٤٧
حرمة زواج البنت بعد وطء أمها حراما	٣٨٠
حروف القرآن وحدوده ...	٣٨ ، ١٦٧
حرية العقيدة فى الإسلام ...	٤٢٩ ، ٥٩٨
الحسبة فى الإسلام (كتاب) ...	٤٩٨
حكم الله وحكم الفقيه	١٠٦٤
حكم إخراج الزكاة خارج البلد ...	٢٧٧
حكم شرب البيرة والاتجار بها ...	٧٦٤
حكم شرب الكينا التقوية	٧٦٤
حكم صلاة الجمعة فى غير مسجد ...	٣٧٨
حكم الصيام فى البلاد التى يطول النهار فيها طولا غير عادى ...	٨٩٣
حكم نقل المسجد إلى مكان يتسع لعدد أكبر	٥٠٦
حكمة تحريم الخنزير	٣٧٨
الحمل الصناعى	١٢٤
حول أمة التوحيد تتوحد	١٣٠
حول تراجم الأعلام	٧٥١
حول مقام الثورة الوطنية والفنية فى شعر أحمد محرم	١٢٠
حول موضوع التبشير فى أندونيسيا	١١٩
الحياة الأدبية فى ليبيا . كتاب	٧٤١
(خ)	
الخدمات الاجتماعية عن طريق الدين	٤٣٩ ، ٥٧٥
الخطيب البغدادى مؤرخ بغداد وعالمها	٤١٧
الخميس والأربعين بدعة فى الإسلام	٢٥٣
(د)	
الدراسات النفسية عند المسلمين لعبد الكريم عثمان « كتاب » ...	٢٤٣
دراسة للإسلام المعاصر على الساحل الغربى للقارة الإفريقية	٦١٥
الدعاء فى الصلاة وهل يمنع الحيض منه ومن ذكر الله	٦٣٣
الدهلوى فى حجة الله البالغة	٨٨٤
الدعوة الاشتراكية للسيد حسين الشافعى	٦٣٠
الدعوة الزاحفة	٨٢٣
الدعوة إلى المؤتمر	٩٠٥
دين الخلود	٢٢٥
(ذ)	
الذبح أمام الميت عادة جاهلية	٢٥٣
ذكرى الرافعى	١٢٢
ذو النون المصرى بين التصوف والأدب	٥٥١
(ر)	
رأى جديد فى أشعار المديح	٤٦٢
الرؤى والأحلام	٥٠٥
الربيع بين أدبى الشرق والغرب ...	٢٣١
الرحمة المهداة	٢٦٠
رسالة المسجد فى نشر الثقافة والحضارة	٦٦٩ ، ٨٦٦ ، ١٠٧٨

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الموضوع	الصفحة
الرعاية الاجتماعية لطلبة معهد الإسكندرية	٦٣٢
رفاعة الطهطاوى صحفى من الأزهر...	٣٥١
(ز)	
الزواج من أرملة الأخ المتوفى ...	٦٣٦
(س)	
سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله	١٥٠
سر هذا الوجود عازب عن كل موجود	٢٣٥
سلمان الفارسى - حياته وإسلامه ٦٩،	٨٢٨
سيارة بغير وقود يخترعها عالم أزهرى ... ... ١٨٢،	١١٣٧
(ش)	
شخصية الرسول الأعظم	٢٦٩
شخصية المسلم	٤٥٧-٥٨٦
شرب الخمر وحده فى التشريع الإسلامى	٨٤٤
شرح العقيدة النونية - كتاب ...	١١٧
شكيب أرسلان الناقد	١٩٦
شيخى محمود شلتوت	٦٧٨
الشيوعية عند قدامى اليهود	٧٢٣
(ص)	
صدقة الفطر	٨٩٣
صفحة بيضاء من جهاد شلتوت فى سبيل الإصلاح الدينى والتقريب بين المسلمين	٦٥١

الموضوع	الصفحة
صلة القرابة فى نصوص القرآن ...	١٨٩
الصمت عند الجنازة	٢٥٢
الصوفية وعلاقتها بالزهد ...	٤٥١-٥٦٩
صوم اللسان	٨٣٦
صيغ أخرى للمبالغة	٣٣٦
(ط)	
طبيعة الشعر العربى	٩٦-٢١٥
الطريق التى يتم بها الزواج	٦٣٥
طلاق القاضى وحكمه	٦٣٥
(ع)	
عادات المآتم	٢٥١
العالم العربى اليوم	٢٣٨
العالم الإسلامى فى المؤتمر	١٠٠٠
عالم مثالى يتحدى ابن طولون... ...	١٠٥٥
عباد الرحمن	٨٠٥
العبث بالتاريخ الصحيح ضلالة فى الدين	١٦
عبد القاهر الجرجانى وآراؤه فى الشعر والشعراء ٥٣٥،	٧٢١ - ٨١٨
العتاب فى رفق — تكريم وإعزاز	٢٧٥
عجل الذهب الذى عبده بنو إسرائيل	٦٨٣
عدالة التوزيع	٤٦٨
عدة المتوفى عنها زوجها مع ادعاء الحمل	٧٦٦
العدد فى اللغة العربية	٧

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الموضوع	الصفحة
العقاد فى الدراسات اللغوية	
العلم والعمل فى الإسلام	١٢١
على الحدود بين دولتين وحضارتين ... ٦٠٥ ، ٧٣١ - ٨٥٩	
عناية الإسلام بتربية الناشئين	١٠٦١
عوامل انتشار الإسلام	٩٢٧
(غ)	
الغسل مع صبغ الشعر وتخضيب الأظفار	١٢٤
(ف)	
الفارابى وشعره	٣٠٠
فرضية الصيام	٨٩١
فقيد الإسلام الشيخ محمود شلتوت «قصيدة» ...	٧٤٢
الفكر فى الإسلام	٦١١
فلسطين فى شعر شوقى	٣٤٢
فلسفة الحرية فى الإسلام...	٩٤٣
فلسفتى فى الحياة والمبادىء التى اهتديت إليها	٢٦٣
فهم الإسلام	٤٨٩
فى أصول الحديث «كتاب»	١١٨
فى الحرم «قصيدة»...	٦١٩
فى ذمة الله إمام المسلمين	٧٣٤
فى مطلع الأهرام نظرة إلى التنجيم	
فى العالم المتمدن	١٣١
فى مطلع العام الهجرى	٥

الموضوع	الصفحة
(ق)	
القاموس الإسلامى «كتاب» ...	٦٢٦
قرارات المؤتمر الأول لمجمع البحوث الإسلامية...	١٠٢٥
القرآن يشهد لأبى بكر الصديق ...	١٤٥
القتل الخطأ	١٢٥
قصة لسان العرب بين ابن منظور والنجارى	٥٩٣
قضاء الصلوات الفائتة	٦٣٤
قضاة المذاهب يجهون الطغاة... ...	٧٨٥
(ك)	
كتابة المصحف اقتراح حولها ...	٣٧٣
كتابة المصحف بالإملاء الحديث ...	٥٠٢
كفارة اليمين	٣٧٩
الكلمة الختامية لمؤتمر مجمع البحوث الإسلامية	١٠٢٣
كلمة الحاج إبراهيم إيناس السنغالى نيابة عن الوفود	٩٢٢
كلمة الدكتور محمد البهى وزير الأوقاف وشئون الأزهر	٩١٥
كلمة الدكتور محمد عبد الله ماضى وكيل الأزهر ورئيس المؤتمر ...	٩١٩
كلمة الدكتور محمود حب الله الأمين العام لمجمع البحوث	٩٢٤

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الموضوع	الصفحة
كلمة السيد / حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية	٩١٣
كما تحدث الرسول ـ كتاب	٤٩٥
كيفية اعتناق الإسلام	٦٣٣
(ل)	
لا حداد إلا لامرأة على زوجها ...	٢٥٣
اللفظ والمعنى	٢٠٣ ، ٤٢٣
(م)	
مؤتمر علماء الإسلام	٨٩٧
المذهب الرمزى فى أدب الصوفية ...	١٠٨٣
الملكية فى الإسلام	١١٠٠
مجمع البحوث الإسلامية وأمل المسلمين فيه	٩٠١
محاولة لبعث القديم	٥٢
المحرم والسنة وعاشوراء	٢١
محمود شلتوت ـــ الإمام الأكبر	
محمود شلتوت	٦٤١
المجتمع الاشتراكى فى ظل الإسلام	٣٤ ، ١٥٦ ، ٢٩٠ ، ٤١٣ ، ٥٤١ ، ٧٠٥
مدى التجديد المقبول فى الأدب ...	٧٦٩
المرأة فى الإسلام ـ كتاب	٤٩٧
مراجعات إسلامية	٣٥٨
المسئولية الجماعية بين الشريعة الإسلامية والشرائع السابقة	٢٨٠
المسح على اللزقة	٨٦٥
مفهوم العدل فى الإسلام	٨٨١
مفاعل ومفاعيل	٨١٣
المقومات الخلقية والأدبية ومدى تأثيرها فى تقدير الإسلام	٣٥٤
المنافق يحيد عن الحق ويشكك فى العدالة	٦٧٣
مناقشات المؤتمر الأول لمجمع البحوث الإسلامية	٩٨٦
مناهج الإسلام لتقوية روابط الأسرة	١٢ ، ١٢٨
من أجل الطيبات	١٧٢
من أخلاق الشريعة وآدابها	٤٨٦
من ذكريات النصر فى تاريخ الإسلام	٧٧٦
من روائع المثنى بن حارثة	٤٤
من شخصيات فجر الإسلام ابن أبى	٨٥٥
الملاحم والمطولات	٤٤٤ ، ٥٥٥ ، ٧١٢ ، ٧٩٥
الإسلامية فى الشعر العربى	٩ ١
ملك يكفر عن خطيئته	٤٠٦
ملك التتار يعتنق الإسلام طوعا ...	٦٥٧
من معانى القرآن	٤٣ ، ١٧٦ ، ٢٤٥ ، ٣٠٩ ، ٤٣٤ ، ٥٦٢ ، ٦٨٧ ، ٨٤٩

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الموضوع	الصفحة
من ملامح الإسلام	٣٩٠
منهج الإمام محمد عبده فى تفسير القرآن الكريم كتاب	١٤٤
الموروثات والأدب عند ت.س إليوت	٨٥٠
الموطأ للإمام مالك...	١٠٢٩
الموفق الموفق...	٦٤٦
موقف الإسلام من النظريات الإنسانية فى أصل الكون ونشأة الحياة	٨٧٦
مولانا أبو الكلام أزاد .. ٢٠٩،	٣٠٤
مولانا أزاد والخلافة	٤٦٣
المولد النبوى الاحتفال به فى مصر الإسلامية	٣١٥
(ن)	
نبى الإسلام عظمته	٢٢٠
النبى محمد كتاب	١١٦
نحو أدب إسلامى	٤٨٢
نشأة الكون	١١٢٢
نداء المخاطبين فى القرآن أسراره وبلاغته	١٤٩
نظام الحسبة فى الإسلام...	٩٥٨
نظرية الفروق الجنسية فى ضوء الإسلام	٥٣٠
نعمة المال والبنين شقوة على المنافقين والكافرين	٥٢٦
(هـ)	
الهدى وحكم استقباله بنقود	١٠٠
هذا بيان للناس	٦٠
هل يأخير الثمن فى البيع يحل الربا فيه ...	
هل يجوز حرمان الابن العاق من الميراث	٦٣٧
(و)	
الوجهة الثقافية فى تونس	٢٨٤
الوحدة الإنسانية مزية الدعوة المحمدية	٢٥٧
وحدة الشاعر...	٢٩
وحدة الوجود	١٠٥١
وحدة لا وحدتان...	١٣٠
وحدة الهدف مبدأ من مبادئ الإسلام الخالدة...	٩١
وزير الدين والخير...	١٠٣١
وقفة مع رمضان	٨٣٢
(ى)	
يعقوب بن كلس	١٦٠

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الفهرس

صفحة

١٠٣١ وزير الدين والخير
للأستاذ أحمد حسن الزيات

١٠٣٥ التطورات التشريعية للطلاق ـ ١ ـ
للأستاذ محمد محمد المدنى

١٠٣٩ الموطأ للإمام مالك
الأستاذ الفاضل بن عاشور

١٠٤٦ مقام النبوة فوق سفاهة السفهاء
للأستاذ عبد اللطيف السبكى

١٠٥١ وحدة الوجود والفناء فى الله وتناسخ الأرواح
للأستاذ الدكتور على عبد الواحد وافى

١٠٥٥ من أمجاد العلماء : عالم مثالى يتحدى
ابن طولون للأستاذ محمد رجب البيومى

١٠٦١ عناية الإسلام بتربية الناشئين
للأستاذ عبد الرحيم فودة

١٠٦٤ حكم الله وحكم الفقيه
للأستاذ محمود الشرقاوى

١٠٦٨ ابن قتيبة الناقد ـ ٢ ـ
للأستاذ على العمارى

١٠٧٤ تداخل المذاهب الفقهية ـ ٢ ـ
الدكتور علاء الدين شلبى

١٠٧٨ رسالة المسجد فى نشر الثقافة والحضارة ـ ٣ ـ
للأستاذ أحمد الشرباصى

١٠٨٣ المذهب الرمزى فى أدب الصوفية
للأستاذ محمد إبراهيم الجيوشى

١٠٨٦ الثورة الثقافية فى الإسلام ـ ٣ ـ
للأستاذ حسن فتح الباب

صفحة

١٠٩٠ الملاحم والمطولات الإسلامية فى الشعر العربى ـ ٥ ـ الدكتور سيد الدين الجيراوى

١٠٩٦ من بحوث مجمع البحوث : نظام الحسبة فى الإسلام ـ بقية ـ
الدكتور إسحاق موسى الحسينى

١١٠ الملكية فى الإسلام ـ ١ ـ الأستاذ على الخفيف

١١١٠ الإيمان والإسلام الأستاذ عباس طه

١١١٥ جنات واعظة للأستاذ الحسينى أبو فرحه

١١٢٢ نشأة الكون

١١٣٧ عالم أزهرى

١١٤٠ النقاد فى الدراسات اللغوية

١١٢٢ الكتب : للأستاذ محمد عبد الله السمان
١ ـ شركة للصحف فى العالم .
٢ ـ بين الدين والحياة .
٣ ـ العقائد الإسلامية .

١١٢٧ أنباء وآراء : صدى مؤتمر مجمع البحوث من يوغوسلافيا ـ من الأستاذ العوضى الوكيل ـ من البحرين ـ من الأردن ـ من تونس ـ من مالى ـ من العراق ـ هل يجوز نقل مقام إبراهيم من مكانه ؟

١١٣٢ الفتاوى : للأستاذ إبراهيم محمد الأحمدى
حكم استبدال النقود بالهدى فى الحج ـ تناول طعام المتعاطى الربا وحكمه .

١١٣٧ عالم أزهرى

١١٣٩ فهرس أبجدى عام لسنة ١٣٨٣ هـ .

١١٤٠ النقاد فى الدراسات اللغوية

الثمن أربعون مليما

مطبعة الأزهر